Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

مباحث البديع عند الإمام الباقلاني من خلال كتابه إعجاز القرآن

مذكرة لنيل شهادة ماجستير

تخصص: علوم اللسان

إعداد الطالب:
علال بن يحي

السنة الجامعية:
2008-2007

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

مباحث البديع عند الإمام الباقلاني من خلال كتابه إعجاز القرآن

مذكرة لنيل شهادة ماجستير

تخصص:علوم اللسان

إعداد الطالب:
علال بن يحي

إشراف الأستاذ:
د. مولود بغورة

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د:	رئيسا
أ.د:	مقررا
أ.د:	عضوا
أ.د:	عضوا

السنة الجامعية:
2008-2007

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

مباحث البديع عند الإمام الباقلاني من خلال كتابه إعجاز القرآن

مذكرة لنيل شهادة ماجستير

تخصص: علوم اللسان

إعداد الطالب:
علال بن يحي

إشراف الأستاذ:
د. مولود بغورة

السنة الجامعية:
2008-2007

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

الإهداء

- إلى الذين قال الله فيهما:" **وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا** ".
- إلى جميع أفراد الأسرة صغيرا وكبيرا.
- إلى جميع الإخوة والأصدقاء.
- إلى العاملين لاستئناف الخلافة التي على منهاج النبوة، لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وإلى الذين يبلغون رسالاته ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله.
- إلى الذين رمتهم الدنيا عن قوس واحدة، فما لانت لهم قناة، وما ضعفوا وما استكانوا.
- إلى الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

D أهدي هذه المذكرة

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

شكر وتقدير

أتوجه بالشكر الجزيل وعظيم التقدير إلى أستاذي الفاضل

الدكتور "**مولود بغورة**" لقبوله الإشراف على هذه المذكرة، ولما قدمه لي من تـ ،
ولصبره معي طوال مدة هذا البحث.

كما لا يفوتني أن أشكر أسرة "**قسم علوم اللسان**" أساتذة وعمّالا لما قدموه لي مـــن تـــسهيلات وإعانـــات لإعداد هذه المذكرة.

وكما أتوجه بجزيل الشكر إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

التمهيد :

المتكلمون والبلاغة

المبحث الأول:
إسهام المتكلمين في مباحث علوم البلاغة
المبحث الثاني:
أسباب اهتمام المتكلمين بعلوم البلاغة
المبحث الثالث:
وجوه إعجاز القرآن الكريم

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

المبحث الأول

إسهام المتكلمين في مباحث علوم البلاغة

عندما زادت حدة النزاعات بين المتكلمين في القرنين الثالث والرابع الهجريين،وكثر الجدل حول المسائل الدينية والعقدية، بين المذاهب و الطوائف الإسلامية من جهة –خاصة المعتزلة و الأشاعرة–، وبين المسلمين وغيرهم من جهة أخرى، كثر الكلام حول القرآن، و بلاغته و أسباب إعجازه، مما دفع الكثيرين من علماء المسلمين؛"مفسرين و متكلمين و أدباء وبلاغيين و نقاد..." إلى البحث في إعجاز كتابهم المقدس وبلاغته، فأسهمت بذلك فئات مختلفة في تأسيس البلاغة العربية و توجيهها، وقد كان نشاط المتكلمين في تنمية مباحثها أظهر، وجهدهم في بحث مسائلها أبرز لعدة أسباب دينية، و لغوية، و علمية، وغيرها .

هذا النشاط لم يقتصر على المشاركة في بعض فنون البلاغة و موضوعاتها فقط،بل تعداه إلى الإسهام في نشأة الدرس البلاغي ووضع أصوله و الكثير من حدوده و قواعده، ولا أدلّ على ذلك من نشوء مدرسة في البحث البلاغي عُرفت بالمدرسة الكلامية في مقابل المدرسة الأدبية و قد أشار إليها العسكري في قوله: « و ليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين و إنما قصدت فيه مقصد صناع الكلام من الشعراء و الكتاب ... »[1]. فهو يذكر هنا مدرستين في البحث البلاغي هما: المدرسة الكلامية و المدرسة الأدبية، ويقول شوقي ضيف مصوراً شيئاً من جهودهم: « و نفذ الأخيرون – يقصد المتكلمين– إلى وضع أصولها الأولى بعقولهم الثاقبة اللطيفة»[2].

و يعود نشاطهم الكبير في وضع قواعد البلاغة إلى ارتباطها بقضايا عقيدية وشرعية، يحدوهم في ذلك نظرتهم إلى أن القرآن هو مادة الإسلام، والدفاع عنه يعني الدفاع عن القرآن وعن إعجازه « وبيان ما فيه من أسرار ونكت تجعله حجة الله على العالمين والبلاغة هي وسيلة إظهار هذه الحجة وبيان هذا الإعجاز، ومن هنا ارتبطت البلاغة ببيان إعجاز القرآن الكريم وكادت تكون غايتها محصورة في ذلك »[3].

---

[1] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين:الكتابة والشعر، تح: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل،(بيروت: المكتبة العصرية، 2004 م) ، ص 9 .

[2] شوقي ضيف، البلاغة تطور و تاريخ، (ط:6 ؛ القاهرة: دار المعارف)، ص 5 .

[3] وليد قصاب، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري،(الدوحة: دار الثقافة:1985م) ، ص445 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

و سأتحدث عن شيء من إسهام المتكلمين في توجيه الدرس البلاغي، و نشاطهم في تأصيله، ووضع قواعده، مشفوع بذكر مجموعة من أعلامهم ممن كان له أثر بالغ في ذلك.

أهم إسهامات المتكلمين في الدرس البلاغي:

تكمن أهمية إسهام المتكلمين في الدرس البلاغي في وضع القواعد والأصول، وفي التراث الذي خلفوه في كتب الإعجاز

1- **وضع القواعد والأصول**:والذي تمثل في:

-بلورة وضبط مجموعة كبيرة من المصطلحات و المفاهيم الأساسية في الدرس البلاغي؛ تسمية و تعريفاً وتمثيلاً،كمفهوم المجاز والاستعارة و الإعجاز...وغيرها من الفنون التي وقفوا عندها وتناولوها تناولاً جيداً، ممّا عجّل بنموها و اتساع أبحاثها،وبالتالي استقلالها كعلم خاص له قواعده وأصوله الذاتية « ومن يرجع إلى تاريخ البلاغة يلاحظ نص القدماء على أن المتكلمين هم الذين وضعوا في القرنين الثاني و الثالث للهجرة أصول البلاغة العربية »[1]،وذلك لما كان لهذه الفئة من وسائل تؤهلهم لمعالجة مثل هذه القضايا، فازدهرت وترعرعت مباحث البلاغة على أيديهم « ثم مضت تنضجُ وتتكامل على أيدي علماء هذه الطائفة النشيطة من مفكري العربية،تعهدها في أول الأمر المعتزلة الأول من أمثال عمرو بن عبيد وبشر بن المعتمر وأبي عثمان الجاحظ وتعهدها في فترة التطور والارتقاء الرماني والقاضي عبد الجبار وأمثالهما »[2]، ورفدتها حتى ازدهرت وبلغت شأواً بعيدا من النضج والنمو جهود الجرجاني و الزمخشري من بعده.

ومن الجهود التي يتعين التوقف عندها باعتبارها محطات مهمة في تطور الدرس البلاغي العربي، أذكر:

01- جهود عمرو بن عبيد المعتزلي (ت 144هـ) البلاغية، وتعريفه الدقيق للبلاغة: وضع عمرو بن عبيد تعريفاً دقيقاً للبلاغة؛ فإنه لما سُئل ما البلاغة؟ ذكر لها عدة تعريفات، وفي كل ذلك يقول له السائل: ليس هذا ما أريد، إلى أن قال: «فكأنك إنما تريد تخير اللفظ في حسن الإفهام، قال: نعم. »[3].

---

[1] شوقي ضيف ، البحث الأدبي، طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره ، (ط :5 ؛ القاهرة : دار المعارف)، ص55 .

[2] وليد قصاب ، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة ، ص 5 .

[3] الجاحظ ، البيان والتبيين ، تح :عبد السلام هارون ، (ط :2 ؛ بيروت : دار الجيل) ، ج1، ص 114 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

وقد علّق شوقي ضيف على هذا التعريف قائلاً: « لعلّ هذه أول مرة عند العرب تستخدم فيها كلمة بلاغة بمعناها الدقيق »[1]، ويقول في موضع آخر، بعد ذكره لتقدم المتكلمين على غيرهم في بحث مسائل البلاغة من الوجهة النظرية و التعليمية: « ومن ثمّ لم يكن من المصادفة أن يلقانا أقدم تعريف دقيق لها– البلاغة– عند عمرو بن عبيد المعتزلي المتوفى سنة 144للهجرة »[2].

02–**جهود بشر بن المعتمر (ت210 هـ) في صحيفته:**لابن المعتمر صحيفة مهمة تمثل أهم ما أُثِر عن المعتزلة في البلاغة إلى أوائل القرن الثالث الهجري، وقد رواها الجاحظ في"البيان و التبيين" (ج1،ص 135) لأهميتها، وساقها شوقي ضيف بلفظها في كتابه"البلاغة العربية تطور و تاريخ"(ص 41) معللاً ذلك بأهميتها الشديدة، و المتمثلة في بيان منهج المعتزلة في تقعيدهم للبلاغة العربية، فهي تصور لنا بدقة منهج مدرسة لها أثرٌ لا ينكر في توجيه الدرس البلاغي، أدى إلى إضافات هامة في فنون البلاغة العربية،يقول عبد العزيز عتيق: «وما من شك في أن صحيفة بشر بن المعتمر كان لها أثر ملموس في تاريخ البلاغة، فقد تأثر بها بعض رجال البلاغة من أمثال الجاحظ،وأبي هلال العسكري، وابن رشيق القيرواني، وعبد القاهر الجرجاني،واستمدوا منها إشارات وإيحاءات توسعوا فيها وعقدوا لها أبوابا وفصولا فيما كتبوه عن البلاغة»[3].

فهذه الصحيفة « إن لم تجعله أول مؤسس لعلم البلاغة العربية فلا أقل من أن تجعله بين الرعيل الأول من مؤسسيه»[4]، ويقول وليد قصاب:« و بعد فلا شك أن صحيفة بشر هذه تُعد ذات أهمية كبرى في تاريخ البلاغة العربية وهي خير ما أثر عن المعتزلة في البلاغة حتى أوائل القرن الثالث الهجري »[5].

03 – جهود الجاحظ (ت255هـ) في تأسيسه علوم البلاغة: تحدث الجاحظ كثيراً عن البلاغة وفنونها في كتبه حتى عُدَّ مؤسس البلاغة العربية «فهو أول أديب عربي توَسع في دراسة هذا العلم، و أعطاه الكثير من نشاطه الأدبي و الفكري، و هو أول من جمع ما يتصل به من كلام

---

[1] شوقي ضيف ، النقد ، ص46 .

[2] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص 35 .

[3] عبد العزيز عتيق ، في تاريخ البلاغة العربية ، (بيروت : دار النهضة العربية للطباعة) ، ص31 .

[4] السابق ، ص25 .

[5] وليد قصاب ، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة ، ص43 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

سابقيه ومعاصريه، وشرحه وأضاف إليه ما عنّ له شخصياً فيه من أفكار وآراء»[1]. يقول طه حسين: « فالعرب لم يخطئوا حين عدّوا الجاحظ مؤسس البيان العربي...لأنه جمع في هذا الكتاب"البيان و التبيين" طائفة من النصوص توضح لنا توضيحاً حسناً كيف كان العرب يتصورون البيان في القرن الثاني و النصف الأول من القرن الثالث، و تعطينا صورة مجملة لنشأة البيان العربي.... »[2]، وبذلك عدّ كتاب"البيان و التبيين" « أول كتاب معروف في تاريخ البلاغة جمع فيه صاحبه كثيراً من القضايا البلاغية »[3] .

ولم يقتصر هذا الأثر على كتاب "البيان والتبيين" فقط، بل تعداه إلى كل آثاره،يصور ذلك وليد قصاب في قوله: « وأما الجاحظ فقد تركت كتاباته آثارها وبصماتها في جميع من جاء بعده، فقد جمعت كتبه مادةً غزيرةً للبيان العربي وسجّلت أو كادت جميع الملاحظات التي كانت تدور على ألسنة المتقدمين حول الفصاحة والبلاغة وطرائق القول ممّا يتيح للمرء – من خلال كتابات الجاحظ– أن يأخذ فكرةً واضحةً من تصور العربي للبيان حتى منتصف القرن الثالث الهجري، ولم يكن الجاحظ مدوناً أو جامعاً لهذه الملاحظات البلاغية فحسب بل هو قد تعقبها بالشرح والتفسير وأضاف إليها–كما رأينا– كثيرا من الاصطلاحات والتعريفات التي أصبحت أساس البلاغة والنقد المنظم الذي ظهر فيما بعد في القرنين الرابع والخامس...»[4]،يقول شوقي ضيف: « لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إنّ الجاحظ يُعَدُّ –غير منازع– مؤسس البلاغة العربية،فقد أفرد لها أول مرة كتابه "البيان والتبيين" ونثر فيه كثيراً من ملاحظاته وملاحظات معاصريه.

وتعمق وراء عصره ، فحكى أراء العرب السابقين، والتمس أراء بعض الأجانب،أو قل سجلها، وقد مضى ينثر في كتابه"الحيوان" تحليلات لبعض الصور البيانية في الذكر الحكيم ... »[5]، و غدت بذلك آراؤه وملاحظاته البلاغية معيناً ينهل منه و يستضيء به كل من جاء بعده من الأجيال«فكل ما أخذه من قضايا البيان والبلاغة عن سابقيه، ومعاصريه ، وكل ما اهتدى إليه من حقائق بلاغية،كان له أثر كبير واضح في تاريخ البلاغة وقلما ظهر بلاغي بعده

---

[1] عبد العزيز عتيق ، في تاريخ البلاغة العربية ، ص25 .

[2] قدامة ابن جعفر ،كتاب نقد النثر تقديم طه حسين ، (بيروت : دار الكتب العلمية،1995)،ص03 .

[3] عبد العزيز عتيق ، في تاريخ البلاغة العربية ، ص 23–24 .

[4] وليد قصاب ، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة ، ص456 .

[5] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص 57–58 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

لم يفد من كتاباته في البيان والبلاغة بطريق مباشر أو غير مباشر »[1]، كل يستمد من هذا المعين حسب قدرته ومهارته.

04- جهود الباقلاني (ت 403هـ) في كتابه إعجاز القرآن: و يعد هذا الأخير من أشهر مؤلفاته بل من أشهر المصادر التي عالجت قضية إعجاز القرآن، و لا يخفى علاقتها بتوجيه الدرس البلاغي، بالإضافة إلى ما تضمنه من مباحث بلاغية أسهمت في إثراء موضوعات البلاغة و تأصيلها، يقول عنه ابن العربي: «لم يصنف مثله»[2]، و يقول عنه محققه أحمد صقر: « هو أعظم كتاب ألف في الإعجاز إلى اليوم »[3]، وما ذلك إلا لأنه « أول من هاجم في قوة نظرية إعجاز القرآن عن طريق تصوير ما فيه من وجوه البديع، وأيضاً وجوه البلاغة التي أحصاها الرماني. ومن هنا تأتي أهميته،إذ أعدّ للبحث عن أسرار في نظم القرآن من شأنها حين توضح توضيحاً دقيقاً أن تقف الناس على إعجازه.. »[4].

05- جهود البصري المعتزلي (ت436 هـ) وربطه موضوعات البلاغة بموضوعات أصول الفقه: فقد ضمّن كتابه"المعتمد في أصول الفقه" كثيراً من بحوث البلاغة و فنونها، كحقيقة الكلام و الأوامر و النواهي والعموم و الخصوص ...مبتدأ بها ومقدماً لها على موضوعات أصول الفقه، إشارة منه إلى أن دراسة هذه البحوث و فهمها هي الخطوة الأولى لدراسة الفقه و أصوله و السبيل الموصل إلى فهم نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية واستنباط الأحكام الشرعية منهما، وهو بذالك يثبت عمليا ارتباط موضوعات البلاغة بالنصوص الشرعية وضرورتها لفهم نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وهنا تكمن أهمية ما قدمه في كتابه.

06- جهود عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) في تأسيسه علمي المعاني و البيان: للجرجاني إسهامات عديدة في مجال الدرس البلاغي وله قصب السبق في أهم فنونها،لذا فقد تبوأ المكانة الكبيرة في تاريخ البلاغة العربية إذ استطاع كما يقول شوقي ضيف:« أن يضع نظريتي علم المعاني و البيان وضعاً دقيقاً، أما النظرية الأولى فخصّ بعرضها وتفصيلها كتابه"دلائل الإعجاز" وأما النظرية الثانية فخصّ بها وبمباحثها كتابه "أسرار البلاغة" »[5].

---

[1] عبد العزيز عتيق ، في تاريخ البلاغة العربية ، ص51 .

[2] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ،(ط:2 ؛ بيروت : دار المعرفة) ،ج2 ،ص90 .

[3] الباقلاني، كتاب إعجاز القرآن، تح السيد أحمد صقر ، (ط:5 ؛ القاهرة: دار المعارف) ، ص67 .

[4] شوقي ضيف ، البلاغة تطور و تاريخ ، ص114 .

[5] شوقي ضيف ، البلاغة تطور و تاريخ ، ص160 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

و«هو بهذين الكتابين يعد بحق واضع أسس البلاغة العربية و الموضح لمشكلاتها و الـذي على نهجه سار رجال البلاغة من بعده و أتموا البُنيان الذي رسم حدوده ومعالمـه و أرسـى قواعده و أركانه»[1]؛ فالكتاب الأول جمع فيه ما تناثر من ملاحظات بلاغيـة، واضـعاً بـذلك أصول علم المعاني وضعاً دقيقاً، ووضع في "أسرار البلاغة" نظريـة علـم البيـان بقواعـده ومباحثه، حتى غدا كتاباً فريداً في بابه « فهو بحث في البيـان العربـي غيـر مـسبوق ولا ملحوق.. »[2]، وعلى هذا النحو « وضع أيضاً نظرية البيان لأول مرة في تاريخ العربية... »[3] .

07- جهود الزمخشري (ت583هـ)وتطبيقاته فـي تـصوير بلاغـة القـرآن : اسـتطاع الزمخشري أن يقدم تطبيقاً عملياً لنظرية عبد القاهر في المعاني، و البيان من خـلال تفـسيره "الكشـاف" مستعيناً في ذلك بما آتاه الله من الفطنة و دقة الحس البلاغي،بالإضافة إلى استيعابه وتفهمه الجيد لما جاء به الجرجاني: « فقد وعى علم عبد القاهر وعياً دقيقاً جداً، وأجراه فـي تفسيره ومدّه ودقّقه، وأضاف إليه»[4]، و كأنه أُعِدّ لذلك إعداداً، يقول شوقي ضيف: «وواضـح من كل ما قدمت أن الزمخشري استوعب كل ما كتبه عبد القاهر في الأسرار والدلائل ومضى يطبقه تطبيقاً دقيقاً على آي الذكر الحكيم، وكأنه لم يترك صغيرة ولا كبيرة من أراء عبد القاهر إلا ساق عليها الأمثلة النيّرة من القرآن الكريم... »[5]، فهو بذلك قد مثل الحلقـة التـي كانـت مفقودة بين التنظير والتطبيق الذي كانت تحتاجه دراسة الجرجاني، يقول أحمد عامر: «فغطـى هذا الجانب المفتقد في دراسة سابقة، بدراسته التفسيرية البلاغية التي جاءت فريدة في لونهـا من الدراسات السابقة و اللاحقة ، و ذلك في كتابه الكشاف الذي أحدث دوياً ورنيناً في العـالم الإسلامي لا يزال صداه يرن في آذاننا حتى اليوم..... »[6].

بل إن الزمخشري لم يقف عند أراء عبد القاهر بل تعداها و أضاف إليها إضافات مهمـة أكّد بها الكثير من شعب المعاني والبيان ولو وقفت جهوده « في البلاغة عند حد تطبيـق أراء

---

[1] عبد العزيز عتيق ، في تاريخ البلاغة العربية ، ص246 .

[2] السابق ، ص247 .

[3] شوقي ضيف ، البلاغة تطور و تاريخ ، ص190 .

[4] محمد محمد أبو موسى، مراجعات في أصول الدرس البلاغي،(ط:1؛ القاهرة: مكتبة وهبة،2005)، ص142.

[5] شوقي ضيف ، البلاغة تطور و تاريخ ، ص243 .

[6] فتحي أحمد عامر،بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ،دراسة تاريخية فنية مقارنة، (الإسكندرية: منشأة المعارف)، ص179 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

عبد القاهر في تفسيره تطبيقاً مستقصياً بالأمثلة والشواهد لكان ذلك حسبه مساهمة في تطـــوير علميّ المعاني و البيان، ولكنّ نراه يصل هذا التطبيق بكثير من أرائه التي تدل علـــى تعمقـــه وفطنته في تصوير الدلالات البلاغية و إحاطته بخواص العبارات و الأســـاليب، كمـــا نـــراه يضيف إلى مباحث هذين العلمين ما استكمل به كثيراً من شعبها ودقائقها و مقاييسها »[1]، يؤكد ذلك شوقي ضيف في قوله: «إذا كان الزمخشري هو الذي أعدّ لاكتمـــال الـــشعب والفـــروع المختلفة لشجرة نظرية المعاني فإنه أيضاً هو الذي أعدّ لاكتمال نظرية البيان شعبها و فروعها المتعددة .. »[2]، ويقول أيضاً: « يمكن أن يقال أن قواعد علم البيان قد كملت عنده كما كملـــت قواعد علم المعاني»[3].

2- التراث البلاغي في كتب الإعجاز:

– ومن أهم إسهامات المتكلمين في الدرس البلاغي ما خلفوه من مباحث بلاغية واسعة في كتب إعجاز القرآن الكريم، حيث وضعوا فيها قواعد بلاغية ونقدية لبيان مزية النص القرآني، بتفوقه على غيره من الكلام لاسيما النص الشعري العربي ، يقـــول محمـــد زغلـــول ســـلام: «وظلّت دراسات الإعجاز تورق و تثمر طوال هذا القرن–يقصد القرن الثالث– والقرون التالية يسلم بعضها إلى بعض، وتزداد على مر الأزمان حيوية وإنتاجاً حتى توصل علمـــاء إعجـــاز القرآن إلى دقائق ولطائف كثيرة في أسلوب القرآن،وبلغت مقـــدرة بعضهم درجـــة طيبـــة، و أصبحت بعض دراساتهم في تحليل نصوص القرآن نماذج أدبية لكل ناقد أدبي، ومرجعاً لكـــل باحث في خفايا التعبير العربي.

ولم تقتصر فائدة تلك الدراسات على القرآن وحده، بل أفادت الأدب العربي عامة، واستمد الشعر والنثر من ينابيعها القواعد والأصول، وسلطت عليها أضواء علوم الإعجاز فكشفت عن كثير من مكنون المعاني و الألفاظ »[4].

---

[1] عبد العزيز عتيق ، في تاريخ البلاغة العربية ، ص262–263 .

[2] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص257 .

[3] نفسه ، ص265 .

[4] محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري ، (ط:3 ؛ القاهرة : دار المعارف) ، ص233 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

وسنقف وقفات سريعة أمام جهود علمين من أعلام المتكلمين، ممن كان لهم أثر ظاهر في توجيه الدرس البلاغي يمثل أحدهم المعتزلة ، ويمثل الأخر الأشاعرة من خلال ما خلفاه من رسائل تضمنت أهم ما قيل في الإعجاز القرآني .

01-كتاب النكت في إعجاز القرآن للرماني (ت382هـ): بيّن في هذه الرسالة رأيه في الإعجاز، وطرق فيها كثيراً من أبواب البلاغة مهتما بها اهتماماً كبيرا يوحي باعتباره الوجه البلاغي من أهم وجوه الإعجاز؛ فعرّف البلاغة وبيّن طبقاتها وأقسامها وأبوابها، مضيفاً إلى من سبقوه ما جادت به قريحته من جديد وفي ذلك يقول شوقي ضيف: « ...وواضح أنه أضاف في حديثه عن البلاغة إضافات جديدة إلى من سبقوه، فقد حدد بعض فنونها تحديدا نهائيا، ورسم لها أقسامها رسماً دقيقاً ... »[1]، فهو أول من سمى الإيجاز كما ذكر ذلك ابن سنان الخفاجي وأول من قسمه إلى إيجاز حذف وإيجاز قصر على رأي فتحي أحمد عامر محمد أبو موسى الذي يقول: « و هذا التقسيم هو الذي جرى عليه البلاغيون بعد الرماني، وتشير عبارة ابن سنان إلى أن الرماني صاحب هذه التسمية »[2]، ويضيف أحمد عامر مبينا قيمة هذه الرسالة وأهميتها: «...وبكلمة مجملة كانت دراسة فنية عميقة تتعلق بإعجاز الأسلوب القرآني، وبالبلاغة كفن من فنون القول، فقد جمع فيها روعة من قبله في نظراتهم المنتثرة في تضاعيف كتبهم حول إعجاز النظم وزاد بما يدل على رقة ذوقه، وحصافة عقله، وبعد مرماه لما وراء الصور البلاغية في القرآن من إثارة للحس، ورسم للعواطف، وتشخيص للمعنى الذهني حتى ينبض في عالم المرئيات... »[3]، وبعد فحديث الرماني هذا المتكلم المعتزلي عن البلاغة قليل منه قد استوحاه من سابقيه، وكثيره قد أتى به من ذات نفسه،فأضاف به إضافات جديدة للبلاغة تتمثل في تحديد بعض فنونها تحديداً نهائياً،وبيان أقسام هذه الفنون بوضوح وهذا جهد في تطوير البلاغة ليس بالقليل، وقد أفاد منه البلاغيون من بعده كما تشهد بذلك كتبهم »[4].

02- كتاب إعجاز القرآن للباقلاني(ت403هـ):ولا تخفى أهمية هذا الكتاب وأهمية ما جاء فيه مما كان له أثر في توجيه الدرس البلاغي كما مر معنا فهو: « حلقة متكاملة الأطراف في

---

[1] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص 107 .

[2] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي:دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ،(ط:3؛القاهرة:مكتبة وهبة،2006)، ص107.

[3] فتحي أحمد عامر ، بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ ، ص84 .

[4] عبد العزيز عتيق ، في تاريخ البلاغة العربية ، ص177 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

كل ما ذكر عن إعجاز القرآن»[1]. وقد ترك آثاراً كبيرةً في النقد والبلاغة؛ ذلك أن الباقلاني استقرأ فيه أغلب الدراسات التي سبقته في قضية الإعجاز متخذاً منهجاً جديداً مبنياً على فكرة المفارقة والمخالفة، وإظهار التفاوت بين نظم القرآن وكلام البشر، لذا فقد وازن بين المعجز من كلام الخالق، وبين الرائع من كلام المخلوق؛ ليصل إلى تأكيد فلسفته في المباينة بين النظمين؛ فبعد ما حصر قوالب كلام العرب، بيّن خروج نظم القرآن عنها جميعاً، وعقد لذلك فصلاً لنفي السجع عن القرآن، وآخر لنفي الشعر عنه، وثالثٌ لإبعاد البديع عن دائرة الإعجاز، تأكيداً لأصله السابق، ومنه كان موقفه من البديع والسجع متناسباً مع هذا الأصل الذي طالما ألح عليه وكرّره في كتابه، يقول أحمد جمال العمري: « حيث يحاول بطريقته الخاصة– طوال الكتاب– أن يُثبت تميز الأسلوب القرآني، والبلاغة القرآنية على أسلوب البشر وبلاغتهم »[2] .

هذه المواقف من السجع، والبديع، والإعجاز يبدو أنها قائمة على خلفية دينية وأسس عقيدية، ترجع إلى أصل الأشاعرة في التفريق بين الكلام القديم والكلام الحادث؛ ذلك أن إثبات شيءٌ من ذلك في القرآن يُفسد على الباقلاني الأصل الذي قرّره وهو مخالفة القرآن لسائر نظوم العرب وكلامهم، وهذا ما سيظهر لنا في ثنايا البحث، كما ورد ضمن الكتاب مجموعة من الأفكار البلاغية والنقدية التي كان لها أثرٌ بارزٌ في إثراء الدرس البلاغي وتوجيهه مثل نظرته لوحدة العمل الأدبي، ونظرته للأثر النفسي لنظم القرآن ...وغيرها من النظرات الفاحصة و المتنوعة التي تدل على قدرٍ كبيرٍ من النضوج والدقة في الطرح والتحليل.

والكتاب يمثل في الوقت نفسه نموذجاً لاختلاط العلوم الأدبية كالنقد والبلاغة بالعلوم القرآنية وعلم الكلام، كما يمثل صورةً لتعاطي علماء الكلام لمسائل النقد والبلاغة، فهو في الجملة « ثمرة ذوقٍ رفيع، وموهبة عالية، وثقافة واسعة، واطلاعٌ عميق »[3].

والحديث عن إسهام المتكلمين من خلال كتب الإعجاز يطول، واقتصاري على ذكر الرماني والباقلاني كنموذجين لأهم المدارس الكلامية لا يغض من قيمة ما خلفه غيرهما كالقاضي عبد الجبار (ت 415هـ). في كتابه"المغني في أبواب التوحيد والعدل"، وكالإمام الجرجاني(ت471هـ). والذي يرجع إليه الفضل في إرساء قواعد نظرية النظم التي

---

[1] فتحي أحمد عامر ، بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ ، ص113 .

[2] أحمد جمال العمري ، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني ، نشأتها وتطورها حتى نهاية القرن السابع الهجري (القاهرة : مكتبة الخانجي ، 1990) ، ص212 .

[3] محمد عبد المنعم خفاجي ، الفكر النقدي والأدبي، ص97 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

أصبحت محور الدراسات البلاغية التي جاءت بعده إلى غير ذلك من الرسائل و الكتب المتعلقة ببحث قضية الإعجاز والتي لم تنفك عنها قضايا بلاغية هامة، جعلت من كتبهم معينا ينهل منه البلاغيون على مر عصورهم لدقة تفكيرهم وتعمقهم في دراسة أكثر المباحث البلاغية.

« ومهما يكن من شيء فأكثر ما كتب عن إعجاز القرآن ،إنما كانت أثرًا من تلك الآثار الخالدة التي تركها علماء الكلام في تلك الحقبة الغنية بالبحث والدرس وظلت حتى اليوم ينبوعاً من ينابيع الفكر يردها طلاب الدراسات الإسلامية، وبقيت مؤلفات الإعجاز دليلا على عناية المسلمين بالقرآن من جهة، وعلى أن َ نظمه وتركيبه مجال بعيد المدى لبحوث أخرى من جهة ثانية»[1]، ويقول محمد زغلول سلام مبيناً فضل دراسات الإعجاز وأثرها على الدرس البلاغي« وهكذا كان الفضل لدراسات الإعجاز في نشأة ذوق أدبي – قرآني– في فهم البيان وفنون القول وتقدير أسرار الجمال في الأسلوب العربي. »[2].

ويذهب منير سلطان إلى أن ما أضافوه لا يمكن أن يتاح لغيرهم بسبب تعمقهم من جهة، وسداد مناهجهم من جهة أخرى قائلاً: « وحين استعرضنا جهودهم في الميدان الفني للإعجاز لمسنا أثر تعمق المتكلمين في دراستهم ومدى سداد منهجهم الذي أدى إلى إضافات في فنون البلاغة أضيفت إلى جهود الذين سبقوهم من الرواة والشعراء والنقاد ما كان غيرهم بمستطيع ذلك لولا المتكلمون »[3].

فهذه بعض إسهامات المتكلمين وجهودهم في خدمة القرآن الكريم والبلاغة العربية التي ازدهرت وأينعت على أيديهم وصنعت على أعينهم، وبذلك تركوا لنا تراثاً غنيا ثرياً جمع بين روعة الجمال والفن ودقة المنطق والعقل، فأثروا بذلك البلاغة العربية بما انتهوا إليه من نتائج ممتازة .

---

[1] فتحي أحمد عامر ، بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ ، ص 29 .

[2] محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص 233 .

[3] منير سلطان ، إعجاز القرآن بين المعتزلة و الأشاعرة ،(ط:3؛ الإسكندرية: منشأة المعارف،1986)، ص237 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

المبحث الثاني:

أسباب اهتمام المتكلمين بعلوم البلاغة :

مضى المتكلمون يعنون بالدرس البلاغي، كلٌ بما تجود به قريحته وظل نشاطهم يؤتي ثماره مدفوعين في ذلك بأسباب من أبرزها:

-01

التفسير : فقد استعملت البلاغة كأداة لقراءة النص القرآني، واستجلاء غوامضه، لفهمه وحفظه من الخطأ في التأويل، فمن أراد الوقوف الصحيح على معاني القرآن والسنة وأمثال العرب فعليه الوقوف أولا على أسرار بلاغة العربية وأساليب أحاديثها ودلالات ألفاظها، فللعرب « أمثال واشتقاقات وأبنية وموضوع كلام يدل عندهم على معانيهم وإرادتهم ولتلك الألفاظ مواضع أخرى ولها حينئذ دلالات أخرى فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة والشاهد والمثل فإذا نظر في الكلام، وفي ضروب من العلم، وليس هو من أهل هذا الشأن هلك وأهلك »[1].

وقد ذهب الزمخشري إلى أنّ معرفة البلاغة وأسرارها لا يكشف فقط عن وجوه الإعجاز البلاغي بل يتعداه إلى كشف خفايا معاني القرآن والغوص في خصائصه، حيث يقول في مقدمة تفسيره "الكشّاف": « إنّ أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوا رح،من غرائب نكت يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدقُ سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه و إجالة النظر فيه كل ذي علم ... فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بزّ أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القِريّة أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق،

---

[1] الجاحظ ، كتاب الحيوان تحقيق وشرح عبد السلام هارون، بيروت: دار إحياء التراث العربي،ج1 ، ص 154.153 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما: علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة ... »[1].

يقول شوقي ضيف معلقاً على هذا الكلام: « وواضح أنه يجعل علمي المعاني والبيان أهم عُـدّة لمن يريد أن يفسرّ التنزيل، إذ بدونهما لا تستقيم له الدلالات ولا تتـضح لـه الإشـارات ولا لطائف ما في الذكر الحكيم من الجمال البلاغي المعجز الذي عنت له وجوه العـرب وخـرّوا ساجدين.

وإذن فليس التفسير هو معرفة معاني القرآن الكريم فحسب، بل هو أيضا ًبيـان لأسـرار إعجازه، بل إن نفس معرفة معانيها لا تتم إلا لمن تمت له آلة البلاغة وعرف وجوه الأسـاليب وخصائصها المعنوية وحذق الأسباب المعينة على تمييز صور الكلام البيانية »[2].

بل قد ذهب بعض العلماء إلى أكثر من ذلك، فجعلوا تفهم العربية وتذوقها شرطاً للاتعـاظ بآيات القرآن والتأثر و الانتفاع بها فضلاً عن فهمها فلا « يتعظ الإنسان بالقرآن فتطمئن نفسه بوعده وتخشع لوعيده إلا إذا عرف معانيه وذاق حلاوة أساليبه، ولا يأتي هذا إلا بمزاولة الكلام العربي البليغ مع النظر في بعض النحو؛ كنحو ابن هشام وبعض فنون البلاغة كبلاغـة عبـد القاهر وبعد ذلك يكون له ذوق في فهم اللغة يؤهله لفهم القرآن ... »[3].

كما نجد بعضهم يذهب إلى أبعد من ذلك حين يرجع سبب تخلف المسلمين إلـى فقـدانهم هداية القرآن الكريم الذي سادوا به من قبل وذلك بسبب جهلهم أسرار لغته وبلاغتـه حيـث يقول: «...وما فقد المسلمين هدايته– التي سادوا بها – إلا لجهلهم بأسرار لغته، لذلك يهاجمـه أعداؤه الملاحدة والمستعمرون من طريق لغته ، فليعلم المسلمون هذا ، وليحرصوا على حفـظ دينهم بحفظ لغتهم وممارسة آدابها وأسرار بلاغتها ولتكن غاية هذا كله فهم القرآن ... »[4].

ويقول عبد الكريم الخطيب: « ولا يستقيم هذا القول الذي نقوله: بأنّ القرآن هـو مـصدر التشريع الإسلامي إلاّ بفهم سليم صحيح لكتاب الله ، ولا يكون هذا الفهم السليم الصحيح إلا عن

---

[1] جار الله الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (دمـشق : دارلفكـر) ، ج1، 16.

[2] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ص 221.

[3] محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، (ط: 2 ، دمشق : دار الفكر) ، ج1 ص182 .

4 الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، تقديم محمد رشيد رضا (الجزائر : مكتبة رحاب) ، ص22 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

طول تأمّل وتدبر لكتاب الله ، وتذوق لأساليب بيانه، ووقوف على بعض أسراره، من طول المدارسة للغة العربية، وفقه أساليبه»[1].

« وهكذا عني المتكلمون بفهم القرآن وما فيه من فنون التشبيه والمجاز والبديع وجادلوا في تعبيراته وأداهم هذا الجدل إلى التفنن اللفظي والبحث في القضايا البلاغية»[2].

02-ارتباط علوم البلاغة بقضية الإعجاز القرآني :

إن ارتباط البلاغة بقضية إعجاز القرآن الكريم أمر واضح وجلي، ونظرة سريعة في مصادر البلاغة الأساسية توضح ذلك بجلاء، وإذا كانت هذه القضية واضحة ومستقرة في فطر العرب الأوائل و أذهانهم ، فقد أصبحت في العصور المتأخرة قضية فكرية وعقيدية تحتاج إلى التعليل والشرح والتحليل بعد فقدان العرب لتلك الفطرة ولذلك الحس البلاغي، فأصبحت البلاغة وسيلة من الوسائل التي يعلل بها الإعجاز، يقول السيوطي: « ولا شك أنّ علوم البلاغة الثلاثة هي من أعظم آلات الشرع بل ذكر أنّ كمال الإيمان متوقف عليها لتوقف إدراك إعجاز القرآن الذي هو معجزة النبي صلى الله عليه وسلم على معرفتها »[3] واعتبر المتكلمون البحث في هذه القضية واجباً شرعياً من فروض الكفايات، يقول محمد رشيد رضا: « فالكلام في وجوه الإعجاز واجب شرعا، وهو من فروض الكفاية ... »[4].

ولهذا كانت قضية الإعجاز القرآني من أهم القضايا التي عني بها علم الكلام هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا يخفى ارتباطها الوثيق بالدرس البلاغي من حيث إن أهم وجوه الإعجاز القرآني هو وجه بلاغي، بل عدّت البلاغة دليل الإعجاز، ولذا فقد نوه كثير من العلماء بضرورة معرفة علم البلاغة لفهم الإعجاز، فأبو هلال العسكري: يجعله أهم عدة لمعرفة الإعجاز مقررا « أنّ أحق العلوم بالتعلم، وأولاها بالتحفظ – بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه – علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى »[5].

يقول إحسان عباس معلقا على كلام العسكري السابق: « وإنما يرى أن الكشف عن وجوه البديع وصور البيان وسيلة لإدراك حسن النظم و التأليف، أي أنه يريد أن يتعلم الناس البلاغة

---

[1] عبد الكريم الخطيب ، الإعجاز في دراسات السابقين، (ط :1 ؛ دمشق : دار الفكر 1974) ، ص15 .

[2] عبد العزيز عتيق ، في تاريخ البلاغة العربية، ص24 .

[3] جلال الدين السيوطي ، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، (دمشق : دار الفكر) ، ص3 .

[4] الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، تقديم محمد رشيد رضا (الجزائر : مكتبة رحاب) ، ص 20 .

[5] أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ص1.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

ليتكون لديهم الذوق و الفهم المسعفان على إدراك الإعجاز»[1] فإنّه لا « طريق إلى تحصيله – الإعجاز– لغير ذوي الفطرة السليمة إلا بإتقان علمي المعاني والبيان و التمرن فيهما»[2].

كما أن ابن خلدون يذهب إلى أن ثمرة هذا العلم هي فهم الإعجاز قائلاً : « واعلم أن ثمرة هذا الفن إنما هي في فهم الإعجاز في القرآن، لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة، وهي أعلى مراتب الكمال مع الكلام فيما يختص بالألفاظ، في انتقائها وجودة رصفها وتركيبها، وهذا هو الإعجاز الذي تقصر الأفهام عن إدراكه. وإنما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته، فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه »[3].

فمن تعلم البلاغة وفَقِهَ أصولها أدرك الإعجاز ضرورة و من « أوتي حظاً من بيان هذه اللغة وفاز بسهم رابح من آدابها حتى استكملت له ملكة الذوق فيها لا يملك أن يدفع عن نفسه عقيدة إعجاز القرآن ببلاغته وفصاحته وبأسلوبه في نظم عبارته »[4] وعليه فمن لم يحصّل هذه الملكة لا يمكنه فهم الإعجاز ولا إدراكه، يوضح ذلك محمد رشيد رضا في قوله: « إن هذا النوع من الإعجاز –إعجاز القرآن ببلاغته– يقل من يفقهه في هذا العصر لفقد أهله ملكتي البلاغة الذوقية السليقية والبيانية الفنية بله الجمع بينهما، وهو ضروري لإدراك هذا النوع من الإعجاز»[5].

03 – اتخاذ علوم البلاغة وسيلة لنشر العقائد و الدفاع عنها:

اتُّخذ علم البلاغة وسيلة يفيد منها علماء الكلام في شرح آرائهم وبسط عقائدهم، و الدفاع عنها في مناظراتهم ومجادلاتهم مع خصومهم من أصحاب الملل الأخرى أو من الفرق الإسلامية، و لهذا فقد عرض كثير من المتكلمين من المعتزلة و الأشاعرة في كتبهم لبعض الصور البيانية نافذين من خلالها إلى الردّ على مخالفيهم نقضا لشبهاتهم ودفعا لآرائهم التي أرجعوها إلى جهل المخالفين بوجوه التعبير العربي، ودلالات الألفاظ البلاغية، وقد مدح الجاحظ صنيع المعتزلة

---

[1] إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري،(ط:1 ؛ عمان:دار الشروق2001) ، ص 347.

[2] الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ج2ص180.

[3] ابن خلدون، المقدمة، تح درويش الجويدي، (ط:2؛ بيروت: المكتبة العصرية، 1996) ص 553.

[4] الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، تقديم محمد رشيد رضا ، ص 18 .

[5] محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ج12ص90.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

هذا بقوله: « لولا مكان المتكلمين لهلكت العوام واختطفت واسترقت ولولا المعتزلة لهلك المتكلمون»[1].

وكمثال على ذلك ما قام به الرماني من استغلال لحديثه عن المبالغة –وهي مسألة بلاغيه– ونفوذه من خلالها لتأويل صفة المجيء المذكورة في قوله تعالى:﴿ **وَجَآءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً** ﴾ [الفجر –آية 22] على مذهبه ردا على المشبهة والمثبتة، حيث يقول بعد ذكره لوجوه المبالغة «...ومنها مبالغة بالتعبير عن شيء يصاحبه تعظيما مثل "وجاء ربك و الملك صفا صفا"، فجعل مجيء آياته مجيئا له على المبالغة في الكلام »[2]، و مثل ذلك عند الزمخشري كثير، فمنه ما جاء في تفسيره لسورة القلم في قوله تعالى: ﴿ **يَومَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدعَونَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَستَطِيعُونَ** ... ﴾ [القلم– آية 42] يقول: «الكشف عن الساق مثل في شدّة الأمر وصعوبة الخطب وأصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب ...فمعنى "يوم يكشف عن ساق" في معنى يوم يشتد الأمر ويتفاقم، ولا كشف ثم ولا ساق، كما نقول للأقطع الشحيح: يده مغلولة، و لا يد ثمّ ولا غل، و إنما هو مثل في البخل، وأما من شبّه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم البيان »[3]؛ فهو يقرر هنا عقيدته في نفي صفة الساق، ويصم من يثبتها على ظاهرها بضيق الفهم ،وقلة الزاد في علم البلاغة وفهم المجاز.

ومنه ما أشار إليه شوقي ضيف في قوله« وطبّق الزمخشري هذا المجاز على كثير من الآيات القرآنية، وخاصة تلك التي قد يفهم منها رأي مخالف لبعض الأصول العقيدية للاعتزال ، ففي آية البقرة ﴿ **يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [البقرة –آية 26] يقف عند فكرة الإضلال التي قد يعارض ظاهرها ما يؤمن به المعتزلة من حرية الإرادة أو أن الإنسان حر مختار في أفعاله ، فهو الذي يهتدي و هو الذي يضل بنفسه، ومن ثمّ يقول:" و إسناد الإضلال إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى السبب، لأنه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم»[4]، وهذا ما أكّده ابن خلدون في معرض حديثه عن أهمية البيان في تفسير القرآن و الكشف عن بعض وجوه إعجازه بأن الزمخشري من الذين

---

[1] الجاحظ ، كتاب الحيوان ج4 ص 298.

[2] الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق و تعليق ،محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام ، (ط :4 ، القاهرة : دار المعارف) ، ص104–105.

[3] جار الله الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل ، (دمشق : دار الفكر) ، ج 4 ، ص147.

[4] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ص 242.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

تشرفوا بهذا الفضل لولا استغلاله لهذا الفن لنصرة عقائد أهل الباطل و النفوذ من خلاله لنشرها قائلا: « وأحوج ما يكون إلى هذا الفن المفسرون، و أكثر تفاسير المتقدمين غفل منه، حتى ظهر جار الله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير، وتتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن، بما يبدي البعض من إعجازه، فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير، لولا أنّه يؤيد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه البلاغة »[1].

ويقول في موضع أخر: «ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفسير، كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق، إلاّ أنّ مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض له في آي القرآن من طرق البلاغة »[2].

بل إنّ الأمر يتعدى ذلك إلى بناء النظريات البلاغية على أصول عقائدية، و أبرز مثال على ذلك القول في إعجاز القرآن هل هو راجع إلى فصاحة الألفاظ؟ أم أنه راجع إلى النظم؟ ومن هنا اختلفت الآراء باختلاف المنطلقات العقيدية، فقول المعتزلة بإعجاز اللفظ راجع إلى قولهم بخلق القرآن، على عكس الأشاعرة الذين يقولون بأن الإعجاز وصف يرجع إلى الصياغة والتأليف بسبب دقائق بلاغية في الصياغة لم تكن لها قبل سياقها الذي أخذته في صور نظمها، يقول عبد القاهر:«إن هذا الوصف "الإعجاز" ينبغي أن يكون وصفا قد تجدد بالقرآن وأمرا لم يوجد في غيره ولم يعرف قبل نزوله،وإذا كان كذلك فقد وجب أن يعلم أنّه لا يجوز أن يكون في الكلم المفردة لأن تقدير كونه فيها يؤدي إلى المحال وهو أن تكون الألفاظ المفردة ــ التي هي أوضاع اللغة ــ قد حدث في حذاقة حروفها، وأصواتها أوصاف لم تكن لتكون تلك الأوصاف فيها قبل نزول القرآن، وتكون قد اختصت في أنفسها بهيئات وصفات يسمعها السامعون عليها إذا كانت متلوة في القرآن، ولا يجدون لها تلك الهيئات والصفات خارج القرآن،ولا يجوز أن تكون في معاني الكلم المفردة التي هي لها بوضع اللغة ،لأنه يؤدي إلى أن يكون قد تجدد في معنى الحمد والرب و معنى العالمين والملك واليوم وهكذا وصف لم يكن قبل نزول القرآن وهذا ما لو كان ههنا شيء أبعد من المحال وأشنع لكان إياه»[3].

---

[1] ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص 553.

2 ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ،ص 410 .

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح و تعليق محمد رشيد رضا (بيروت : دار المعرفة،1982) ص284 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

فاكتساب هذه الألفاظ لمعان جديدة لم تكن لها يوهم اكتساب الله تعالى لصفات لم تكن فيه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، يقول شوقي ضيف معلقا على قول عبد القاهر السابق: « فالألفاظ المفردة سواء من حيث أصواتها أو من حيث معانيها لا تدخل في إعجاز القرآن البلاغي، وبالتالي لا تدخل في الفصاحة لأن ذلك يؤدي إلى أن الألفاظ معجزة بأوضاعها اللغوية وما يطوى فيها من أصواتها وزنة حركاتها وسكناتها، ولو صحّ ذلك لبطل إعجاز القرآن وأن هذا الإعجاز شيء تجدّد بنزوله بعد أن كان معدوماً، وحدث بعد أن كان مفقوداً »[1]. يقول منير سلطان: « ولكن نقول أنّ جانب المعنى القائم بالنفس نظرية أشعرية كان لها نصيب كبير في نظرية النظم عند الجرجاني» [2].

كما أن رأي النّظام في إعجاز القرآن بالصرفة صادر عن: « عقيدته في التوحيد والعدل على مذهب المعتزلة، و نفي صفات الله عن ذاته، ومن ثم فلا كلام لله في الشكل اللفظي المعهود من الخلق و إنما كلام الله وحي و إلقاء في الروع. » [3].

فالعقائد هي الدافع و الموجه للمتكلمين في أعمالهم، وكتبهم و مناظراتهم ومحاوراتهم، يقول منير سلطان بعد الإشارة إلى مناحي التفكير عند بعض الفرق الكلامية: « قصدت أن أقدم لأراء المعتزلة و الأشاعرة في الإعجاز بمقدمة في أصل أرائهم الكلامية التي منها صدرت أفكارهم في بحوثهم حين عالجوا القضية»[4]، إذاً فقد عمدوا إلى كثيرٍ من موضوعات البلاغة لتقرير عقائدهم والدفاع عنها، كما لجأ المعتزلة إلى المجاز اللغوي « حتى يتسع أمامهم القول، و حتى يفلتوا من تلك القيود التي ألزمهم بها المجسمة وغيرهم من الطوائف، وبخاصة حين عالجوا التشبيه في القرآن الكريم، ولقد هاجموا اللغويين و المفسرين البسطاء الذين يلتزمون ظاهر اللفظ،وراحوا ينزهون الذات الإلهية عن كل ما ينالها من حسيّة، وجنحوا إلى الصور الذهنية والخيالات المتضمنة ليبرزوا معانيها البعيدة في نفوس الناس، وكان عدتهم في ذلك المجاز اللغوي...»[5].

---

[1] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ص165 .

[2] منير سلطان ، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة (ط: 3 ؛ الإسكندرية : منشأة المعارف ، 1986)، ص 225 .

[3] ينظر محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد،ص 71 .

[4] منير سلطان ، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة ، ص39 .

[5] نفسه ، ص237 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

04- اتصال علوم البلاغة بأساليب الخطابة و الجدل والمناظرة:

ومما يتصل بما ذكرناه من أسباب دفعت المتكلمين إلى الاهتمام بالبلاغة ارتباطها بأساليب الخطابة والجدل والمناظرة، التي أصبحت شغل الناس الشاغل، فظهرت أسئلة تتعلق بأسباب نجاح المناظرة والخطيب في لفت الانتباه إليه وحشد المناصرين حول رأيه وقد ذهب الجاحظ إلى أن "الفصاحة والبيان: « من أكثر ما تستمال به القلوب وتثنى به الأعناق وتزين به المعاني »[1]، فيما نقله من مذهب واصل بن عطاء مقراً له ومشيداً به.

فقد كانت طبيعة المهمة التي اضطلع بها المتكلمون في مناظرة المخالفين من أصحاب الملل والعقائد المخالفة تدفع إلى الاهتمام بمسائل البلاغة والبيان، التي كانت من أهم وسائل الجدل والمناظرة لإقناع الموافقين والمخالفين على سواء « وقد دعتهم رغبتهم في إحكامهم لمناظراتهم ومناقشاتهم أن يبحثوا بحثاً واسعاً في بلاغة الكلام وكيف يبلغ المتكلم الكفاية وغاية الحاجة بل كيف يروع السامعين ببيانه و حلاوة ألفاظه وحسن مخارج حروفه حتى تسكن القلوب إليه وتثلج الصدور ويزخر كتاب البيان والتبيين بوصاياهم التي كانوا يسوقونها إلى تلاميذهم في مجالسهم، وكثيراً ما كانوا يدعون هؤلاء التلاميذ إلى المناظرة بين أيديهم ليمرنوهم ويدربوهم، وليروا مقدار براعتهم وهم أثناء ذلك يبدون ملاحظات مختلفة على إشاراتهم وحركاتهم وأصواتهم وعلى ألفاظهم وأقوالهم وأساليبهم وعلى براهينهم وأدلتهم و أقييستهم وعللهم وما يداخل ذلك كله من فلتات خطاءٍ وسقطات وَهْمٍ وبذلك كانوا أول من وضعوا قواعد البيان العربي»[2].

ولذلك كثر الحديث حول الفصاحة والبلاغة والبراعة في القول وأثرها في الظفر بالخصوم في المناظرات، وقد كان المتكلمون لا يبارون في المناظرة، ولهذا مست حاجة المناظر إلى البلاغة وإتقان فن القول وبذلك مضى المتكلمون في تلقين أتباعهم كيفية المناظرة وفن الخطابة وكيفية صياغة الكلام، صياغة تأسر ألباب السامعين، يقول شوقي ضيف: « ومن يرجع إلى تاريخ البلاغة يلاحظ نص القدماء على أن المتكلمين هم الذين وضعوا في القرنين الثاني والثالث للهجرة أصول البلاغة العربية، وقد يرجع ذلك إلى ما كانوا يأخذون نفسهم به من تلقين الشباب في البصرة كيف يفحمون خصومهم وكيف يصوغون كلامهم صياغة تخلب ألباب

---

[1] الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج1 ،ص14 .

[2] شوقي ضيف ، الفن و مذاهبه في النثر العربي ،(ط6 ، القاهرة : دار المعارف) ، ص131 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

سامعيهم، مما جعلهم يعالجون الموضوعيين الأساسيين للبلاغة وهما: ماذا نقول وكيف نقول، على نحو ما يصور ذلك كتاب البيان والتبيين للجاحظ، وما نثره فيه من ملاحظاته البلاغية وملاحظات غيره من المتكلمين أمثال بشر بن المعتمر والعتابي... »[1]، وهذا الأمر كان مستقراً في أذهان أهل الرأي منذ القدم، فقد ذكر الجاحظ في "البيان والتبيين" أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للرسول عليه الصلاة والسلام « في سهيل بن عمرو الخطيب: يا رسول الله أنزع ثنيتيه السفليين حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبداً»[2]، فهذا دليل من الفاروق t على أهمية البيان في توجيه الآراء و حشد المناصرين لها، وقد ذكر ابن حجر تأييد المصطفى عليه السلام لهذا الرأي في رواية أخرى « قائلا لعمر رضي الله عنه: دعها فلعلها أن تسرك يوما فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم قام سهيل بن عمرو فقال لهم من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌ لا يموت »[3].

5 الدفاع عن العرب والعربية ضدّ النزعة الشعوبية :

فقد وقف المتكلمون ضدَ النزعة الشعوبية- التي لا ترى فضلاً للعرب على غيرهم وتبالغ في تنقصهم و الحط من قدرهم- معتبرين الشعر ببلاغته وفصاحته تراثاً عربيا خالصا، ليس له شبيه لدى الأمم الأخرى وهو بذلك يبرز مكانة العرب اللسانية لذا اعتنوا ببلاغته وأسرار فصاحته وخصائصه، ومن جهة أخرى اعتبر المعتزلة الشعر العربي مصدرا من مصادر المعرفة ووعاء من أهم أوعيتها لفهم النّصّ القرآني وتأويله، مما دفعهم إلى الاهتمام به وببلاغته، وكان لابدَ من التصدي إلى طعن الشعوبيين في الشعر العربي، هذا الطعن الذي لم يحتكم إلى العقل والمنطق، بل كان الدافع إليه هو العصبية الشعوبية « فهي التي أمدّتهم في هذا الموقف بوقود جزل من الخصام و الجدال و الحجاج، وكانوا لا يزالون يدّعون أنّ كلّ ما شغف به الشعراء لهذا العصر من محسّنات بيانية و بديعية كان مردّه إلى البلاغة اليونانية »[4]، فتصدوا لهم باعتماد البلاغة وسيلة لذلك فتفهموها ونظروا فيها لتحقيق هدفهم من ردّ هذه الهجمة على الشعر العربي، و لعلّ: « من أهمّ الأسباب التي دفعت الجاحظ أن يبحث في البيان العربي هذا البحث المستفيض الذي تقرأه في كتاب البيان ، هو ردّ عادية الشعوبية الذين

---

[1] شوقي ضيف ، البحث الأدبي ، ص55 .

[2] الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج1 ، ص58 .

[3] ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت : (دار الكتاب العربي) ،ج2،ص92 .

[4] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، (ط:2 ، مصر:دار المعارف 1973) ، ص 151.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

لا يرون للعرب فضلا على غيرهم من الأمم، و قد يبالغون في ذلك فيذهبون إلى انتقاصهم و الحطّ من قدرهم. و كان من جملة ما تناولوه من مثالب العرب " البيان" الذي يفخر العرب بأنّهم أربابه، و البلاغة التي يقولون أنّهم أصحابها، أمّا الشعوبية والمتعصّبون للعجمية فإنّهم ينكرون عليهم ذلك... و لا يقنع الجاحظ أن يدافع عن العرب و بلاغتهم و بيانهم. و يثبت أصالة البيان عندهم و أنّه فيهم طبع و سليقة. حتّى يسير في الشوط إلى مداه، و يعمد إلى هدم حجج الشعوبية، فيما ذهبوا إليه من تقرير أصالة هذه الأمم التي عدّدوها في فنّ الخطابة و البيان »[1].

يقول محمد بركات حمدي عن الجاحظ: «إذ من غاياته في تأليف البيان والتبيين الانتصار للفصيحة أمام الشعوبية التي كانت تفاخر بحضارتها وسياستها، فوقف الجاحظ أمام هذه الهجمة بعلم العربية الفصيحة رافعاً شعار امتياز العرب بنصاعة البيان ودقة الأسلوب العربي في تراكيبه وصوره وفنونه. »[2].

6- تمدن العرب واستقرارهم :

فالحياة الجديدة التي عاشها العرب في العصر العباسي خاصةً، كانت زاخرة بثقافات مختلفة، ولا بدّ أن تؤثر هذه الثقافات فيما أنتجوه من معارف وعلوم، هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد أدى تحضرهم وتمدنهم إلى نمو العقل العربي نمواً واسعا كان له أثر في نمو النظر في بلاغة الكلام، ولهذا فقد أرجع شوقي ضيف اتساع الملاحظات البلاغية في العصر العباسي الأول إلى تطور النثر والشعر اللذان تطورا مع تطور الحياة العقلية والحضارية للعرب قائلا: « لا نكاد نصل إلى العصر العباسي الأول حتى تتسع الملاحظات البلاغية، وقد أعدت لذلك أسباب مختلفة، منها ما يعود إلى تطور النثر والشعر مع تطور الحياة العقلية والحضارية، ومنها ما يعود إلى نشوء طائفتين من المعلمين، عنيت إحداهما باللغة والشعر، وعنيت الأخرى بالخطابة والمناظرة وإحكام الأدلة ودقة التعبير وروعته »[3].

---

[1] بدوي طبانة ، البيان العربي ، دراسة في تطوّر الفكرة البلاغية عند العرب و مناهجها و مصادرها الكبرى ، (ط:5 ؛ بيروت : دار الثقافة ، 1986) ص 63 .

[2] محمد بركات حمدي أبو علي ، فصول في البلاغة ، (ط:1، عمان : دار الفكر 1983) ، ص 28.

[3] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ص19.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

كما أن التصنع الذي ساد الشعر في تلك الفترة كان انعكاساً لتصنع مماثل في الحياة العربية أدى إلى العناية بوجوه الصنعة –البلاغة– في الشعر. « وما من ريب أن ما انتشر في هذا العصر من غناء وشراب ولهو وتغير عام في الحياة نحو الزخرف والتصنع كان له أثره في هذا الذوق المترف الذي يميل إلى أن يسر التصنع والزخرف في جميع جوانب الحياة، من عمارة أو أطعمة أو فرش، وطبيعي أن يسري هذا الذوق بحياة العباسيين الاجتماعية إلى حياتهم الأدبية، لأنه تعبير عصرهم الذي عاشوا فيه»[1].

07- أثر الترجمة:

أدى ترجمة ما عند اليونان والسريان وغيرهم، من كيف في فنون البلاغة خاصة كتابي: "الشعر والخطابة" لأرسطو إلى ظهور نزعة فلسفية تعمل على اتخاذ فلسفة اليونان وبلاغتهم، معايير للبلاغة العربية، وكرد فعل للتصدي لهذه النزعة ظهرت نزعة أخرى مثّلها اللغويون وردّوا على الفلاسفة بأن الشعر العربي لا يحتاج في بلاغته إلى منطق ولا إلى فلسفة، يقول شوقي ضيف: « وأمّا البيئة الثانية بيئة المتفلسفة والمترجمين فكانت مجددة مسرفة في التجديد، إذ رأت من الواجب أن تتخذ الفلسفة اليونانية ومعايير اليونان البلاغية أصولاً في تقويم البلاغة العربية، مما جعل البيئة اللغوية تعلن النكير عليها»[2].

هذا الصراع دفع المتكلمين إلى اتخاذ موقفٍ وسطٍ بينهما ممّا دفع إلى الاعتناء أكثر بمسائل البلاغة والبيان عند الفريقين، وإلى مد البلاغة بأسباب البحث والنظر المتجدد والمستمر، يصور ذلك شوقي ضيف في قوله: « وكانت تتوسط بينهما نزعة معتدلة في بيئة المتكلمين التي كانت تستمع إلى ملاحظات اليونان وغيرهم في البلاغة، ولكن مع إخضاعها للفكر العربي، والنفوذ منها ومن ملاحظات العرب أنفسهم في البيان إلى وضع قواعده التي تتفق والذوق العربي الأصيل»[3]، وكمثال على ذلك إلحاحهم على قضية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، « وهي صريحة في الصحيفة الهندية، وأغلب الظن أنها تسربت إليهم أيضاً في بعض ما تُرجم لأفلاطون من محاورات أو لأرسطاطاليس من كلام في الخطابة، وربما سمعوها من المسيحيين السريان الذين كانوا يكثرون من جدالهم »[4] .

---

[1] شوقي ضيف ، الفن و مذاهبه في النثر العربي ص131 .

[2] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، ص151 .

[3] شوقي ضيف ، البحث الأدبي ، ص55–56 .

[4] شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ص132 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

وبسبب هذا أقبل المتكلمون على دراسة ما خلفه أسلافهم من موضوعات بلاغيـــة وعلـــى دراسة كل ما وصل من ملاحظات عن الفرس واليونان وغيرهم محاولين بذلك وضع أصـــول وقواعد واضحة وراسخة للبلاغة العربية .

إلى غير ذلك من أسباب كان لها أثر من قريب أو من بعيد دفعت إلى نمو الدرس البلاغي في هذه البيئة، وعلى يد هاته الفئة، وكان من أبرز نتائجها ما أشرنا إلى بعضه آنفاً .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

المبحث الثالث

وجـــوه إعـــجاز الـــقـــرآن

لم تكن قضية إعجاز القرآن الكريم في العصور الأولى –خاصة عصر الصحابة والتـــابعين– قضية تحتاج إلى نظر و استدلال وكلام وسجال، فقد شهدت بذلك فطرهم الـــسليمة وقـــرائحهم العربية النقية وملكاتهم العقلية الفذّة، ولكن لما اختلط العرب بالأعـــاجم –فـــي القـــرن الثالـــث الهجري خاصة–وفسدت أذواق الناس، وأثيرت الشبهات حول قضايا عقيدية من أبرزها مسألة كلام الله عز وجل حقيقته، وحقيقة إعجازه، استحوذت هذه المسألة على قدر كبير من اهتمـــام العلماء وعنايتهم، وكانت هي الدافع الكبير وراء ما بذلوه من جهود طيبة ومباركة يبتغون مـــن ورائها تحقيق هدف ديني عظيم حري بأن يبذل في سبيله كل جهد وتستنفذ كل طاقـــة لتعلقـــه بأصل الدين وأساس الملة؛ لأن التسليم بإعجاز القرآن يؤدي إلى التسليم بأنـــه مـــن عنـــد الله، وبالتالي فكل ما فيه حق خالص لا سبيل إلى الباطل إليه، فخاض الناس في هذه القـــضية كـــلٌ حسب عقيدته وفكره، وانبرى كثير من العلماء لتفنيد ما رُمي به القرآن من مطاعن وشـــبهات، ومن هنا أُلِفت كثير من الكتب وصنفت كثير من الرسائل في إعجاز القرآن الكـــريم ومناحيـــه وصوره، يثلج بها صدر كل مؤمن ويطرب لها قلب كل مسلم، يقول الرافعي في بيان شيء من أسباب تصنيف العلماء في الإعجاز: «...فلمّا فشت مقالة بعض المعتزلة بأن فصاحة القـــرآن غير معجزة؛ وخيف أن يلتبس ذلك على العامة بالتقليد أو العادة، وعلى الحشوة من أهل الكلام الحاجة

إلى بسط القول في فنون فصاحته ونظمه ووجه تأليف الكلام فيه... »[1]، ويوضح ذلك بغـــدادي بلقاسم في قوله: « ففي بداية القرن الثالث الهجري احتدم الجدال حول مسألة وجـــوه إعجـــاز القرآن و أول ما فتح الباب فيه هو قول بعض علماء المعتزلة بفرضية الصرفة،...وقد تصدى كثير من العلماء للرّد على أصحاب هذه الفكرة وألفوا في ذلك كتبا ورسائل احتجوا فيها لـــنظم القرآن، وبينوا فيها فساد فكرة الصرفة.. »[2]، وبذلك غدت هذه القضية من أخطر القضايا التي جابهت الإسلام والمسلمين، والتي اتخذها أعداء الإسلام وسيلة لزعزعة العقيدة، و الطعن فـــي

---

[1] مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص151 .

[2] بغدادي بلقاسم ، المعجزة القرآنية ، ص222 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

قدسية الوحي، يقول منير سلطان: « من أخطر القضايا التي جابهت الإسلام والمسلمين قضية إعجاز القرآن، لقد دلف منها المغرضون يبغون تحطيم العقيدة وقدسية الوحي..واندفع علماء المسلمين، من لغويين ومفسرين ومتكلمين يدافعون عن القرآن،كلٌ بما أوتي من سلاح »[1] .

و قبل الحديث عن أهم وجوه الإعجاز في القرآن الكريم يحسن الوقوف عند مفهومه وأهم المؤلفات فيه، ومن ثمَّ بيان حقيقته آخر المبحث .

:

لغة : ع ج ز (عجز) عن الشيء عجزاً من باب هرب،....وأعجزه الشيء فاته،وأعجزت زيداً وجدته عاجزاً، وعجزته تعجيزاً جعلته عاجزاً [2].

اصطلاحا : عرفه الرافعي بقوله: « و إنما الإعجاز شيئان : –

1 – ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته .

2 – ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه، فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت »[3].

المؤلفات في الإعجاز :

يقول بغدادي بلقاسم: « لا يعرف بالضبط متى بدأ البحث في هذا الموضوع ، ولكن يفهم من كلام الخطابي السابق الذكر –يقصد قوله في رسالته إعجاز القرآن :"قد أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديما وحديثا"– أنه قديم ، وقد يكون بدأ في القرن الثاني الهجري وهو العصر الذي بدأ فيه المفسرون الأولون يدونون ما انتهى إليهم من تفسير عن طريق الرواية الشفوية، ولا ريب أن الكتابة العلمية فيه بدأت قبل الجاحظ بشهادة الباقلاني »[4] الذي يقول: « وقد صنف الجاحظ في نظم القرآن كتاباً لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله »[5]، فهو يصرح بأن هناك من قال شيئا في الإعجاز قبل الجاحظ الذي ألف كتابه بعد احتدام الجدال حول مسألة إعجاز القرآن بظهور مقالة المعتزلة وانتشارها بأن فصاحة القرآن غير معجزة وخشي العلماء التباس

---

[1] منير سلطان ، إعجاز القرآن بين المعتزلة و الأشاعرة ، ص 13 .

[2] أحمد بن محمد الفيومي المقري ، المصباح المنير ، (القاهرة : دار الحديث ، 2003) ، ص234–235 .

[3] الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،ص139 .

[4] بغدادي بلقاسم ، المعجزة القرآنية ، ص221 .

[5] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص5 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

الأمر واختلاطه على العامة، الذين لا رسوخ لهم في اللغة ولا سليقة في الفصاحة، فمست « الحاجة إلى بسط القول في فنون فصاحته و نظمه ووجه تأليف الكلام فيه، فصنف أديبنا الجاحظ المتوفى سنة (255) كتابه "نظم القرآن" وهو فيما ارتقى إليه بحثنا أول كتاب أفرد لبعض القول في الإعجاز أو فيما يهيئ القول به ... »[1] إلا أن هذا الكتاب مفقود، وأول كتاب توسع في شرح الإعجاز، هو كتاب إعجاز القرآن للواسطي، يقول الرافعي: « بيد أن أول كتاب وضع لشرح الإعجاز وبسط القول فيه على طريقتهم في التأليف، إنما هو فيما نعلم كتاب "إعجاز القرآن" لأبي عبد الله محمد بن يزيد الو اسطي المتوفى سنة (306). »[2] .

ثم ظهرت في القرن الرابع رسالة للرماني (ت 328 هـ) في إعجاز القرآن، أشار الرافعي في كتابه السابق إعجاز القرآن إلى أنها تمثل المرحلة الثالثة، كما أشار إليها السيوطي أيضا في الإتقان (ص 326) و ممن ألف في الإعجاز في هذا الوقت أيضا الإمام الخطابي (ت 388 هـ).

ومع اتساع مجالات علم الكلام، وتفشي بعض مظاهر الإلحاد أخذت بحوث الإعجاز تتخذ حالة أكثر تطورا فظهر كتاب إعجاز القرآن للباقلاني (403 هـ) الذي يعد من أفضل ما ألف في هذا القرن، بالإضافة إلى ما تركه الجرجاني الذي وضع نظرية النظم ؛ والتي كان لها الأثر الذي لا يخفى فيما بعد.

هذان الأخيران فتحا الباب أمام الباحثين في قضية الإعجاز وتميزت بحوث الإعجاز عن البلاغة، واتسع الاهتمام بالبحث في الإعجاز ليشمل فئات مختلفة: متكلمين، ومفسرين، وبلاغيين، ولغويين، وغيرهم .

فنجد الغزالي، والقاضي عياض، و الزمخشري، وابن عطية في القرن السادس،وفي القرن السابع نجد الرازي، و السكاكي، و القرطاجني، وفي القرن الثامن نجد آراء قيمة في الإعجاز لابن تيمية، و الخطيب القزويني، والعلوي، وابن القيم،وتتابعت الكتابات في الإعجاز القرآني بعد ذلك فنجد، في القرن التاسع آراء لابن خلدون، ويظهر في القرن العاشر السيوطي وكتابه "الإتقان"، و في القرن الذي بعده نجد الشهاب الخفاجي، وفي القرن الثالث عشر نجد آراء قيمة

---

[1] الرافعي، إعجاز القرآن ، ص 151 .

[2] الرافعي، إعجاز القرآن ، ص 152 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

لبرهان الدين الزركشي في كتابه "البرهان"، كما نجد آراء فذة تناولت الإعجاز بتفصيل عند الزرقاني في "مناهل العرفان" ....

والمحصلة؛ أنه لم ينصرم زمن إلا وفيه من تناول قضية الإعجاز، كل بحسب توقد فكره واتساع علمه، ولم نعدم في القرن الأخير من شغلة الإعجاز كالرافعي في كتابه "إعجاز القرآن" و محمد رشيد رضا في تفسيره "المنار" وعبد الله دراز في كتابه "النبأ العظيم"، وسيد قطب في "التصوير الفني في القرآن" و محمد سعيد البوطي وغيرهم كثير لا يحصون عددا، ممن شرفهم الله بالاشتغال بهذا الموضوع والتأليف فيه.

وجـــوه الإعجـــاز : (الإعجاز في نظم القرآن وبلاغته)

لا يسع أي باحث في كتاب الله عز وجل أن يحيط بوجوه إعجـــاز القـــرآن الكـــريم كلهـــا ولا بأكثرها، فلا يحيط بكلام الله إلا الله، يقول الرافعي: « ولسنا نزعم – حفظك الله – أن كتابنـــا هذا على ضعفه وقله الحشد فيه قد أحاط بوجوه الإعجاز من كتاب الله، لا يغادر صـــغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، و إنا لم ندَع من ذلك لغيرنا ما يرفعه أو يضعه وما ينقصه أو يتمه، فـــإن من ادعى ذلك فقد زعم باطلا ... »[1]، ويقول محمد رشيد رضا: « ولما كان إعجـــازه لمزايـــا فيه تعلو قدرة المخلوق علما وحكماً وبيانا للعلم والحكمة حار العلماء في تحديد وجه الإعجـــاز بعد ثبوته بالعلم اليقيني الذي بلغ حد الضرورة في ظهوره ... »[2].

فالناظر: « في هذا الكتاب الكريم بإنصاف تتراءى له وجوه كثيرة مختلفة من الإعجاز، كما تتراءى للناظر إلى قطعة من الماس ألوان عجيبة متعددة بتعدد ما فيها من زوايا وأضـــلاع، و مختلفة باختلاف ما يكون عليه الناظر و ما تكونن عليه قطعة الماس مـــن الأوضـــاع ... »[3]، ويقول علي حسن الطويل: « والمتدبر لكتاب القرآن يستخلص منه وجوه متعددة من الإعجـــاز تصعب الإحاطة بها وإنما يبلغ منها مقداراً يتناسب مع قدراته العلمية، وما وصل إليـــه فكـــره المحدود بثقافة الزمان والمكان »[4] فأمر الإعجاز « لا يمكن أن تحيط به أنظار الناظرين مهما

---

[1] الرافعي، إعجاز القرآن ، ص 25 .

[2] محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج1 ، ص 198 .

[3] محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح أحمد بن علي، (2001 ، القاهرة: دار الحديث)، ج2 ، ص278 .

[4] علي حسن الطويل ، الدلالات اللفظية وأثرها في استنباط الأحكام من القرآن الكـــريم،(ط:1 ؛2005 ، بيـــروت : شـــركة البشائر الإسلامية) ، ص98 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

كثرت، ولا أن تحده مقولات القائلين وإن تجاوزت الحصر والعد، فكل نظر وتدبر في آيات القرآن الكريم، هو وجه جديد من وجوه إعجازه، ولو كان هذا النظر بعدد أفراد الناس فرداً فرداً، وبعدد اختلاف نظرات الفرد حالاً حالاً، على امتداد الزمان واختلاف الأزمنة والأوطان .... ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ البَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً** ﴾ **[**الكهف –آية 109**]** »[1]، وسيظل الإعجاز القرآني«معيناً يستخرج منه جديدٌ في كل عصر، وهكذا يظل القرآن يظهر إعجازاً لكل عصر من العصور، فهو متجدد دائماً مما يثبت ويبرهن أن هذا القرآن ليس من عند بل هو ﴿**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾ **[**هود –آية1**]**»[2].

ومن هنا فقد تعددت الآراء في أوجه الإعجاز، بتعدد المنطلقات و اختلاف وجهات النظر في القرآن الكريم، فمن قائل أنه معجز بالصرفة، ومن قائل أنه معجز بالبلاغة، وآخر بالنظم، ومنهم من ذهب إلى أنه معجز بما جاء فيه من أخبار ماضية ومستقبلة، والذي يظهر أن الإعجاز يرجع إلى نظم القرآن، وبلاغته ودقة فصاحته، وهذان الوجهان مذكوران عند أكثر الباحثين في هذه القضية.

يقول القاضي عياض بعد أن ذكر أن القرآن منضوٍ على وجوه من الإعجاز كثيرة وحاول ضبط أنواعها في وجوه محصورة: « ثم إعجازه – كما تقدم – بوجهين، طريق بلاغته، وطريق نظمه ... »[3]، وما ذلك إلا لأنه لم يصح وجه آخر غيرهما للإعجاز عند قيام التحدي به في حدود ما نزل أولا في بداية الدعوة الإسلامية، هذا التحدي« إنما هو تحدٍ بلفظ القرآن ونظمه وبيانه لا بشيء خارج عن ذلك، فما هو بتحدٍ بالإخبار بالغيب المكنون، ولا بالغيب الذي يأتي تصديقه بعد دهر من تنزيله، ولا بعلم ما لا يدركه علم المخاطبين به من العرب، ولا بشيء من المعاني ممّا لا يتصل بالنظم والبيان »[4]، فقد كان هذا هو الوجه الوحيد الذي وقع به التحدي ابتداءً وكل ما عداهما من وجوه الإعجاز كالإعجاز العلمي والغيبي والتشريعي

---

[1] عبد الكريم الخطيب ، الإعجاز في دراسات السابقين ، ص156 .

[2] عبدالله دراز،النبأ العظيم،تخريج وتعليق عبد الحميد الدخاخين،(ط:1؛1997 ، الإسكندرية : دار المرابطين للنشر)،ص

[3] القاضي عياض ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، حققه وخرج أحاديثه حسين نيل، (ط:1 ؛1995 ، بيروت: دار الأرقم) ، ج 1، ص324 .

[4] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية ترجمة عبد الصبور شاهين تقديم محمد رشيد رضا،(ط:4 ؛1987 ، دمشق: دار الفكر) ص25 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

... لا يصح التحدي بهما إلا عند نزول القرآن كاملاً، فالسابقون« الذين قالوا بإعجاز القرآن لما فيه من تشريع أو علوم أو مغيبات إنما نظروا في القرآن جملة وبعد ما تم نزوله كاملاً »[1]، ولذا فقد وجّه سيد قطب نظر الباحثين في الإعجاز إلى ما قبل اكتمال نزول القرآن قائلا: « فيجب أن نبحث عن "منبع السحر في القرآن" قبل التشريع المحكم، وقبل النبوءة الغيبية، وقبل العلوم الكونية، وقبل أن يصبح القرآن وحدة مكتملة تشمل هذا كله، فقليل القرآن الذي كان في أيام الدعوة الأولى كان مجرداً من هذه الأشياء التي جاءت فيما بعد، وكان –مع ذلك– محتوياً على هذا النبع الأصيل الذي تذوقه العرب، فقالوا إن هذا إلا سحرٌ يؤثر »[2]، و المعروف أن التحدي كان منذ بداية نزوله، وآيات التحدي كانت قبل الهجرة يقول المحمدي: « وكل هذه الآيات في المعاجزة نزلت قبل الهجرة »[3]، ولما « نظر سيد قطب في أول ما نزل من الآيات والسور والتي أحدثت فيهم هذا الأثر فوجدها تخلوا –تقريباً– من الوجوه التي فُسر بها إعجاز القرآن بعد ذلك، ولكنها تشتمل على البيان الساحر والنسق الفني والتصوير المعجز، فأدرك أن الإعجاز إنما يكمن في بيان القرآن ونسقه وتصويره وفنه »[4]، بالإضافة إلى ذلك فإن التحدي و الإعجاز إنما يكون بشيء يبرع فيه القوم و يحسنونه ويتقنونه، لكي تقع حقيقة التحدي والإعجاز– كما هو الحاصل عند الأمم الأخرى–، و لا يخفى أن القرآن نزل بلسان عربي مبين، في أمة لها باعها الطويل في الفصاحة والبيان وقوة البلاغة وروعة الأسلوب، حتى كانت لهم الإمامة المطلقة في هذا المجال، ولقيمة هذا عندهم كانت لهم الأسواق والمواسم والمنتديات الكبيرة التي يعرضون فيها نفائس البضائع البيانية، و أجودها شعرا ونثرا وخطابة، كما تعرض السلع الأخرى بل أكثر، ولهذا كانت بلاغة القرآن وروعة نظمه سبباً في الإيمان به يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: « و إذا تجاوزنا عن النفر القليل الذين كانت شخصية محمد صلى الله عليه وسلم – وحدها هي داعيتهم إلى الإيمان في أول الأمر، كزوجه خديجة، وصديقه أبي بكر، وابن عمه علي، ومولاه زيد، و أمثالهم فإنا نجد القرآن كان العامل الحاسم أو أحد العوامل الحاسمة في إيمان من آمنوا أوائل الدعوة، يوم لم يكن لمحمد صلى الله عليه

---

[1] صلاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، (1980 ، الرغاية : المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية) ، ص 285 .

[2] سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن الكريم، (ط:15 ؛2001 ، القاهرة: دار الشروق) ص18 .

[3] المحمدي ، دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن (ط:1 ؛1994 ، دار الطباعة المحمدية الأزهر)ص40 .

[4] صلاح الخالدي ، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، ص 286

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

وسلم حول ولا طول ويوم لم يكن للإسلام قوة ولا منعة، وقصة إيمان عمر بن الخطاب، وتولي الوليد بن المغيرة نموذجان من قصص كثيرة للإيمان والتولي وكلتاهما تكشف عن هذا السحر القرآني الذي أخذ العرب منذ اللحظة الأولى، وتُبينان في اتجاهين مختلفين عن مدى هذا السحر القرآني الذي يستوي في الإقرار به المؤمنون والكافرون ... »[1].

والروايات في تأثير القرآن على أساطين البلاغة و فرسان البيان كثيرة، تؤكد هذا الوجه من الإعجاز، ومن كل هذا يظهر أن « الإعجاز فيه راجع إلى بلاغته وفصاحته ونظمه نظما تحققت فيه أسرار الجمال الفني على الأصول التي وضعها البلاغيون ونقاد القول»[2].

و في الأخير يصور لنا الرافعي حقيقة الإعجاز، بعد تصفحه وبحثه الطويل ونظره الدقيق في آراء من قبله قائلا:« ...نقول إن الذي ظهر لنا بعد كل ذلك واستقر معنا، أن القرآن معجزٌ بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه، حين ينفي الإمكان بالعجز عن غير الممكن، فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الإنسانية مبلغا وليس إلى ذلك مأتى و لا جهة؛ وإنما هو أثر كغيره من الآثار الإلهية، يشاركها في إعجاز الصنعة وهيئة الوضع، وينفرد عنها بأن له مادة من الألفاظ كأنها مفرغة إفراغاً من ذوب تلك المواد كلها ... »[3].

وسيظل البحث في وجوه الإعجاز ومناحيه قائما، ولن يقف العلماء فيه عند حد معين،لأن القرآن لا تنتهي عجائبه ولا تنقضي غرائبه، وسيظل في جماله وجلاله وإعجازه كما نزل به الروح الأمين على الأمين صلى الله عليه وسلم.

---

[1] سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن الكريم ، ص11 . وانظر سيرة ابن هشام :قصة إسلام عمر و تولي الوليد.

[2] عبد الرؤوف مخلوف ، من قضايا اللغة والنقد والبلاغة، (ط:1 ؛ الكويت :مكتبة الفلاح ، 1981) ، ص131.

[3] الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص156 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

الفصل الأول

الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن

المبحث الأول:

ترجمة الإمام الباقلاني

المبحث الثاني:

التعريف بكتاب إعجاز القرآن

المبحث الثالث:

أسس التحليل عند الباقلاني ومنهجه في إثبات الإعجاز

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

المبحث الأول:

تــرجــمــــة الإمـــام البـــاقــلاني

01- اسمه و نسبه:

هو الإمام الثقة البارع أوحد المتكلمين ومقدم الأصوليين أبو بكر محمد بن الطيب بن محمـــد بن جعفر بن قاسم البصري ثم البغدادي ابن الباقلاني، لقب « بشيخ السنة، ولسان الأمة، المتكلم على مذهب المثبتة، و أهل الحديث »[1].

قال ابن خلكان في نسبته: « هذه النسبة إلى الباقلي وبيعه، وفيه لغتان: من شدّد اللام قصر الألف ومن خففها مد الألف فقال: باقلاء. وهذه النسبة شاذة لأجل زيادة النون فيها. وهو نظير قولهم في النسبة إلى صنعاء: صنعاني وإلى بهراء :بهراني»[2].

02- مولده ونشأته:

ولد الإمام الباقلاني بالبصرة، ولم يحدد أحد من المؤرخين سنة ولادته، وقد نشأ فيها وأخذ العلم عن كبار علمائها ممن اشتهر بالتقوى والورع وجمع إلى العلم العمل،ثم انتقل إلى بغـــداد وأخذ عن شيوخها أيضا واستقربها حتى وافته المنية فيها.

03- شيوخه :

تتلمذ الباقلاني على يد كبار علماء عصره وأبرزهم في شتى التخصصات :

فقد أخذ الفقه عن أبي بكر الأبهري شيخ المالكية في عصره، وكانت له معه صـــحبة طويلـــة وحظوة كبيرة فلازمة إلى وفاته، ومما يؤثر عن الأبهري « أنه أخرج في أخر حياتـــه ثلاثـــة الآف مثقال وفرقها على تلامذته وكانوا جماعة وافرة وآثر الباقلاني فأعطاه منها مئة مثقال»[3].

وأخذ علم الحديث ومصطلحه عن أبي بكر أحمد بن جعفر بن مالك القطيعي.

وأخذ علم الأصول عن أبي عبد الله محمد الشيرازي وابن بهتة محمد بن عمر البزاز والحسين بن علي النيسابوري.

---

[1] القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، تح أحمد بكير محمود (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة) ج4 ، ص 585 -586.

[2] ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، (دمشق : دار الفكر) ج4، ص 270 .

[3] الباقلاني، إعجاز القرآن، تح أحمد صقر، ص18 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

كما أخذ عن أحمد أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري وعن أبي محمد عبد الله أبي زيد القيرواني، وأخذ علم الأصول وعلم الكلام عن أعرف الناس بمذهب الأشعري وأكثرهم فقها له وأقواهم حجة في الدفاع عنه وأقرب الناس وأخصهم صحبة له وهما:

- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد. البصري صاحب أبي الحسن الأشعري.
- أبو الحسن الباهلي البصري صاحب أبي الحسن كذلك والذي كان يحتجب عن كل طلابه إلا ثلاثة منهم الباقلاني.

هذان الإمامان كان لهما الأثر الواضح في توجيه آراء الباقلاني؛ إذ تلقى عنهما قواعد المذهب الأشعري وأصوله فتفهمه وفقهه، ثم اندفع في نشره ونصرته و الذب عنه بما عرف عنه من قوة في الحجة وبراعة في المحاورة وسرعة في البديهة وطلاقه في اللسان وغزارة في البيان، فتصدى لأهل الأهواء والفرق والملل في مناظراتهم التي سيأتي شيء من ذكرها.

04- مناظراته :

كان الإمام الباقلاني شديد الذكاء حاضر البديهة موصوف بجودة الاستنباط وسرعة الجواب وحسن التصرف على البديهة حتى قال أبو محمد البافي: « لو أوصى رجل بثلث ماله أن يُدفع إلى أفصح الناس، لوجب أن يدفع إلى أبي بكر الأشعري »[1].

وما ذلك إلا لاشتهاره بفصاحته وفطنته التي كان يفحم فيها مناظريه « فقد ذكر الخطيب وغيره عنه أن عضد الدولة بعثه في رسالة إلى ملك الروم، فلما انتهى إليه إذا هو لا يدخل عليه أحد إلا من باب قصير كهيئة الراكع ففهم الباقلاني أن مراده أن ينحني الداخل عليه كهيئة الراكع لله عز وجل فدار استه (دبره) إلى الملك ودخل الباب بظهره يمشي إليه القهقرى فلما وصل إليه إنفتل فسلم عليه فعرف الملك ذكاءه ومكانه من العلم والفهم فعظمه ... »[2]، وقيل أنه دخل إليه يوماً فرأى عنده بعض مطارنته ورهبانتيه فقال له مستهزئاً به كيف أنت و كيف الأهل والأولاد؟ فتعجب الرومي منه وقال له ذكر من أرسلك في كتاب الرسالة أنك لسان الأمة ومتقدمٌ على علماء الأمة أما علمت أننا ننزه هولاء عن الأهل والأولاد؟ فقال القاضي

---

[1] الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام (المدينة المنورة: المكتبة السلفية) ،ج5 ، ص380 .

[2] ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، خرّج أحاديثه محمد بيومي وآخرون، (المنصورة: مكتبة الإيمان)، ج11، ص 365 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

أبوبكر: أنتم لا تنــزهون الله سبحانه وتعالى عن الأهل والأولاد وتنزهونهم فكأن هولاء عندكم أقدس وأجل وأعلى من الله سبحانه وتعالى فوقعت هيبته في نفس الرومي »[1].

ثم إنه « قد سأله بعض الأساقفة بحضرة ملكهم ، فقال ما فعلت زوجة نبيكم؟ وما كان مــن أمرها بما رميت به من الإفك؟ فقال الباقلاني مجيبا له على البديهة: هما امرأتان ذكرتا بسوء: مريم، وعائشة فبرأهما الله عزّوجلّ وكانت هذه ذات زوج ولم تأت بولد، وأتت مريم بولد ولــم يكن لها زوج.- يعني: أن عائشة أولى بالبراءة من مريم- وكلتاهما بريئة مما قيل فيها، فــإن تطرق في الذهن الفاسد احتمال ريبة إلى هذه فهو إلى تلك أسرع، وهما بحمد الله منـــزّهتان مبرأتان من السمــاء بوحي الله عز وجل عليهما الســلام »[2].

فهذه لمحة يسيرة عن بعض مناظراته في مجلس ملك الروم، و أخباره معه والتــي ذكــر الكثير منها القاضي عياض في ترتيب المدارك وغيره من أصحاب السير حتــى خــشي منــه بطاركة الروم على دينهم ونحلتهم، فقد « روى أن ملك الروم قال للبطرك: ما ترى في أمــر هذا الشيطان؟ فقال : تقضي حاجته، وتلاطف صاحبه، وتبعث بالهدايا إليه، وتخرج هذا عــن بلدك من يومك إن قدرت، و إلا لم آمن الفتنة به على النصرانية. ففعل الملك ذلك »[3].

أما عن مناظراته مع شيوخ المعتزلة وغيرهم من أهل الفرق فنذكر منها مايلي:

- سأله الأحدب أحد كبار المعتزلة قائلا: « هل لله أن يكلف الخلق مالا يطيقون؟ أولــيس لــه ذلك؟ فرد عليه ابن الباقلاني بقوله: إن أردتم بالتكليف القول المجرّد فقد وجــد ذلــك، لأنّ الله تعالى قال: [**قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا**][الإسراء- آية 50] و نحن كبشر لا نقدر أن نكــون حجارة أو حديدا .

وقال تعالى: [**أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلاَّ مَــا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ**] [البقرة -آية31-32] فطالبهم بما لا يعلمون .

و قال جلّ ذكره[**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى الــسُّجُودِ فَلَــا يَــسْتَطِيعُونَ**] [القلــم- آية42]،و هذا كلّه أمر لا يقدر عليه الخلق.

---

[1] تبيين كذب المفتري فيما نُسب إلى الإمام أبي حسن الأشعري، لابن عساكر الدمشقي، (ط:3؛ 1984 ، بيروت: دار الكتاب العربي)، ص218-219 .

[2] ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج 11 ص 366 .

[3] عبد العزيز عتيق ، في تاريخ البلاغة ،ص112 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

و يضيف: وإن أردتم بالتكليف الذي نعرفه، وهو ما يصحّ فعله و تركه، فالكلام متناقض، و سؤالك فاسد، فلا تستحقّ جوابا؛ لأنّك قلت: ضمن سؤالك: تكليف.و التكليف: اقتضاء فعل ما فيه مشقّة على المكلّف، و مالا يطاق، لا يفعل لا بمشقة و لا بغير مشقة، فلم يحر- شيخ المعتزلة – جوابا .

و التفت الملك – عضد الدولة – الذي كان يحضر تلك المناظرة و قال : تكلّم و أكمل المسألة ... فقلت : ما لا يطاق على ضربين : أحدهما لا يطاق بالعجز عنه ، و الآخر لا يطاق للاشتغال عنه بضده . مثلما يقال : فلان لا يطيق التصرّف لاشتغاله بالكتابة و ما أشبه ذلك، و هذا سبيل الكافر: أنّه لا يطيق الإيمان لا لأنّه عاجز عن الإيمان؛لكنّه لا يطيقه لاشتغاله بضده الذي هو الكفر، فهذا يجوز تكليفه بما لا يطاق .

و أمّا العاجز فما ورد في الشريعة تكليفه، و لو ورد لكان جائزا و صوابا، وقد أثنى الله تعالى على من سأله أن لا يكلفه ما لا يطيق، فقال عزّ من قائل: [**وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ**][البقرة –آية 286] لأنّ الله تعالى له أن يفعل في ملكه ما يريد... »[1]، وأيد العلماء و الملك–عضد الدولة– قول ابن الباقلاني وسأله النصيبينى، و هو أحد غلاة المعتزلة فقال: « هل يرى الباري سبحانه وتعالى بالعين؟ وهل تجوز الرؤية عليه أو تستحيل؟ وكل شيء يرى بالعين... فيجب أن يكون المرئي في مقابلة العين؟!

فأجاب الشيخ الباقلاني بقوله: لو كان الشيء يرى بالعين لوجب أن يكون في مقابلة العين على ما قال.. ولكن لا يرى الله بالعين، فتعجب الملك من قولي! والتفت إلى قاضى القضاة، فقال: إذا لم ير الشيء بالعين، فبأي شيء يرى؟ فقال: يسأله الملك . فقال: أيها الشيخ فبأي شيء يرى إذا لم ير بالعين؟!

فقلت: يرى بالإدراك الذي في العين، ولو كان الشيء يرى بالعين لكان يجب أن ترى كل عين قائمة. وقد علمنا أن الأجهر عينه قائمة ولا يرى شيئا! فزاد الملك تعجبا! وقال للنصيبينى كبير المعتزلة تكلم.

فقال: إني لم أعلم أنّه يقول هذا .. ولا بنيت إلا على ما نعرف، وظننت أنه يسلم أن الشيء يرى بالعين! فغضب الملك وقال: ما أنت مثل الرجل، لأنك بنيت المسألة على الظن، ثم التفت إلي وقال: تكلم أنت. فقلت: العين لا ترى. وإنما ترى الأشياء بالإدراك الذي يحدثه الله تعالى

---

[1] أحمد صقر ، مقدمة على إعجاز القرآن ص 23 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

فيها، وهو البصر. ألا ترى إن المحتضر يرى الملائكة،ونحن لا نراهم؟ وكان النبي عليه السلام، يرى جبريل عليه السلام ولا يراه من يحضره؟ والملائكة يرى بعضهم بعضا ولا نراهم نحن؟

والدليل على جواز رؤية الباري تعالى أنه ليس فيها قلب للحقائق، ولا إفساد للأدلة،ولا إلحاق صفة نقص بالقديم تعالى ، فوجب أن يكون كسائر الموجودات، لأنه تعالى موجود .

و الشيء إنما يرى لأنه موجود؛ لأن المرئي لم يكن مرئيا؛ لأنه جنس، لأنا نرى سائر الأجناس المختلفة، ولا لقيام معنى بالمرئي؛ لأنا نرى الأعراض التي لا تحمل المعاني، وقد ثبت بالنص وجوب رؤية الحق سبحانه في الدار الآخرة»[1]، ولما انقض المجلس وخرج الباقلاني، قال عضد الدولة لقاضيه: « فكرت بأي قتلة أقتله لجلوسه حيث جلس بغير أمري (جلس الباقلاني عن يمين الملك بدون إذنه في مكان خاص بالوزراء والعظماء)؛ وأما الآن فقد علمت أنه أحق بمكاني مني. »[2].

هذا قبس من علم الإمام الباقلاني وكيفية تصديه لغلاة المعتزلة وتفنيد حججهم وتأييد رأي أهل السنة بالعقل والمنطق والدين .

05- نشاطه التعليمي وتلامذته :

انتهت رئاسة المالكية إلى القاضي الباقلاني بالإضافة إلى توليه القضاء، إلا أن تعليم العلم ونشره قد استأثرا بكل جهده ووقته؛ فكانت له حلقة عظيمة بجامع البصرة يحضرها كبار العلماء «والناظر في تاريخ الباقلاني العلمي، يرى أنه وقف حياته على أمرين، ملكا عليه أقطار نفسه، وشغفاه حبا وهما التدريس والتأليف» [3] ويقول منير سلطان: « كانت حياة الباقلاني تدور في فلكين هما التدريس و التأليف وكلاهما شغل عليه وقته وملك كيانه... »[4].

فقد تلقى عنه العلم خلق كثير فتخرج على يديه عشرات العلماء الأعلام من أبرزهم نذكر:

---

[1] الباقلاني، إعجاز القرآن، تقديم: أحمد صقر، ص23 .

[2] نفسه، ص 24.

[3] أحمد العمري، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني، ص204 .

[4] منير سلطان، إعجاز القرآن بين المعتزلة و الأشاعرة، ص 102 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

1- القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي، الذي قال مشيداً بفضل البـــاقلاني عليـــه وعلى أصحابه:«والذي فتح أفواهنا وجعلنا نتكلم أبو بكر بن الطيب بن الباقلاني»[1].

2- موسى بن عيسى ابن أبي حجاج الغفجومي.

3- أبو ذر الهروي عبد بن أحمد المالكي الأشعري: وقد كان سبب تمذهبـــه بمـــذهب مالـــك والأشعري أنَّه لماّ قدم بغداد لأخذ الحديث عن الدار قطني رأى من تعظيمه وتوقيره للبـــاقلاني ما أدهشه وحمله على سؤاله عن سبب ذلك فأجابه: « هذا أبو بكر بن الطيب الأشعري ناصـــر السنة وقامع المعتزلة ثم أفاض في الثناء عليه فكان هذا سبب أخذه عنه وتعلمه على يديه»[2].

4- أبو حسن علي بن عيسى السكري الفارسي: صحب الباقلاني وأخذ عنه علم الكلام.

5- أبو الحسن الحربي علي بن محمد المالكي.

6- القاضي أبو جعفر محمد بن أحمد السمناني الحنفي.

7- أبو عبد الله الحسين بن حاتم الأزدي.

8- القاضي أبو محمد عبد الله بن محمد الأصبهاني المعروف بابن اللبان الشافعي.

كما أخذ عنه أبو الحسن البغدادي، و أبو طاهر الواعظ محمد بن علي، وأبو محمد ابن أبي نصر، و أبو حاتم محمد بن الحسن الطبري أبو بكر ابن الحسين الإسكافي،وأبو الفضل عبد الله بن أحمد المقري ... وغيرهم خلق كثير.

06- ملامح عصره الفكرية :

يقول عبد المنعم خفاجي: « كان القرن الرابع الهجـــري- العاشـــر المـــيلادي - عـــصر الحضارة الإسلامية حقاً، وعصر ازدهار الثقافة والمعرفة والعلوم والآداب العربية صـــدقاً ... وقد صار للعلم والثقافة في هذا العصر وعلى الرغم مما أصاب العالم الإســـلامي فيـــه مـــن اضطراب سوق رائجة رابحة، وكثر العلماء، وعلت مكانتهم،وازدادت ثقـــة الجمـــاهير بهـــم، وصاروا مرجع الناس في شتى أمور الدين والدنيا،وأمور اللغة والأدب والـــشعر ... وعمَّـــت

---

[1] القاضي عبد الوهاب المالكي، شرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني في كتابه الرسالة، دراسة وتحقيق: أحمد محمد نور سيف، (دبي: دار البحوث للدراسات الإسلامية، ط 1، 2004)، ص 47.

[2] الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر، 35.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

المكتبات في كل من القصور والدور، وفي المساجد، وفي المدارس والمعاهد والجامعات، وفي كل مكان »[1].

هذا و يمكن رصد الظواهر التالية:

– ازدياد حدة النـّزاع بين المتكلمين، وكثرة الجدل في المسائل الدينية والعقيدية بين المذاهب الإسلامية من جهة خاصة المعتزلة والأشاعرة وبين المسلمين وغيرهم من جهة أخرى .

–اتساع الجدل حول القرآن الكريم وبلاغته وأسباب إعجازه، يقول وليد قصاب: « ازدهرت الدراسات الإسلامية البلاغية في القرن الرابع ووضعت أصولها وقواعدها وظهر الأشاعرة في الساحة ينافسون المعتزلة ويحاولون أن يتسلموا الزمام منهم ووضع الباقلاني الأشعري كتابه "إعجاز القرآن"في محاولة للردّ على الرمّاني المعتزلي الذي فهم من كلامه في "النكت في إعجاز القرآن" أنّه يرجع هذا الإعجاز إلى الوجوه البلاغية الموجودة فيه مجرّدة وحدها، وقد بدأ المعتزلة يستفيدون من الدراسات البلاغية و اللغوية التي كانت قد بلغت في القرن الرابع درجة بعيدة من التطور و الازدهار »[2].

– شيوع التصنع اللفظي موازاة مع التصنع الذي ساد نواحي الحياة الأخرى

– تطور الثقافة العربية الإسلامية ونضجها وازدهار الدراسات الإسلامية والبلاغية والنقدية لارتباطها بقضية الإعجاز « إذ مثّل

تجمعت فيه الآراء والنظريات العلمية المختلفة وانتظمت الدراسات وأصبحت تقوم على أسس محدودة، وقواعد ثابتة » [3].

هذه المظاهر وغيرها كان لها أثر من قريب أو من بعيد في تكوين أراء الباقلاني وتوجيهها لذا فقد تميزت ثقافته بطابع فقهي كلامي، يسانده رافد أدبي نقدي كما يظهر جليا من كتبه و مؤلفاته.

07– تصانيفه ومؤلفاته:

ومن أهم ما كان يشغل الإمام الباقلاني نشر العلم وتعليمه، مشافهة في حلق العلم،أو كتابة بالتصنيف و التأليف وقد ذكر ابن كثير أنّه من أكثر الناس تصنيفا « و أنه كان لا ينام كل ليلة

---

[1] محمد عبد المنعم خفاجي، الفكر النقدي والأدبي في القرن الرابع الهجري (رابطة الأدب الحديث)، ص7–8 .

[2] وليد قصاب ، التراث النقدي و البلاغي للمعتزلة ، ص 175.

[3] نفسه، ص127 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

حتى يكتب عشرين ورقة في مدة طويلة من عمره. »[1]، فصنَّف في الرد على الرافضة، والمعتزلة، والخوارج، والجهمية، و الكرامية، كما صنّف في الرد على أصحاب النحل الأخرى كالنصارى والصابئة، وذكر الخطيب البغدادي أنه كان له ورد في كل ليلة وإذا فرغ منه «كتب خمسا وثلاثين ورقة تصنيفا من حفظه... »[2]،ولقوة حفظه وذاكرته كان يصنف دون مطالعة الكتب أو نقل عنها، قال الخطيب: « سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول:كل مصنف ببغداد إنما ينقل من كتب الناس إلى تصانيفه سوى القاضي أبي بكر فإنَّ صدره يحوي علمه وعلم الناس. »[3]. يقول عبد العزيز عتيق: « أما في التأليف فقد نسب إليه نيف وخمسون كتابا صنفها في موضوعات شتى كالإعجاز والرد على المعتزلة، والرافضة، والخوارج، والجهمية، والكرامية، وغير ذلك»[4].

وسأذكر شيئا مما نسب إليه "من مقدمة أبي بكر عبد الرزاق على إعجاز القرآن الباقلاني بتصرف".

1- كتاب إعجاز القرآن: الذي قال عنه الرافعي أنه « استبد بهذا الفرع من التصنيف في الإعجاز حتى عدّوه الكتاب وحده »5، « وهو من أصول كتب النقد التي ألفت في القرن الرابع الهجري »6.

2- كتاب التبصرة.

3- كتاب دقائق الحقائق .

4- كتاب التمهيد: وقد ألفه أثناء مقامه بشيراز .. « وهو من أهم الكتب الكلامية، التي تعلق بها أهل السنة تعلقا شديداً، لأنه أجمع كتاب يبصرهم بمسائل الخلاف بينهم وبين مخالفيهم في الرأي والعقيدة، ويرشدهم إلى أقوى الأدلة الجدلية، وأحكم البراهين العقلية، التي تعضد مذهبهم، وتظهر مناعته ورجاحته على المذاهب الأخرى، إسلامية كانت أو غير إسلامية »[7].

---

[1] ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج11 ، ص 365 .

[2] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ،ج5 ، ص380 .

[3] نفسه، ج 5، ص 380.

[4] عبد العزيز عتيق ، في تاريخ البلاغة ، ص212-213 .

[5] الرافعي، إعجاز القرآن ص 153 .

[6] عبد المنعم خفاجي ، الفكر النقدي والأدبي ، ص89 .

[7] الباقلاني، إعجاز القرآن، تقديم: أحمد صقر، ص 37.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

5- كتاب شرح الإبانة .

6- كتاب هداية المسترشدين والمقنع في معرفة أصول الدين.

7- كتاب إكفار المتأولين .

8- كتاب التبيان عن فرائض الدين وشرائع الإسلام ووصف ما يلزم من حجرت عليه الأقلام من معرفة الأحكام.

9- كتاب التقريب والإرشاد الصغير.

10- كتاب التقريب والإرشاد الأوسط.

11- كتاب شرح اللمع لأبي الحسن الأشعري.

12- كتاب شرح أدب الجدل.

13- كتاب في أن المعدوم ليس بشئ.

14- كتاب المسائل والمجالسات المنثورة.

15- كتاب الرد على المتناسخين.

16- كتاب نقض الفنون للجاحظ.

17- كتاب في الإيمان.

18- كتاب النقض الكبير.

19- كتاب رسالة الحرة وقد ذكر أحمد العمري أنه طبع تحت عنوان الإنصاف.

20- كتاب الانتصار لصحة نقل القرآن و الردّ على من نحله الفساد بزيادة أو نقصان.

21- كتاب كيفية الاستشهاد.

22- كتاب نقض النقض.

23- كتاب الإيجاز.

24- كتاب التقريب والإرشاد.

25- كتاب الرد على المعتزلة فيما اشتبه عليهم من تأويل القرآن.

26- كتاب المقدمات في أصول الديانات.

27- كتاب البغداديات.

28- كتاب الأصبهانيات.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

29- كتاب النيسابوريات.

30- كتاب الجرجانيات.

31- كتاب الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية.

إلى غيرها مما ذكره من ترجم له، والكتب التي مرَّ ذكرها منها المطبوع، ومنها المخطوط، ومنها المفقود « وأبرز ما يميز الباقلاني في كتبه: دقة فهمه للنصوص، وقوة تمكنه في عرض الآراء والآراء البديلة، مع قوة شخصيته، وتملكه لزمام المناقشة، من حيث الابتداء والانتهاء »[1].

08- مناقبه وأراء العلماء فيه :

أجمع أكثر أهل العلم على علمه وفضله وعلو منزلته ؛ لما له من المناقب والسجايا ويكفي منها:

- تصديه لأهل الملل والنحل، وردِّ طعنهم على القرآن والإسلام بما قام به من تخريج للعلماء وتصنيف للكتب؛ فقد كان سيفاً على المعتزلة والرافضة والشيعة وغيرهم ولهذا كثرت ألقابه « فقد كان يلقب "بشيخ السنة" "ولسان الأمة"و"صارم الإسلام"و"درة الإسلام"»[2].

- توليه رئاسة المالكية والشافعية في وقته،كما تولى القضاء والسفارة لدولة الإسلام في زمنه، وهذا يدل على مكانته العلمية التي فاق بها أقرانه حتى عدّه ابن كثير من أقران أبي الحسن الأشعري ومن نظرائه؛إذ «تصدر للإمامة في طريقتهم، وهذّبها ووضع المقدمات العقلية، التي تتوقف عليها الأدلة، والأنظار »[3].

- قوة ذاكرته وحفظه، وكثرة تآليفه التي تزيد على خمسين كتابا.

- كان أعلم أهل عصره بالخلاف وأكثرهم إنصافا حتى رضيت به سائر الفرق حكماً بينها في المناظرات وهذه من أعظم مناقبه، فقد « ذكرأبو عبد الله سعدون الفقيه، أنَّ سائر الفرق رضيت بالقاضي أبي بكر في الحكم بين المتناظرين »[4].

---

[1] أحمد جمال العمري ، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني ، ص 209 .

[2] ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج11 ، ص 366 .

[3] ابن خلدون ، المقدمة ، ص 436 .

[4] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 5، ص 586.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

– ومن مناقبه أنَّه كان ورعا صاحب عبادة ودين قال الخطيب البغدادي: سمعت أبا الفرج بن محمد بن عمران الخلال يقول: «كان ورد القاضي أبي بكر محمد بن الطيب كل ليلة عشرين ترويحة ما يتركها في حضر ولا سفر»[1].

وكان ما يضمره من الورع والديانة والزهد أضعاف ما كان يظهره فقيل له في ذلك فقال: « إنما أظهر ما أظهره غيضاً لليهود والنصارى والمعتزلة والرافضة و المخالفين لئلا يستحقروا علماء الحق »[2]، وقد عُدَّ بهذه المناقب وغيرها مجدد الإسلام في عصره، حتَّى قال أبو الحسن التميمي الحنبلي لأصحابه: « تمسَّكوا بهذا الرجل فليس للسنَّة عنه غنىً أبداً »[3].

أما عن أراء العلماء فيه فنذكر:

– ما جاء عن القاضي عياض من قوله «...ومن أهل العراق والمشرق وأكثرهم من أصحاب أبي بكر الأبهري، رحمه الله: أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد القاضي المعروف بابن الباقلاني. الملقب بشيخ السنة، ولسان الأمة، المتكلم على مذهب المثبتة،وأهل الحديث، وطريقة أبي الحسن الأشعري »[4].

– وقال ابن عمار اليورقي: «كان ابن الطيب مالكيا، فاضلا متورعا، ممن لم تحفظ له قطُّ زلّة، ولا نسب إليه نقيصة وكان يلقب بشيخ السنّة. ولسان الأمّة. وكان فارس هذا العلم مباركا على هذه الأمّة»[5].

وقال عنه المؤرخ الذهبي: «..ابن الباقلاني الإمام العلَّامة، أوحد المتكلمين، مقدم الأصوليين...صاحب التصانيف، وكان يضرب المثل بفهمه وذكائه ...وكان ثقة إماما بارعا، صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة، والخوارج والجهمية الكرامية وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري وقد يخالفه في مضائق، فإنه من نظرائه وقد أخذ علم النظر عن أصحابه »[6].

---

[1] السابق ، ج 5 ، ص380 .

[2] ابن عساكر، تبيين كذب المفتري ، ص220 .

[3] نفسه، ص221.

[4] القاضي عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، ص **585-586**

[5] الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ،ج5 ص586

[6] الإمام الذهبي، سير أعلام النبلاء، خرجه شعيب الأرناؤوط ومحمد العرقسوسي(ط:1 ؛1983 بيروت: مؤسسة الرسالة) ، ج17 ص190

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

كما وصفه ابن خلكان بما هو أهله قائلا: « القاضي أبو بكر محمد بن الطيب ابن جعفر بن القاسم المعروف بابن الباقلاني، البصري المتكلم المشهور، كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، ومؤيدا اعتقاده وناصرا لطريقته، صنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره، وكان أوحد زمانه وانتهت إليه الرياسة في مذهبه وكان موصوفا بجودة الاستنباط وسرعة الجواب، وسمع الحديث وكان كثير التطويل في المناظرة مشهورا بذلك عند الجماعة »[1].

– وقال عنه ابن كثير الدمشقي: « ..أبو بكر الباقلاني رأس المتكلمين على مذهب الشافعي وهو من أكثر الناس كلاما وتصنيفا في الكلام .. »[2].

– وقال عنه الرافعي : « كان الباقلاني رحمه الله وأثابه – واسع الحيلة في العبارة مبسوط اللسان إلى مدى بعيد ، يذهب في ذلك مذهب الجاحظ ومذهب مقلده ابن العميد على بصر وتمكُّن وحسن تصرف... »[3].

– وقال عنه محمد أبو موسى: « وكان الباقلاني شديد اليقظة، غزير العلم، قوي البديهة، قوي الحجة، وكان من أشد الناس تمكناً بمذهب أبي الحسن الأشعري، وكان لسان الأشاعرة في مجلس عضد الدولة، وله في هذا الباب تاريخ حافل، وكان يسكت ويقمع بقوة حجته شياطين المعتزلة كما كانوا يوصفون في ذلك الزمن الذي ولى »[4].

– وقال عنه شوقي ضيف: « و هو من أعلام المتكلمين على مذهب الأشاعرة وله مصنفات.كثيرة ومجادلات مع علماء الروم، عنت لها وجوه معاصريه وكان لسنا بارعا في الجدل و الاحتجاج »[5].

– كما وصف محمد زغلول سلام نشأته، بأنها كانت حافلة بالعلم والمناظرة والدفاع عن العقيدة الإسلامية قائلا:«ونشأ الخطيب الباقلاني بارعا في الجدل عالي القدر في علوم القرآن

---

[1] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج4 ص269 .

[2] ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج 11 ، ص 365 .

[3] الرافعي ، إعجاز القرآن ، ص 153 .

[4] محمد محمد أبو موسى، مراجعات في أصول الدرس البلاغي، ص 221.

[5] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص 107 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

والسنة والكلام، تعرض لكثير من المعارضين والمخالفين وقارعهم الحجج، وجادل علماء الروم وظهر عليهم مما أثار إعجاب معاصريه به .. »[1].

– كما عدَّه فتحي أحمد عامر: « علماً من أعلام المتكلمين على مذهب الأشاعرة وواحداً ممن نصبوا أنفسهم للحجاج والمجادلة ورد طعنات المخالفين والمعارضين والدفاع عن عقيدة المسلمين »[2].

09- وفاته:

قال ابن كثير «كانت وفاة الباقلاني يوم السبت لسبع بقين من ذي القعدة ودفن بداره ثم نقل إلى مقبرة باب حرب. »[3] و« وصلى عليه ابنه الحسن وكانت جنازته مشهودة وكان سيفا على المعتزلة والرافضة والمشبهة، وغالب قواعده على السنة»[4] وقد« نودي في جنازته هذا ناصر السنة والدين، هذا إمام المسلمين، هذا الذي كان يذب عن الشريعة ألسنة المخالفين»[5].

وقيل في موته:

أُنْظُرْ إلى جَبَلٍ تَمْشِي الرِّجَالُ بِهِ وَأُنْظُرْ إلى الْقَبْرِ مَا يَحْوِي مِنَ الصَّلَفْ

وَأُنْظُرْ إلى صَارِمِ الإِسْلاَمِ مُنْغَمِداً وَأُنْظُرْ إلى عدَّةِ الإِسْلاَمِ فِي الصَّدَفْ

فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه خير الجزاء على ما قدم للإسلام والمسلمين.

---

[1] محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص 267 .

[2] فتحي أحمد عامر ، بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ ، ص 112 .

[3] ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج11 ، ص 366 .

[4] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 4 ، ص 270 .

[5] أحمد جمال العمري ، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني ص .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

المبحث الثاني:

التعريف بكتاب إعجاز القرآن

01- الإعجاز:

أما نسبة كتاب الإعجاز إلى مؤلفه القاضي أبي بكر الباقلاني فمقطوع بها؛ لأن كبار المؤرخين وأصحاب التراجم مجمعون كلهم على نسبة هذا الكتاب إليه، وأجمعوا على أنّه من الكتب المهمة في بابه« فهو أول كتب الباقلاني نشراً وأشهرها ذكراً،وهو أعظم كتاب أُلِّفَ في الإعجاز إلى اليوم»[1].

02- أسباب تأليف الكتاب ودوافعه:

يمكن إرجاع أسباب ودوافع تأليف الباقلاني كتابه إعجاز القرآن إلى ما يلي:

- تعلق موضوع الكتاب بأصل الدين وإثبات النبوة، مع خفاء العلم به والغفلة عنه من أهله، يقول الباقلاني: «...ومن أهم ما يجب على أهل الدين كشفه، وأولى ما يلزم بحثه، ما كان لأصل دينهم قواما، ولقاعدة توحيدهم عمادا ونظاما، وعلى صدق نبيهم صلى الله عليه وسلم برهانا، ولمعجزته ثبتا وحجة، لا سيما والجهل ممدود الرواق، شديد النفاق، مستول على الأفاق والعلم إلى عفاءٍ ودروسٍ، وعلى خفاء وطموس، وأهله في جفوة الزمن البهيم، يقاسون من عبوسه لقاء الأسد الشئيم، حتى صار ما يكابدونه قاطعا عن الواجب من سلوك مناهجه، والأخذ في سبله .. »[2]. فالذي «يوجب الاهتمام التام بمعرفة إعجاز القرآن أن نبوة نبينا عليه السلام بنيت على هذه المعجزة... »[3]. - الرد على الملحدين دفاعاً عن القرآن الكريم وأصول الدين، يقول الباقلاني في ذلك:«...فقد أدى ذلك إلى خوض الملحدين في أصول الدين،وتشكيكهم أهل الضعف في كل يقين ... »[4].

- تقصير العلماء في إيفاء هذا الموضوع حقه وتفريطهم رغم ضرورة التأليف فيه واشتغالهم بغيره «...فهو أحق بكثير مما صنفوا فيه من القول في الخبرن ودقيق الكلام في

---

[1] أحمد جمال العمري ، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني ، ص205 .

[2] الباقلاني، إعجاز القرآن، تقديم أبوبكر عبد الرزاق ص3-4 .

[3] السابق ، ص7 .

[4] الباقلاني، إعجاز القرآن ، ص4 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

الأعراض، وكثير من بديع الإعراب، وغامض النحو فالحاجة إلى هـذا أمس،والاشـتغال بـه أوجب، وقد قصّر بعضهم في هذه المسألة، حتى أدى ذلك إلى تحول قوم منهم إلـى مـذاهب البراهمة فيها»[1]. وبذلك « فقد قل أنصاره، واشتغل عنه أعوانه،وأسلمه أهله فصار عرضة لمن شاء أن يتعرض فيه ... »[2].

– إجابته إلى إلحاح الناس، وطلبهم منه التأليف في هذا الموضوع سدّا للثغرة وقياما بواجب نصرة الملة وخدمة لكتاب الأمة يقول: « وسألنا سائل أن نذكر جملة من القول جامعة، تـسقط الشبهات، وتزيل الشكوك التي تعرض للجهال، وتنتهي إلى ما يخطر لهم، ويعرض لأفهـامهم من الطعن في وجه المعجزة فأجبناه إلى ذلك ... »[3].

– تطاول بعض الجهال على النظم القرآني؛ بتفضيل بعض الشعر عليه أو معادلته به ممّـا حرّكه وأفزعه إلى كشف زيف ادّعائهم والرّدّ على أقوالهم، يقول في ذلك: « وذكر لـي عـن بعض جهالهم أنّه جعل يعدله ببعض الأشعار، ويوازن بينه وبين غيره من الكلام، ولا يرضـى بذلك حتّى يفضله عليه! ... »[4].

– رؤيته في نفسه القدرة والأهلية على معالجة مثل هذا الموضوع وكشفه إلى مـا تـدعو الحاجة إليه لوقوفه على طرق المتكلّمين وعلوم أصول الدين.

وهو في ذلك كلّه يهدف إلى التقرب إلى الله عزّ وجلّ، بسدّ هذه الثغرة المتعلّقة بأصل الدّين وأساس الملة واثبات النبوة، والرّدّ على الخائضين في هاته المسألة على خلاف الحق، ثمّ بيـان عظم محل القرآن الكريم وارتفاعه عن غيره من الكلام؛ يقول بعد ذكره لطلب بعـضهم إليـه التأليف في الموضوع:«فأجبناه إلى ذلك، متقربين إلى الله عزّ وجلّ، ومتوكّلين عليـه وعلـى حسن توفيقه ومعونته »[5].

03- منهجه وخطته في الكتاب:

يمكن إجمال ما ذكره الباقلاني في خطته التأليفية فيما يلي:

ـــ مهّد لدراسة النظم بمرحلتين اثنتين هما:

---

[1] نفسه ، ص5 .

[2] نفسه ، ص4 .

[3] الباقلاني، إعجاز القرآن، تقديم أبوبكر عبد الرزاق ص 5 .

[4] السابق ، ص4 .

[5] الباقلاني، إعجاز القرآن ، ص5 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

المرحلة الأولى: دراسة النظم البشري المثالي للغات البشرية، و المتمثل في اللغة العربية يقول الباقلاني: « ونضيف إليه ما يجب وصفه من القول في تنزيل متصرّفات الخطاب، وترتيب وجوه الكلام، وما تختلف فيه طرق البلاغة، و تتفاوت من جهته سبل البراعة، و ما يشتبه له ظاهر الفصاحة، ويختلف فيه المختلفون من أهل صناعة العربية، والمعرفة بلسان العرب في أصل الوضع »[1].

المرحلة الثانية: دراسة النظم البشري المستعمل عند العرب (شعرا، نثرا، خطابة ...) يقول الباقلاني بعد حديثه عن دراسة النظم المثالي مشيرا إلى دراسة النظم المستعمل: « ثمّ ما اختلفت به مذاهب مستعمليه في فنون ما ينقسم إليه الكلام من شعر و رسائل، وخطب وغير ذلك من مجاري الخطاب...»[2]، وبعد هذا التمهيد انتقل إلى:

المرحلة الثالثة: والتي اعتنى فيه بدراسة النظم القرآني من حيث ماهيته وحقيقته من جهة، ومن حيث مخالفته لغيره من الكلام الحادث من جهة أخرى، ومن حيث وجوه إعجازه من جهة ثالثة « ليعرف عظم محل القرآن و ليعلم ارتفاعه عن مواقع هذه الوجوه، وتجاوزه الحد الذي يصح أو يجوز أن يوازن بينه وبينها، أو يشتبه ذلك على متأمل»[3].

وقد اعتمد في ذلك على :

1- الإجمال وتحري الإيجاز والتلخيص، خاصة لأقوال السابقين تجنباً للتكرار والإعادة في غير فائدة، يقول في ذلك: « ونحن نبيّن ما سبق فيه البيان من غيرنا ونشير إليه ولا نبسط القول، لئلا يكون ما ألفناه مكررا ومقولا ... »[4]، مع إضافة ما تدعو الحاجة إليه ويقع فيه الاختلاف والاشتباه .

2- إجراء المقارنة، و الموازنة النظرية، والتطبيقية بين أنواع النظم البشري من شعر،ونثر، وخطابة، على أنها من نسيج واحد من جهة، وبين النظم القرآني الذي يعتبر نسيجا وحده و سبكا لا مثيل له من جهة أخرى، وقد وصف أحمد العمري هذا المنهج بقوله: « وقد ظهر هذا المنهج التحليلي التدليلي بوضوح في كتابه إعجاز القرآن،فيظهر في ترتيبه، وتناوله

---

[1] نفسه ، ص6 .

2 نفسه ، ص6 .

3 نفسه، ص 6 .

[4] الباقلاني، إعجاز القرآن ، ص5 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

للموضوعات مدى امتلاكه لناصية الجدل، ونراه يصطنع في كلامه طريقة الحوار،وطرح الأسئلة ثم الإجابة عليها... »[1].

04- فصول الكتاب وأبوابه والمباحث البلاغية فيه:

افتتح الباقلاني كتابه بمقدمة أثنى فيها على الله عزَّ وجل على نعمة القرآن، وعلى ما جاء فيه من حجج وبراهين واضحات، ثم بيّن فيها أهمية الخوض في موضوع الإعجاز وحاجة الناس إليه، لارتباطه بأصل الدين وقاعدة الملة واثبات النبوة، واعتذر فيها عن عدم توفية الموضوع حقه.

أما عن فصول الكتاب و أبوابه، فنشير أولاً إلى أنّ الباقلاني لم يعنون لفصول الكتاب ولا لأبوابه بالأول والثاني ... ولكنه اكتفى بذكر كلمة "فصل" ثم يضع العنوان الذي يميزه عن غيره من الفصول ويبين موضوع المبحث على طريقة كثير من الأوائل، فمثلا بدأ الكتاب بقوله: فصل في أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم معجزتها القرآن، ثم انتقل إلى ذكر الفصل الثاني وهكذا...إلى نهاية الكتاب.

ففي الفصل الأول:

قال: فصل: **في أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم معجزتها القرآن:** أوضح فيه سبب الاهتمام بقضية إعجاز القرآن، ودلالتها على النبوة مستدلا على ذلك بآيات كثيرة قائلا: « فأما الذي يبين ما ذكرناه من أن الله تعالى، حين ابتعثه، جعل معجزته القرآن وبني أمر نبوته عليه سور كثيرة، وآيات نذكر بعضها، وننبه بالمذكور على غيره. »[2]،ثم مضى يفصّل القول في بعض الآيات والسور، خاصة سورتي غافر وفصلت ودلالتهما على ذلك.

وفي الفصل الثاني: قال: **فصل في الدلالة على أن القرآن معجزة:** أراد أن يبين فيه وجه دلالة معجزة القرآن على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وطريق معرفة ذلك،ولم يقصد تحقيق القول في هذا الفصل لأنه كان عرضيا فقط لدلالة الآية عليه، ثم ذكر الأدلة على تحدي القرآن لهم وعجزهم عن الإتيان بمثله وكرّ على مذهب الصِرفة فأبطله، وبعد ذلك تطرق إلى مسألة مهمة وهي: إعجاز غير القرآن من كلام الله كالتوراة والإنجيل، وقرر أنّه غير معجز

---

[1] أحمد جمال العمري، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني، ص208 .

[2] الباقلاني ، إعجاز القرآن، ص7 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

في النظم والتأليف كالقرآن وإن كان معجزا فيما يتضمن من الإخبار بالغيوب لأسباب منها؛ أنه لا يتأتى في غير لسان العرب من وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل الذي ينتهي إلى حد الإعجاز إلى غير ذلك ممّا هو من خصائص اللغة العربية

وفي الفصل الثالث: قال: **فصل في جملة وجوه إعجاز القرآن :**

وبدأ هذا الفصل بقوله: « ذكر أصحابنا وغيرهم في ذلك ثلاثة أوجه من الإعجاز.. »[1] وهي :

– الوجه الأول: يتضمن الإخبار عن الغيوب ، وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه ..

– الوجه الثاني: أنّه كان معلوماً من حال النبي صلى الله عليه وسلم أنّه كان أمياً لا يكتب، ولا يحسن أن يقرأ، وكذلك كان معروفا من حاله أنه لم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين، وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم، ثم أتى بجملة ما وقع وما حدث من عظيمات الأمور ومهمات السير من حين خلق الله آدم عليه السلام إلى حين مبعثه .. مما لا يصل علمه إلا بتأييد من جهة الوحي.

– الوجه الثالث: « أنّه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه، والذي أطلقه العلماء هو على هذه الجملة، ونحن نفصل ذلك بعض التفصيل ونكشف الجملة التي أطلقوها ... »[2]، ثم مضى يبين ذلك وما اشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز بوجوه كثيرة أوصلها إلى عشرة.

وفي الفصل الرابع:قال: **فصل في شرح ما بيّنا من وجوه إعجاز القرآن**:فذكر بعض الأدلة من القرآن الكريم على الإعجاز بذكر الأخبار عن الغيوب، وثنّى بذكر وجه دلالته من إخباره عن قصص الأولين، وختمه بذكر الوجه الثالث من الإعجاز وهو الواقع في النظم والتأليف، وأنّه خارج عن وجوه النظم المعتاد في كلام العرب من الشعر أو السجع ، أو الكلام الموزون غير المقفى.

وفي الفصل الخامس: قال :**فصل في نفي الشعر من القرآن** :أكّد في هذا الفصل على نفي الشعر من القرآن وعن النبي صلى الله عليه وسلم، وفنّد ما زعموه فيه من الشعر بشيء من الأدلة .

---

[1] السابق ، ص 30 .

[2] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص31–32 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

وفي الفصل السادس: قال :**فصل في نفي السجع من القرآن:** قرّر في هذا الفصل مذهبه ومذهب أصحابه الأشاعرة في نفي السجع عن القرآن، موردا لبعض أدلة مخالفيهم في المسألة ثم الرد عليها وإبطالها، وختم بما يلزم من إثبات السجع في القرآن الكريم.

وفي الفصل السابع: قال: **فصل في ذكر البديع من الكلام:** عقد هذا الفصل للجواب عن مدى إمكانية معرفة إعجاز القرآن من جهة ما يتضمنه من البديع، فذكر فيه الكثير من فنون البلاغة تحت اسم البديع كالاستعارة، والتشبيه، والكلمات الجامعة، والإرداف،وغيرها من الوجوه التي رأى أنّه لا يمكن استفادة الإعجاز منها؛ لإمكانية التوصل إليها بالتدريب والتعود و التصنع لها.

وفي الفصل الثامن: قال: **فصل في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن:** بيّن في هذا الفصل أنّه لا يمكن الوقوف على ذلك إلا لأهل الاختصاص، الذين قد تناهت قدرتهم في معرفة اللسان العربي، ووقفوا على طرقه ومذاهبه، أما غيرهم ممن لم يبلغوا في الفصاحة الحد الذي يتناهى إليه معرفة أساليب الكلام، ووجوه تصرف اللغة، وكذا من كان لسانه غير العربية كالعجم والترك وغيرهم، فلا سبيل لهم إلى معرفة إعجاز القرآن إلا عن طريق التقليد، فعلمهم أن العرب قد عجزوا عن ذلك يورثهم علماً بأنّهم عنه أعجز، ثم ذكر اختلاف نظر أهل الصنعة، في وجوه استحسان بعض الشعر على بعض، وفي هذا الفصل ذكر شيئاً من خطب النبي صلى الله عليه وسلم وخطب أصحابه، وشيئاً من خطب بعض فصحاء العرب وبلغائهم، ليتبين الفرق بين نظم القرآن وغيره، وليظهر للقارئ أن كلام البشر كله من نسج واحد وسبك واحد وما يقع بينهما من التفاوت كالذي يقع بين كلام الفصيحين على خلاف نظم القرآن فإنّه نسج وحده وسبك وحده.

و أتبع هذا الفصل بعقد باب بقوله: **باب: أيهما أبلغ ..الشعر أم النثر ..:** بيّن فيه فصاحة الشعر، وبراعة العرب في نظمه، ثم ذكر سخافة ما ادّعاه كل من مسيلمة وسجاح الكذابين أنه قرآن ثم مضى إلى الحديث عن بعض عيون شعر العرب ممثلا بقصيدة لامرىء القيس وأخرى للبحتري؛ مبينا وجوه الخلل والنقص والعوار فيهما على وجه التفصيل، ثم بدأ في بيان شيء من فصاحة القرآن وجودة نظمه وتأليفه و قوة رصفه.

وفي الفصل التاسع: قال: **فصل في جوانب إعجاز القرآن:** ذكر فيه مسألة عجز سائر أهل الأعصار عن الإتيان بمثل القرآن كعجز أهل العصر الأول، ثم ذكر قضية التحدي وقدر المعجز من القرآن على مذهبه ومذهب أصحابه.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

وفي الفصل العاشر: قال: **فصل في أنّه هل العلم بإعجاز القرآن ضرورة:** بيّن فيه مذهب أبي الحسن الأشعري في أنّ ظهور ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم يعلم ضرورة.

وفي الفصل الحادي عشر: قال: **فصل فيما يتعلق به الإعجاز:**

هو في الحروف المنظومة، أو الكلام القائم بالذات أو غير ذلك؟ فنقل رأيه ورأي بعض أصحابه في ذلك.

وفي الفصل الثاني عشر:قال: **فصل في وصف وجوه من البلاغة:** ابتدأه بقوله: « ذكر بعض أهل الأدب والكلام: أن البلاغة على عشرة أقسام: الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلازم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان»[1]، ثم مضى يشرح ويمثل لكل نوع منها.

وفي الفصل الثالث عشر: قال: **فصل في حقيقة المعجز:** افتتح هذا الفصل بقوله: «معنى قولنا إن القرآن معجز على أصولنا أنه لا يقدر العباد عليه، وقد ثبت أن المعجز الدال على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، لا يصح دخوله تحت قدرة العباد وإنما ينفرد الله تعالى بالقدرة عليه، ولا يجوز أن يعجز العباد عما تستحيل قدرتهم عليه، كما يستحيل عجزهم عن فعل الأجسام، فنحن لا نقدر على ذلك وإن لم يصح وصفنا بأنا عاجزون عن ذلك حقيقة وكذلك معجزات سائر الأنبياء على هذا .

فلما لم يقدر عليه أحد شبه بما يعجز عنه العاجز وإنّما لا يقدر العباد على الإتيان بمثله؛ لأنه لو صح أن يقدروا عليه بطلت دلالة المعجز. وقد أجرى الله العادة بأن يتعذر ذلك منهم، وأن لا يقدروا عليه ولو كان غير خارج عن العادة لأتوا بمثله، أو عرضوا عليه من كلام فصحائهم وبلغائهم ما يعارضه.

فلما لم يشتغلوا بذلك، علم أنّهم فطنوا إلى خروج ذلك عن أوزان كلامهم، وأساليب نظامهم وزالت أطماعهم عنه... »[2].

وفي الفصل الرابع عشر:قال: **فصل في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وأمور تتصل بالإعجاز:** عالج فيه شبهة إمكانية نظمه صلى الله عليه وسلم للقرآن، لقدرته في الفصاحة على مقدار لا يبلغه غيره، وأكّد على البون الشاسع بين نظم القرآن وكلامه صلى الله عليه وسلم،

---

[1] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص186 .

[2] الباقلاني ، إعجاز القرآن ص 201 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

مما لا يدع مجالاً للشك في أنّ القرآن ليس من كلامه صلى الله عليه وسلم ثم بيّن بعض ما يتعلق بالإعجاز.

وفي الفصل الخامس عشر: قال: **فصل: إن قيل هل من شرط المعجز أن يعلم أنّه أتى به من ظهر عليه:** بيّن فيه أن القرآن جاء من جهته صلى الله عليه وسلم وكان علماً على نبوته.

خاتمة الكتاب: وفي الأخير ختم كتابه بالاعتذار عن عدم توفية الموضوع حقه،وعدم الإحاطة بأوصافه وبيّن أنّ ما فعله وإن كان موجزا؛ فهو ينبه على الطريقة ويدل على الوجه، ويهدي إلى الحجة، ثم أجمل ما ذكره في بعض الفصول والأبواب السابقة، وختم ببيان أسباب الهداية وأسباب الخذلان.

وقد لخص منير سلطان الكتاب تلخيصا جيدا بقوله: «ذكر الباقلاني في مقدمته أنّ الذين ألفوا في (معاني القرآن) من علماء اللغة والكلام لم يبسطوا القول في الإبانة عن وجه معجزته، والدلالة على مكانه، مع أن الحاجة إلى ذلك أمّس، والاشتغال به أوجب،وقد التمس لبعضهم العذر فيما وقع من تفريط، لأن بيان وجه الإعجاز"ممّا لا يمكن بيانه إلا بعد التقدم في أمور عظيمة المقدار، دقيقة المسالك لطيفة المأخذ، ثم قال: إن سائلاً سأله أن يذكر جملة من القول جامعة، تسقط الشبهات وتزيل الشكوك التي تعرض للجهال، فأجابه إلى ذلك وألّف هذا الكتاب، وذكر أنّه أشار إلى ما سبق بيانه من غيره ولم يبسط القول فيه لئلا يكون ما ألفه مكررا ثم بيّن في الفصل الأول أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مبنية على دلالة معجزة القرآن وفصّل القول في نظم سورتي – غافر و فصلت – وبيّن دلالته على ذلك.

وعقد الفصل الثاني لبيان وجه دلالة معجزة القرآن على نبوة النبي، وفي الفصل الثالث تحدّث عن وجوه إعجاز القرآن وذكر في مستهله: أن الأشاعرة وغيرهم ذكروا في ذلك ثلاثة أوجه أولها: ما تضمنه القرآن من الإخبار عن الغيوب، والوجه الثاني: أنّه أتى بجمل ما وقع وحدث من عظيمات الأمور، ومهمات السير من حين خلق الله أدم إلى حين مبعثه، مع أنه كان أميا لا يكتب، ولا يحسن أن يقرأ، والوجه الثالث:"أنّه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه"،وكان الفصل الرابع في (شرح وجوه إعجاز القرآن المتقدمة)، والخامس: في نفي الشعر من القرآن، والسادس: في نفي السجع منه، والسابع في ذكر البديع من الكلام،يجيب فيه عن سؤال: هل يمكن أن يعرف إعجاز القرآن من جهة ما تضمنه من البديع؟ والثامن: في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن، وعنده أنّ إعجاز القرآن لا يخفى على العربي البليغ الذي قد تناهى في معرفة اللسان العربي، ثم ينقل نصوصا من خطب

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

النبي وكتبه وكلام أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي وابن عباس وغيرهم، حتى يقع للقارئ الفصل بين كلام الناس وكلام رب العالمين، ويعلم أن نظم القرآن يخالف نظم كلام الآدميين.

ثم يعقد بابا لبيان أنّ نظم القرآن يزيد من فصاحته على كل نظم ثم يعرض لنظم القرآن ونهجه، وذكر آيات كثيرة وبيّن أسرار إعجازها .

وأفرد الباقلاني فصلا لبيان أنّ عجز سائر أهل الأمصار عن الإتيان بمثل هذا القرآن ثابت، كعجز أهل العصر الأول، وأعقبه بفصل في التحدي، ووجه الحاجة إليه في باب القرآن. وتلاه بفصل في قدر المعجز من القرآن عند الأشاعرة والمعتزلة، وبعده فصل في أنّه: هل يعلم إعجازه ضرورة، ثم ذكر فصلا في وصف وجوه من البلاغة، ثم آخر في –حقيقة المعجز_ وعقد بعد ذلك فصلا في كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وردّ فيه على قول من يقول: لولا أنّ كلامه معجز لم يشتبه على ابن مسعود الفصل بين المعوذتين، وبين غيرهما من القرآن، كذلك لم يشتبه دعاء القنوت في أنّه: هل هو من القرآن أم لا؟ ثم أجاب إجابة دقيقة موفقة على اعتراض أورده، وهو: لو كان القرآن معجزا،لم يختلف أهل الملة في وجه إعجازه؟ ثم أعقبه بفصل موجز لبيان أن من شرط المعجز أن يعلم أنه أتى به من ظهر عليه.

وفي الفصل الأخير: يعتذر عن عدم قدرته الإحاطة بكل إعجاز القرآن،لأن" الكلام في أوصافه ــ إن استقصي ــ بعيد الأطراف، واسع الأكناف لعلو شأنه وشرف مكانه" وفيه يعود ويوجز ماسبق أن عرضه في غضون الكتاب من بيان إعجازه، ثم يختتم كتابه قائلا:"فتأمل ماعرفناك في كتابنا وفرغ له قلبك، واجمع عليه لبك، ثم اعتصم بالله يهدك ، وتوكل عليه يعنك، ويجرك، واسترشده يرشدك وهو حسبي وحسبك، ونعم الوكيل»[1] .

05- المباحث البلاغية في الكتاب :

لكتاب الباقلاني مكانة مهمة بين الكتب التي بحثت قضية الإعجاز القرآني، وهو في الوقت نفسه من الكتب التي أسهمت في إثراء الدرس البلاغي وتحديد مساره،وقد تضمّن في تضاعيفه مباحث بلاغية خالصة وأخرى كلامية محضة، وثالثة مختلطة اختلاطا متوازنا بين المباحث البلاغية والمباحث الكلامية؛ فمما أفرده للقضايا البلاغية الفصل الذي خصصه للحديث عن

[1] منير سلطان ، مناهج في تحليل النظم القرآني (الإسكندرية : منشأة المعارف) ص50، 51، 52 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

«البديع في الكلام »[1]، «والفصل الآخر عن وجوه البلاغة »[2] والذي تتبع فيه وجوه البلاغة العشرة التي أوردها الرماني في كتابه " النكت في إعجاز القرآن". وفصل: نفي السجع من القرآن، ومما أفرده للقضايا الكلامية الفصل الذي عقده في أول الكتاب « عن أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم معجزتها القرآن »[3]، والفصل الذي خصصه لبيان «وجه الدلالة على أن القرآن معجز »[4]، ومما مزج فيه القضايا البلاغية بالكلامية؛ الفصل الذي كتبه عن « جملة وجوه إعجاز القرآن »[5].

وقد لخص أحمد العمري مباحث الكتاب البلاغية في قوله: « إن القضايا البلاغية ومباحثها المتعددة، تختلط في الكتاب بالقضايا الكلامية اختلاطا متوازنا، فتنفرد القضايا البلاغية ببعض الفصول، كذلك الفصل الطويل، الذي خصصه للحديث عن البديع من الكلام،وذلك الفصل الأخير عن "وصف وجوه البلاغة" الذي يتتبع فيه وجوه البلاغة العشرة،التي سبق أن أوردها الرماني في" النكت في إعجاز القرءان" .

وتنفرد القضايا الكلامية ببعض فصول الكتاب، كذلك الفصل الذي عقده في أول الكتاب عن: "أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم معجزتها القرءان"وذلك الفصل الآخر الذي خصصه لبيان"وجه الدلالة عن أن القرءان معجز"، والبعض الثالث من فصول الكتاب شركة بين القضايا البلاغية، والقضايا الكلامية كالفصل الذي كتبه عن"جملة وجوه إعجاز القرآن"»[6].

والملاحظ أن الباقلاني قدّم القضايا الكلامية على القضايا البلاغية، كتمهيد؛ لها لأنه يمثل مدرسة عقيدية كلامية، أكثر منها مدرسة فنية أدبية، لهذا ظهرت سمات منهجه المتصلة بقضايا العقيدة و الكلام في كتابه هذا، و هذه طريقة المتكلّمين في التأليف.

06- رأي الباقلاني في الإعجاز :

استقرأ الباقلاني أغلب الدراسات التي سبقته في كتابه "إعجاز القرآن" فتعرض لما تعرض له السابقون عليه، سواء كانوا من المعتزلة – كالجاحظ الذي ذكر أنّه ألّف كتابا في نظم القرآن

---

[1] الباقلاني ، إعجاز القرءان ، ص 57 وما بعدها .

[2] نفسه، ص 186.

[3] نفسه، ص 7 و ما بعدها .

[4] نفسه، ص15 .

[5] نفسه، ص 30 .

[6] أحمد جمال العمري، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني ، ص211 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

وغضّ من قيمته قائلا: « وقد صنّف " الجاحظ "في نظم القرآن كتابا، لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله، ولم يكشف عمّا يلتبس في أكثر هذا المعنى»[1]، وكالرماني الذي عرّض بذكره دون التصريح باسمه وإنّما نسب كلامه إلى شخص قليل البضاعة في علم البلاغة، تنقيصا له على عادة معاملة أهل الفرق بعضهم لبعض، في قوله: « ومن قدّر أنّ البلاغة في عشرة أوجه من الكلام، لا يعرف من البلاغة إلاّ القليل، ولا يفطن منها إلا لليسير ... »[2]، أو كانوا من الأشاعرة– وهو من رؤوسهم – الذين يرجعون الإعجاز إلى ثلاثة أوجه والتي تتلخّص فيها نظريته في الإعجاز .

الوجه الأول: الإخبار عن الغيوب ممّا لا يقدر عليه البشر.

الثاني: حال النّبي صلى الله عليه وسلّم، من أنّه كان أمّيا، وما جاء به من الأخبار عن عظيمات الأمور،

وحدوثها كما أخبر، ممّا يُعلم أنّه لا يمكن العلم به إلاّ عن طريق الوحي المعجز.

الثالث: نظم القرآن البديع، وتأليفه العجيب،المتناهي في البلاغة، إلى الحد الذي يُعلم عجز الخلق عنه.

كما تكلّم بإيجاز عن ترك المعارضة، مع توفّر الدواعي، وشدّة الحاجة لردّ التحدي، وتحدث عن الصرفة في عدة مواضع، وهو في رأيه لا ينفي مظاهر الإعجاز التي ذكرها الدارسون قبله حيث يقول: « وإنّما لم نطلق القول إطلاقا، لأنّا لا نجعل الإعجاز متعلقا بهذه الوجوه الخاصة ووقفا عليها، ومضافا إليها وإن صحّ أن تكون هذه الوجوه مؤثرة في الجملة، آخذة بحظها من الحسن والبهجة متى وقعت في الكلام على غير وجه التكلّف المستبشع والتعمّل المستبشع) »[3]، ولكنّه أكّد على جانب النظم البديع، والقالب العجيب، و البلاغة المتناهية إلى حدّ الإعجاز، ومن هنا راح يكشف عن وجوه النّصّ القرآني المعجزة التي جعلها عشرة.

الأول :يقول: « فالذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمّن للإعجاز وجوه :

---

[1] الباقلاني ، إعجاز القرءان ، ص 5 .

[2] السابق ، ص 212.

[3] الباقلاني، إعجاز القرآن ، ص 84 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

منها: ما يرجع إلى الجملة؛ وذلك أنّ نظم القرءان على تصرّف وجوهه، واختلاف مذاهبه، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختصّ به و يتميّز في تصرّفه عن أساليب الكلام المعتاد»[1].

الثاني: ومنها أنّه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة، والغرابة والتصرّف البديع والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة،والتشابه في البراعة، على هذا الطول، وعلى هذا القدر.

وإنّما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة، وألفاظ قليلة، وإلى شاعرهم قصائد محصورة، يقع فيها ما نبيّنه بعد هذا من الاختلال، ويعترضها ما نكشفه من الاختلاف،ويقع فيها ما نبديه من التعمّل والتكلّف والتجوّز والتعسّف.

وقد حصل القرآن على كثرته وطوله متناسبا في الفصاحة على ما وصفه الله به فقال عزّمن قائل:

﴿ **اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ** ﴾ [الزمر – آية 23]، ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً** ﴾ [النساء–آية 82] فأخبر أنّ كلام الآدمي إن امتد وقع فيه التفاوت، وبان عليه الاختلال. « وهذا المعنى هو غير المعنى الأول الذي بدأنا بذكره ، فتأمّله تعرف الفضل »[2].

الثالث: « و في ذلك معنى ثالث؛ وهو أنّ عجيب نظمه، وبديع تأليفه، لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرّف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر قصص،ومواعظ، واحتجاج وحكم، وأحكام وأعذار، وإنذار، ووعد ووعيد وتبشير، وتخويف وأوصاف، وتعليم أخلاق كريمة وشيم رفيعة، وسير مأثورة، وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها، وقد تأملنا نظم القرءان، فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها، على حدّ واحد في حسن النظم، وبديع التأليف و الرصف، لا تفاوت فيه، ولا انحطاط عن المنزلة العليا، ولا إسفال فيه إلى الرتبة الدنيا. وكذلك قد تأمّلنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة ، فرأينا الإعجاز في جميعها على حدّ واحد لا يختلف . وكذلك قد يتفاوت كلام

---

[1] الباقلاني ، إعجاز القرآن، ص 32 .

[2] الباقلاني، إعجاز القرآن ، ص 32–33 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

النّاس عند إعادة ذكر القصة الواحدة، فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت، بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة. فعلمنا بذلك أنّه ممّا لا يقدر عليه البشر. لأنّ الذي يقدرون عليه قد بيّنا فيه التفاوت الكثير عند التكرار، وعند تباين الوجوه واختلاف الأسباب التي يتضمن »[1].

ثم مضى يذكر الأوجه الأخرى قائلا: «ومعنى رابع: هو أنّ كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتا بيّنا في الفصل والوصل، والعلو والنزول، والتقريب والتبعيد، وغير ذلك ممّا ينقسم إليه الخطاب عند النظم، ويتصرّف فيه القول عند الضمّ والجمع، ألا ترى أنّ كثيرا من الشعراء قد وصف بالنقص عند التنقل من معنى إلى غيره، والخروج من باب إلى سواه، حتّى أنّ أهل الصنعة قد اتّفقوا على تقصير البحتري مع جودة نظمه وحسن وصفه في الخروج من النسيب إلى المديح. وأطبقوا على أنّه لا يحسنه ولا يأتي فيه بشيء.

و إنّما اتفق له في مواضع معدودة خروج يرتضى وتنقل يستحسن. وكذلك يختلف سبيل غيره عند الخروج من شيء إلى شيء، و التحول من باب إلى باب. و نحن نفصّل بعد هذا ونفسّر هذه الجملة ونبيّن على أنّ القرءان على اختلاف ما يتصرّف فيه من الوجوه الكثيرة، و الطرق المختلفة، ويجعل المختلف كالمؤتلف، والمتباين كالمتناسب، و المتنافر في الإفراد إلى حدّ الآحاد. وهذا أمر عجيب تتبين فيه الفصاحة،وتظهر به البلاغة، ويخرج به الكلام عن حدّ العادة، ويتجاوز العرف.

و معنى خامس: وهو أن نظم القرآن وقع موقعا في البلاغة يخرج عن عادة كلام الإنس والجن فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا. ويقصرون دونه كقصورنا.

ومعنى سادس: وهو أن الذي ينقسم عليه الخطاب، من البسط والاقتصار، والجمع، والتفريق، والاستعارة والتصريح، والتجوز والتحقيق، ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم، موجود في القرآن وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والإبداع والبلاغة »[2]. ونلاحظ هنا تركيزه على القضية التي شغلته طول ثنايا الكتاب، وهي مخالفة نظم القرآن لسائر أنواع نظوم البشر.

ويواصل ذكر أوجه الإعجاز قائلا: « ومعنى سابع: وهو أنّ المعاني التي تتضمن في أصل وضع الشريعة و الأحكام و الاحتجاجات في أصل الدين، والردّ على الملحدين على تلك الألفاظ البديعة، وموافقة بعضها بعضا في اللطف والبراعة، ممّا يتعذر على البشر، ويمنع ذلك أنّه قد

---

[1] نفسه، ص33-34 .

[2] الباقلاني ، إعجاز القرآن، من ص 32إلى ص 42 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

علم أن تخيير الألفاظ للمعاني المتداولة المألوفة، و الأسباب الدائرة بين الناس، أسهل وأقرب من تخيّر الألفاظ لمعان مبتكرة، وأسباب مؤسسة مستحدثة. فلو أبرع اللفظ في المعنى البارع، كان ألطف وأعجب من أن يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول المتكرر، و الأمر المتقرر المتصور ثمّ إن أضيف ذلك التصرف البديع في الوجوه التي تتضمّن تأييد ما يبتدئ تأسيسه، ويراد تحقيقه، بان التفاضل في البراعة و الفصاحة. ثمّ إذا وجدت الألفاظ وفق المعنى، والمعاني وفقها، لا يفضل أحدهما على الأخر، فالبراعة أظهر، والفصاحة أتمّ .

و معنى ثامن: وهو أن الكلام يبين فضله ورجحان فصاحته؛ بأن نذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام، أو نقذف ما بين شعر فتأخذه الأسماع، وتتشوّف إليه النفوس. ويرى وجه رونقه باديا غامرا سائر ما يقرن به، كالدرّة التي ترى في سلك من خرز،وكالياقوتة في واسطة العقد.

وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثّل بها في تضاعيف كلام كثير. وهي غرة جميعه،وواسطة عقده، والمنادي على نفسه بتمييزه وتخصصه برونقه، وجماله واعتراضه في جنسه ومائه.

ومعنى تاسع: وهو أنّ الحروف التي بني عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا،وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة، وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة، وهو أربعة عشر حرفا ، ليدل بالمذكور على غيره، وليعرفوا أنّ هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم ، والذي ينقسم إليه هذه الحروف على ما قسّمه أهل العربية و بنوا عليها وجوهها أقسام نحن ذاكروها»[1].

وبعد ذكر أقسام الحروف علّق قائلا : «وإذا كان القوم الذين قسّموا في الحروف هذه الأقسام ، لأغراض لهم في ترتيب العربية وتنزيلها بعد الزمان الطويل من عهد النّبي صلى الله عليه وسلم ، و رأوا مباني اللسان على هذه الجهة .

وقد نبّه بما ذكر في أوائل السور على ما لم يذكر على حدّ التصنيف الذي وصفنا، دلّ على أنّ وقوعها الموقع الذي يقع التواضع عليه بعد العهد الطويل لا يجوز أن يقع إلا من الله عزّ وجلّ. لأنّ ذلك يجري مجرى علم الغيوب. وإن كان إنّما نبهوا على ما بني عليه اللسان في أصله، ولم يكن لهم في التقسيم شيء، و إنّما التأثير لمن وضع أصل اللسان. فذلك أيضا من البديع الذي يدل على أنّ أصل وضعه وقع موقع الحكمة التي يقصر عنها اللسان. فإن كان

[1] الباقلاني، إعجاز القرآن ،من ص 37 إلى ص 39 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

أصل اللغة توقيفا فالأمر في ذلك أبين. وإن كان على سبيل التواضع، فهو عجيب أيضا؛ لأنّه لا يصح أن تجتمع هممهم المختلفة على نحو هذا إلا بأمر من عند الله تعالى. وكل ذلك يوجب إثبات الحكمة في ذكر هذه الحروف على حدّ يتعلّق به الإعجاز من وجه»[1].

وختم بالمعنى العاشر قائلا: « ومعنى عاشر: وهو أنّه سهّل سبيله، فهو خارج عن الوحشي المستكره، والغريب المستنكر، و عن الصنعة المتكلّفة. وجعله قريبا إلى الأفهام، يبادر معناه لفظه إلى القلب، و يسابق المغزى منه عبارته إلى النّفس، وهو مع ذلك ممتنع المطلب، عسير المتناول، غير مطمع مع قربه في نفسه، ولا موهم مع دنوّه في موقعه، أن يقدر عليه، أو يظفر به»[2]؛ ثمّ علّق بعد ذلك بقوله: «وقد يمكن في تفاصيل ما أوردنا من المعاني الزيادة و الإفراد، فإنّا جمعنا بين أمور وذكرنا المزيّة المتعلّقة بها، وكلّ واحد من تلك الأمور ممّا قد يمكن اعتقاده في إظهار الإعجاز فيه»[3]، «وبعد أن لخص وجوه الإعجاز البياني في تلك الأقسام العشرة تناولها تفصيلا ولكنه لم يلتزم هذا النسق بل جمع من كل جزء جزءا وتكلم عنها في مناسبات متفرقة »[4].

وقد لخص أحمد العمري رأي الباقلاني في الإعجاز في قوله: « والباقلاني يحصر الوجه البلاغي للإعجاز القرآني (أي بديع نظمه) في وجوه عشرة:

- بعضها يرجع إلى القرآن في جملته.
- وبعضها يرجع إلى بعض أساليبه.
- وبعضها يرجع إلى مفرداته.
- وبعضها يرجع إلى حروفه.

وإن كان لا يصنف هذه الوجوه العشرة على النحو التالي:

1- فمما يرجع إلى جملته، كونه خارجا عن المألوف من كلام البشر، والمعروف من تنظيم خطابهم،فليس هو بالشعر، ولا بالنثر،وليس هو بالسجع..إلى آخر ما هو معروف للبشر من أجناس الكلام، وهو يبذل جهدًا كبيرا في محاولة إثبات مخالفة القرآن في جملته لجنس الكلام البشري.

---

[1] الباقلاني، إعجاز القرآن ، ص40 .

[2] السابق، ص41 .

[3] نفسه، ص42 .

[4] محمد زغلول سلام، اثر القرآن في تطور النقد العربي، ص283 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

ومما يرجع إلى جملته أيضا،أنه لم يعهد للعرب كلام يشتمل على ما في القرآن من فصاحة وبلاغة، ومعان في مثل طول القرآن،وإنما عرفت لهم مقطوعات نثرية قصيرة، وقصائد شعرية معدودة، لم تخل من نقص وعيب.

ومما يرجع إلى جملته كذلك: أنّه على تعدد أغراضه ومراميه من قصص ومواعظ وأحكام، وترغيب وترهيب، لا يتفاوت في بلاغته، فهو دائما على درجة واحدة من البلاغة السامية، بينما نجد أن الشعراء والأدباء المجيدين، إنما يجيدون في بعض الأغراض دون سواها، فالذي يجيد في المدح لا يجيد في الهجاء مثلا، والذي يبرع في الخطب لا يبرع في الحكم والأمثال ونحو ذلك.

2- وأما ما يرجع إلى أساليبه، فيذكر من ذلك أن القرآن الكريم، قد اشتمل على كل الأساليب البلاغية، التي تبنى عليها أجناس الكلام البشري، من إيجاز وإطناب، ومجاز وحقيقة، واستعارة وتصريح، كل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم، في الفصاحة والإبداع والبلاغة .

ويذكر من ذلك أيضا أن بلاغته لا تتفاوت في الانتقال من أسلوب إلى أسلوب،ولا من طريقة من طرق القول إلى طريقة أخرى. ويذكر من ذلك–أخيرًا– أننا إذا أخذنا آية قرآنية ووضعناها في ثنايا أي كلام، نظما كان أو نثرا، فإنها تكون هي واسطة العقد في هذا الكلام (كالدّرة التي ترى في عقد من الخرز) على حد تعبيره .

3- أما ما يرجع إلى مفرداته، فمن ذلك أنه استعمل بعض المفردات في معان ومدلولات جديدة ،لم تكن مألوفة في البيئة العربية قبل الإسلام. ومن ذلك أيضا بعده عن المفردات المستكرهة، الثقيلة على السمع.

4- وأما ما يرجع إلى حروفه. فهو أن في القرآن ثمان وعشرون سورة افتتحت بحروف مقطعة، من الحروف العربية الثمانية والعشرون، وقد اشتملت هذه السور على أربعة عشر حرفا من حروف الهجاء، أي نصف حروف الهجاء، وهذه الحروف الأربعة عشر اشتملت على نصف حروف كل قسم من الأقسام التي انقسمت إليها حروف العربية، حيث اشتملت على نصف حروف الهمس ونصف حروف الجهر، كما اشتملت على نصف حروف الحلق، ونصف حروف الإطباق، ونصف الحروف الشديدة "الانفجارية"وهذا التنظيم والتقسيم البديع، هو بدون شك وجه من وجوه الإعجاز الناصعة في القرآن »[1].

[1] أحمد جمال العمري، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني، ص214 وما بعدها .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

ومنه يتضح « أنّ طريق الباقلاني في معالجة قضية الإعجاز مغاير لكل طرائق ومناهج من تكلموا في هذه القضية إلى زمانه، وبعد زمانه إلى يوم الناس هذا، ولم أعرف أحدا أسس كلامه في الإعجاز، على تأمّل الأمثلة و الأساليب من الشعر والنثر في فنون الكلام المختلفة...

هذا عجيب جدا و بارع جدا ويهدينا إلى منهج جديد يبعدنا عن التنطّس في معرفة المناهج، والمذاهب، ويقول لنا لا تجعلوا بينكم و بين النصوص وسيطا، واجتهدوا فقط في أن تعطوا النصوص حقّها من التأمّل، وأن ترعاها أفئدتكم حقّ رعايتها، وحينئذ ستعرفون مخرج الكلام ومصدره، ومطلعه، ستعرفون إن كان صادرا عن مقتدر أو عن متوسط، أو عن مطبوع، أو عن صانع، أو عن مرتجل، أو عن من يجيل فكره.

و فوق ذلك تعرفون ضربا آخر من الكلام، ونمطا آخر صادرا عن الربوبية، طالعا عن الإلهية، كلّ هذا بالتأمّل لا غير »[1].

07- قيمة الكتاب وأثره والجديد الذي جاء فيه:

رسم الباقلاني في كتابه " إعجاز القرآن " منهجا جديدا، وطريقة بديعة، سبق بها غيره في دراسته للإعجاز القرآني بحيث إنّه لم يقلد من سبقوه في دراساتهم وتحليلاتهم الجزئية، وإنّما عوّل على دراسة الأثر الأدبي والنص القرآني على أنّه وحدة متكاملة " قصيدة كاملة أو خطبة تامة أو سورة قرآنية كاملة ". هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد تتبع بمقارنته بين النظم القرآني والكلام البشري الأساليب الفنية عند العرب؛ شعرا ونثرا وخطابة؛ باستقراء ألوانها وأنواعها الموجودة، واصفا ماينتابها من نقص و تفاوت، ومبينا خروج نظم القرآن الكريم عن ذلك كله بما يتميز به من ترابط واتساق ووحدة فنية وموضوعية وانسجام بديع وتآلف رائع.

إذن فقد اتبع ما عرف فيما بعد بالمنهج الاستقرائي والوصفي ، ففي تصنيفه لأشكال أساليب العربية استعمل المنهج الاستقرائي، وفى وصفه لما ينتابها من اختلاف واختلال استعمل المنهج الوصفي.

وفي موازنته بين كلام البشر ونظم القرآن الكريم اعتمد المنهج المقارن فوصل بذلك إلي نتائج طيبة أضاف بها إلى جهود السابقين إضافات مميزة حفظت له مكانة راقية بين البلاغيين وآرائهم، يقول محمد زغلول سلام: « وقد مكنه ذلك المنهج العقلي الدقيق في دراساته للبيان القرآني من الخروج بنتائج طريفة وهامة في الوقت نفسه وأمكن تكوين رأي قد يخرج إلى

[1] محمد محمد أبو موسى، مراجعات في أصول الدرس البلاغي، ص 233.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

منهج أو نظرية في النقد مكتملة دقيقة إلى حد ما، مستفيدا بما كتب السابقون معتمدا على فكر حر ينقد ويفحص قبل أن ينقد أو يرفض...»[1].

ويمكن إجمال هاته اللفتات الطيبة فيما يلي:

01- **إدراكه سمة الوحدة الفنية و الموضوعية في النظم القرآني:** فإدراكه هذه السمة من الإنجازات الطيبة التي تحتسب له « بعد أن سيطرت المعالجات الجزئية على العمل الفني، من جراء المنهج اللغوي، فظهر البيت الشاهد أو العبارة الشاهد أو الآية القرآنية التي تثبت قاعدة، أوتنفي قاعدة وضاعت النظرة الكلية إلى العمل الفني فافتقد أخص مقوماته وأهم مميزاته وإدراكه لهذه السمة برز في معالجته للشعر والنظم القرآني موضوعيا وفنياً »[2].

وهذا « من أهم ما يسترعي النظر في منهج الباقلاني لدراسته إعجاز القرءان اعتبار الوحدة الفنية التي تتضمّن موضوعاً واحداً و يظهر هذا من تناوله بالتحليل سورة بتمامها يتدرج فيها، ليظهر ما تنطوي عليه من خصائص في النظم لا تقتصر على مجرّد روعة استعارة أو بلاغة تشبيه يرد في آية أو عبارة قصيرة وإنّما إعجازه منصب عليه جملة لا تفصيلا فالصورة لا الآية أصغر وحدة فنية ، موضوعية في القرآن يمكن الحكم عليها بإعجاز النظم ، أو البلاغة، وروعة البيان لأنه يمكن أن تتوفر لها شروط الإعجاز السليمة، وبذلك يكون قد خرج عن منهج السابقين و آرائهم ودراساتهم...»[3].

وهذا العمل المميز حمل بعض الدارسين على الإشادة به مظهرا إعجابه الشديد قائلا: « والشيء الذي يذكر بالإعجاب له في هذا الصدد أنّه تناول النظم كظاهرة كلّية في القرآن كلّه فسبق بذلك المفكرين في العصر الحديث الذين يتناولون في نقدهم العمل الأدبي بوجه عام...»[4].

و قد أكّد أهمية وأسبقية ما جاء به الباقلاني هنا عبد الرؤوف مخلوف في قوله: « ولعله ممّا ينبغي أن نؤكّده و نشير إليه هنا، أنّ طريقة الباقلاني في استجلاء الفصاحة و البلاغة و اتجاهه إلى النظر في ذلك على أساس من الكلّ الذي يتمثّل في السورة جملة و في القصيدة

---

[1] محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العرب ، ص269 .

[2] منير سلطان، مناهج في تحليل النظم القرآني، ص 75 .

[3] السابق، ص286 .

[4] فتحي عامر، بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، ص 117 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

جملة لينقدها إنّما هي فتح جديد في الدراسات الفنية »[1]، وقد أدت « هاته اللفتة إلى القيام بدراسة كل من القصيدتين – يقصد معلقة امرئ القيس وقصيدة للبحتري– فكان من أول من تنبهوا إلى إجراء نقد تطبيقي على قصيدة كاملة ، اعتماداً على التحليل المتدرج لأبياتها »[2]، كما طبّق هذا المنهج على النظم القرآني أيضا فنظر إلى سور القرآن نظرة فنية نقدية ثاقبة باعتبارها « وحدة فنية موضوعية فيتناولها تناولا طريفا–لعله لم يسبق إليه– فيحللها من ناحية النظم، متعرضا لألفاظها، ومعانيها وتآلف الألفاظ والمعاني في نظم رائع، وصلة الفاصلة بالنظم ويقوم بتقريب معاني السور وشرح مواطن الجمال فيها ويكشف عما يخفى على القارئ العادي و بذلك يقوم بدور الوسيط بين النص وقارئه متماشيا مع السورة من مطلعها متقلبا مع معانيها مختلفا بين فنون التعبير فيها ثم يأبى أن يُصدر أحكاما، أو أن يلقى بمقاييس جافة، وهياكل لا حياة فيها ولا رواء، لا تغني في النقد الصحيح كما فعل أصحاب البديع والبلاغة فينحى مقاييسها جانبا ويتمشى مع منهجه السليم القريب إلى روح النقد ... »[3]، وهو بهذا يقدم لنا نموذجا من نماذج الدراسة التطبيقية لبلاغة القرآن حتى عُدّ « خير من عرض لدراسة القرآن دراسة تقصد إلى بيان ما تفرد به أسلوبه وتضع اليد على نماذج من ذلك .. وقد فتح بذلك المنهج الباب أمام كثيرين ممن جاءوا بعده ليمشوا في دربه ويسلكوا طريقته ...»[4].

02– **إدراكه التأثير النّفسي للقرآن الكريم:** فقد ويقول محمد أبو موسى: « ثمّ ينبّه الباقلاني إلى حقيقة أخرى من حقائق الإعجاز ليست راجعة إلى إحكام بنائه، وإنّما ترجع إلى أمر إلهي فيه وهو أثره في النفوس و كيف ربّاها؟ و أخشعها لمولاها؟ و أضاءها بنور ربّها ؟ وقرر فيها أمره سبحانه، وقاد الأفئدة قيادة ما انقادتها لغيره، وحال بين المرء وقلبه، وسلك كلّ مسلك من مسالك نفسه وكيف أحاطته هذه القلوب حفظا و تقييدا ؟ وكيف اجتمعت على مهابته وإجلاله ؟ كلّ هذا مما انفرد به هذا القرآن، وهو عند الباقلاني وجه من وجوه إعجازه »[5].

ولا تخفى أهمية إدراك هذا الجانب في تناول قضية إعجاز القرآن يقول منير سلطان: « والجانب النفسي هو الجانب الذي يجب أن يأخذ مكانه في دراسات إعجاز القرآن و يجب ألاّ

---

[1] عبد الرؤوف مخلوف ، من قضايا اللغة والنقد والبلاغة ، ص 242 .

[2] إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي، ص342 .

[3] محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي، ص291–292 .

[4] عبد الرؤوف مخلوف، اللغة والنقد والبلاغة، ص221 .

[5] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي، ص 205.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

يعتبر جزءاً من جوانب. لأنّه قائم بذاته له حيّز يعينه في إعجاز القرآن »[1]، وقد تنبّه الباقلاني لهذا الجانب وأولاه عناية بالغة، يقول فتحي أحمد عامر: « نظر الباقلاني للقرآن على أنّه نموذج و مثال لما له من أثر نفسي و أثر توجيهي في الأدب و في النقد...و هكذا يستوحي منهجه من الوقوف طويلا عند النظم في القرآن ويتناول ما وراء النظم من حسن الموقع في السمع، والسّهولة على اللسان، و الوقوع في النفس موقع القبول و التمكين، والبهجة والذهول، والأنس والقلق، والضحك والبكاء، والفرح والحزن، والسكون والانزعاج، والطرب والشجن، وهز الأعطاف وبث الأريحية والعزة، وهذا كلام له وزنه و خطره في الدلالات الثانية وراء النظم و لكنّه يزداد خطرا و وزنا إذا وقع موقع التطبيق على السور القرآنية ...»[2].

03- **شمول مدلول لفظ البديع و سعته عند الباقلاني:** ومن ذلك أيضا توسعه في مدلول كلمة البديع واستعمالها فيما تدل عليه لغة، حتى عدَ منه الاستعمالات الحقيقية التي وردت في القرآن على أصل وضع اللغة من حيث إنها اخترعت وجاءت على ما جاءت عليه لأول مرة في الاستعمال ولم يسبق لأحد استعمالها قبل القرآن يقول الباقلاني:« وقد يكون البديع من الكلمات الجامعة الحكيمة كقوله: ﴿ ﴾[البقرة –آية179]وفي الألفاظ الفصيحة كقوله: ﴿**فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِياً**﴾[يوسف –آية80] وفي الألفاظ الإلهية كقوله: ﴿**وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ**﴾[النمل– آية 91] وقوله ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ**﴾[النحل –آية 53] وقوله: ﴿**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾[غافر– آية16] ... »[3].

ثم ذكر طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة كقوله صلى الله عليه وسلم: ((الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة)) وطائفة من أقوال الصحابة ومن بعدهم فيما سبقوا غيرهم فيه كما ذكر شيئا من الشعر مما وصف بالسبق كقول امرئ القيس:

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ.

قال: قوله « قيد الأوابد عندهم من البديع ومن الاستعارة ويرونه من الألفاظ الشريفة ...واقتدى به الناس واتبعه الشعراء فقيل قيد النواظر،وقيد الألحاظ، وقيد الكلام، وقيد الحديث،

---

[1] منير سلطان، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة ، ص 115 .

[2] فتحي عامر، بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ ، ص 126–127 .

[3] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص57 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

وقيد الرهان...»[1]، ثم مضى يذكر بعض ما يراه من البديع من جهة أولية وسبق استعمال الشاعر له في الأساليب العربية.

04- **بلاغة الحقيقة عند الباقلاني:** ومما يُلحق بتوسعه في معنى البديع، رأيه في بلاغة الحقيقة حيث إنه يرى أنّها إذا وقعت في موضعها المناسب، كانت أبلغ من المجاز، وهو رأي طريف يخالف به ما اشتهر عن البلاغيين؛ من أن المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح، فالبلاغة عنده كما تتحقق باستعمال المجاز كالاستعارة والكناية... تتحقق من طريق استعمال الكلمة في أصل ما وضعت له، شريطة وضعها في المكان المناسب لها، وهذا أظهر ما يكون في آيات الأحكام والتشريع، وسن القوانين، للزوم وضوحها، وبعدها عن المجازات والكنايات، لتؤدي الغرض منها من البلاغ والبيان، مراعاةً للمقام الذي يقتضي الوضوح والدقة، وتطبيقاً للقاعدة البلاغية التي تنص على أن البلاغة هي موافقة الكلام لمقتضى الحال، وهذا ما أشار إليه الباقلاني في قوله: « ونذكر في الأحكاميات وغيرها آيات أخر منها قوله: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ [المائدة –آية : 4] .

أنت تجد في هذه الآية من الحكمة والتصرف العجيب والنظم البارع ما يدل لك إن شئت على الإعجاز مع هذا الاختيار والإيجاز...»[2].

وقرر بعد ذلك أن ظهور البلاغة والفصاحة معتبر في آيات التقنين كما هو معتبر في غيرها يقول: « والآيات الأحكاميات التي لابد فيها من أمر البلاغة، يعتبر فيها من الألفاظ ما يعتبر في غيرها. وقد يمكن فيها، وكل موضع أمكن ذلك، فقد وجد في القرآن في بابه ما ليس عليه مزيد في البلاغة وعجيب النظم...»[3].

كما أنه ذهب إلى أن الإعجاز كما قد يتحقق ببعض صور الاستعارة والمجاز يصح أن يتعلّق بالحقيقة ويتحقق بها، معللاً ذلك بجريان البلاغة في البابين على نمط واحد حيث يقول:

---

[1] السابق ، ص59 .

[2] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص 145 146 .

[3] السابق ، ص151.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

« والتصرف في الإستعارة البديعة يصح أن يتعلق به الإعجاز ، كما يصح مثل ذلك في حقائق الكلام، لأن البلاغة في كل واحد من البابين تجري مجرى واحدًا،وتأخذ مأخذاً مفردًا »[1].

05- **إشارته إلى الرؤية الشعرية:** ومن طرائفه ما جاء به في تطبيقاته على الشعر والقرآن؛ إذ لمح إلى ما عُرف حديثاً **بالرؤية** الشعرية « فقد أشار إلى اختلالها عند البحتري في تشبيهه الخيال بالبرق فقال: "إنه جعل الخيال كالبرق لإشراقه في مسراه". والخيال لا يشبه عنده بالبرق لأن البرق سريع خاطف والخيال يسري مسرى النسيم ثم يرى أن في تمثيله هذا غلوا في الصنعة وأن سبب اختلال الصورة عدم الدقة في مراعاة النسبة في الصفة بين المشبه والمشبه به، وهذا أدى بدوره إلى فقدان الإحساس بالجمال في النفس للبعد وعدم التوافق أو بعد الصورة الربطية "في المشبه به" عن الصورة الأصلية "في الخيال". فقال الباقلاني أن التشبيه غير واقع... »[2].

06- **دور اللفظ ومكانته في التعبير:** ومما يسترعى انتباه الدارس، رأيه في دور اللفَظ في التعبير وفي ذلك يقول: « وإذا كان الكلام إنما يفيد الإبانة عن الأغراض القائمة في النفوس التي لايمكن التوصل إليها بأنفسها، وهي محتاجة إلى ما يعبر عنها فما كان أقرب في تصويرها وأظهر في كشفها للفهم الغائب عنها ،وكان مع ذلك أحكم في الإبانة عن المراد، وأشد تحقيقا في الإيضاح عن طلب وأعجب في وضعه وأرشق في تصرفه وأبرع في نظمه كان أولى أحق بان يكون شريفاً .

وقد شبهوا النطق بالخط، والخط يحتاج مع بيانه إلى رشاقة وصحة ولطف حتى يحوز الفضيلة ويجمع الكمال، وشبهوا الخط والنطق لتصوير، وقد أجمعوا أن من أحذق المصورين من صور لك الباكي المتضاحك،والباكي الحزين، والضاحك المتباكي، والضاحك المستبشر، وكما أنّه يحتاج إلى لطف يدٍ في تصوير هذه الأمثلة، فكذلك يحتاج إلى لطف في اللسان والطبع في التصوير ما في النفس للغير »[3]؛ فهو إذن قد اعتمد في رأيه « على اعتبار اللفظ جزءاً من النظم يوجهه المعنى، وأداة للتعبير، لا ينظر إليه نظرة جزئية على ضوء البديع فيحكم عليه بالفصاحة أو الابتذال، أو بغير ذلك من الأحكام .

---

[1] نفسه ، ص 197.

[2] محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص289-290 .

[3] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص 88 – 89 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

وهو يقترب في رأيه هذا من آراء النقاد المحدثين في اللفظ، فلا يهمه من اللفظ غير "دقة آداء المعاني" و لا يهتم بعد ذلك بالرونق والمظهر ، فهما تغير أو تلون في صيغ وأشكال مختلفة...»[1].

07- **إشارته إلى الإعجاز التصويري:** أو ما عرف بالتصوير الفني في القرآن الكريم والمقصود به التعبير عن المعاني بصورة محسوسة مشخصة مصوّرة كأنّها تتحرك أمام القارئ فهي طريقة في التعبير«تخاطب الحس والوجدان وتصل إلى النفس من منافذ شتّى، من الحواس بالتخييل، ومن الحس عن طريق الحواس، ومن الوجدان المنفعل بالأصداء والأضواء، ويكون الذهن منفذًا واحدًا من منافذها الكثيرة إلى النفس لا منفذها المفرد الوحيد ... »[2].

وقد أشار إليه الباقلاني بوضوح ودقة وذلك في قوله: « وتصوير ما في النفس وتشكيل ما في القلب حتى تعلمه وكأنّك مشاهده وإن كان قد يقع بالإشارة ويحصل بالدلالة والإمارة، كما يحصل بالنطق الصريح والقول الفصيح، فللإشارات أيضًا مراتب، وللسان منازل، رب وصف يصور لك الموصوف كما هو على جهته لاخُلف فيه، ورب وصف يربوا عليه ويتعداه ورب وصف يقصر عنه...»[3]، ثم ذكر كثيرا من الآيات التي يتجسد فيها هذا اللون من الإعجاز والذي أصبح نظرية في الإعجاز لها وجودها ومكانتها كوجه من أهم وجوه الإعجاز القرآني تبلورت على يد الشهيد سيد قطب وعبد الله دِراز ومحمد سعيد رمضان البوطي وغيرهم .

08- آراء العلماء في الكتاب:

رغم الجهد الذي بذله الباقلاني في كتابه، ورغم ما جاء به من إضافات مميزة أثرى بها جهود السابقين في الدرس البلاغي؛ إلا أن الأنظار اختلفت فيه، فمنهم من أشاد بالكتاب وأطراه ومدح ما فيه، ومنهم من انتقصه وذمّه وعدّه من عيوبه ومنهم من توسط بين هذا وذاك فأشاد بما فيه من الطرائف ونبّه إلى ما فيه من نقائص وهنات.

ومن الذين أشادوا به وبما فيه نذكر:

---

[1] محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص299 .

[2] سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص 242.

[3] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص 173 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

- **ابن العربـــــي المالكي:** الذي نقل عنه الإمام السيوطـــي قولـــه في كتاب الباقلاني:«لم يصنّف مثل كتابه»[1].

- **السيوطي والزركشي:** نقلا كلام ابن العربي السابق مقرين له في ثنايا مدحهما للكتاب

- **أحمد صقر:** الذي وصف الكتاب بأنه «أعظم كتاب ألف في الإعجاز إلى اليوم»[2].

كذلك وصفه كل من **عبد العزيز عتيق، وبغدادي بلقا سم، و أحمد العمري**، بأنـــه خيـــر وأهم ما ألف فـــي الإعجاز.

- **بدوي طبانة:**في قوله: «وبين أيدينا أثر جليل يدل على حدق المتكلمين للبيان،فضلا عن حذقهم لعلم الكلام. وهذا الأثر هو كتاب "إعجاز القرآن" »[3].

- **إحسان عباس:** الذي يرى أن الباقلاني« هو الوحيد الذي استطاع أن يفيد إفادة تفـــصيلية من جهود السابقين، وأن يطور أثناء بحثه لقضية الإعجاز بعض النواحي النقدية –إلى درجـــة أن– جهود الرماني والخطابي على هامش النقد الأدبي »[4].

- **المحمدي الحناوي:** الذي قال عن الكتاب: «...وهو كتاب جليل في دراسات النقد والبيان والإعجاز، بل هو من أنفع وأجل ما كتب في دراسة نواحي إعجاز القرآن الكريم والكشف عن

البيان، وسعة إطلاعه على ثقافات الدين والعربية، كما يتميز الكتاب بجمال أسلوبه وطلاوتـــه، وبغلبة ثقافة المتكلمين عليه »[5].

إلى غيرهم من الباحثين الذين أشادوا بالكتاب ومدحوه.

أما الذين انتقصوا الكتاب وهضموه حقه، فنذكر منهم: زكـــي مبارك في كتابه النثر الفنـــي و الذي يبدوا أنه حاد عن الروح العلمية حينما تعدى النقد الموضوعي إلـــى تجـــريح شـــخص الباقلاني وأصحابه الأشاعرة حين عرض لمذهبهم في نفي السجع عن القرآن قائلا: «وهذا كلام ساقط ضعيف، فالسجع موجود في القرآن ولكن الرجل يأبى أن يعترف بـــه، لأن الاعتـــراف بوجوده يتضمن الاعتراف بأنه غير خارج عن أساليب كلام العرب، والإعجـــاز فـــي رأيـــه

---

[1] السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 116 .

[2] الباقلاني، إعجاز القرآن، تح أحمد صقر ، ص

[3] بدوي طبانة ، البيان العربي ، ص 42 .

[4] إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي ، ص337.

[5] المحمدي الحناوي ، دراسات حول الأعجاز البياني في القرآن ، ص213–212 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

ينحصر في الأسلوب، وما دمنا سلمنا بأن القرآن معجز فإنه يجب أن نؤمن بأنه غير مسجوع، وإلا سوينا بينه وبين سائر الكلام ونحن لا ندري كيف اتفق للباقلاني وأصحابه من الأشـــعرية أن يفهموا هذا الفهم العقيم »[1].

فبُعـــد صاحب هذا الرأي عن الروح العلمية واضح ، وتحامله على الباقلاني و الأشاعرة جلـــي ، ولا يُدرى ما هو الدافع لذلك، ولا أكون مبالغاً إذا قلت إن فهمه لرأي الأشاعرة فهـــم غير دقيق لأن رأيهم في نفي السجع عن القرآن مبني على أدلة وبعد نظر، ولا أقل مـــن أنّـــه اجتهاد يؤجر عليه صاحبه على أي حال وما من اجتهاد إلا له وعليه.

كما أن شفيع السيد ذهب إلى أن الباقلاني لم يقد شيئاً ذا بال يتعلق بالبلاغة فـــي قولـــه: « وبذلك يتأكد حكمنا السابق من أنه لم يضف إلى البحث البلاغي شيئاً من خـــلال حديثـــه عـــن الإعجاز»[2].

وهذا الرأي أيضاً فيه بعد عن الموضوعية والإنصاف، كما فيه هضمٌ وتحامل شديدٌ علـــى جهود الباقلاني، ولا أدل على ذلك مما ذكرت من طرائف جاءت في الكتاب

على أن هناك مجموعة من العلماء والباحثين أنصفوا الكتاب ببيان ما فيـــه مـــن طرائـــف وفوائد ولم يمنعهم هذا من التنبيه إلى بعض النقائص التي تنتاب أي عمل، وعلى رأس هـــؤلاء محمود شاكر و الرافعي وشوقي ضيف ومحمد سلام زغلول وفتحي أحمد عامر ومنير سلطان وغيرهم، فكلهم مدح الكتاب بما فيه من الاجتهاد الرائع والأفكار الجديدة، ثم بينوا بعض الخلل الذي رأوه في الكتاب وهو راجع إلى أحـــد أمرين:

الأمر الأول: تحامل الباقلاني في نقده للشعر وإسرافه في بيان عوراه .

الأمر الثانـــي: عدم وضوح رأيه واضطرابه في بعض ما طرحه (انعدام الدقـــة فـــي طرحه) بالإضافة إلى عدم إيفاء الموضوع حقه.

وهذه بعض أقوالهم وآرائهم في ذلك:

– **محمود احمـــد شاكر:** والذي أنكر في تقديمه لكتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي على الباقلاني وتحامله الشديد على الشعر الجاهلي بذكر عيوبه فسنّ بذلك في رأيه هذا طريقًا لنقـــد الشعر ببيان عيوبه وعوراه دون ذكر محاسنه لمن جاء بعده ، وفي هذا توهين لقيمـــة الـــشعر ومكانته، يقول: « فهذه الموازنة التي هاجت الباقلاني كما ذكر هو، حملته على هتـــك الـــستر

[1] زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع ، (بيروت : المكتبة العصرية) ،ج 2 ، ص 96 .

[2] شفيع السيد، البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم، (ط:2؛1996مدينة نصر: دار الفكر العربي)، ص 66 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

عن معلقة امرىء القيس ، ليكشف للناس عيبها وخللها، لا ليستخرج منها خصائص بيانهم، وكيف كانت هذه الخصائص مفارقة لخصائص بيان القرآن، فلما زلّ الباقلاني هذه الزلة وأخطأ الطريق، زلّ به من بعده وأخطأه، وأخذوا الشعر الجاهلي كله هذا المأخذ ... اتخذوه هدفا للنقد والتفلية وإظهار العيب وتبيين الخلل، بإزاء كلام بريء من كل عيب وخلل؛ فيبقى الأمر أمر الموازنة لا عدل فيها. وكان حسبه من الدليل أن أهل الجاهلية بتركهم معارضة القرآن بشعرهم أو كلامهم، هو إقرار لا معقب عليه بفضل هذا القرآن على شعرهم وكلامهم، فلم تكن بالباقلاني حاجة إلى سلوك هذا الطريق الذي سلكه، إلا ما حمله عليه ما نعق به جاهل من جهال المتلحدة، من الموازنة بين الكلامين، وتفضيل شعرهم على القرآن »[1].

– **أحمد صقر:** الذي يقول: « والحق أن نقد الباقلاني لمعلقة امرىء القيس وقصيدة البحتري، من نماذج النقد الأدبي الرائعة، وصوره الرفيعة البارعة؛ غير أنه شان حسنها، وشاب صفاءها، بتحامله عليها، واسرافه في نقد أبياتها»[2]، ويقول محمد أبو موسى بعد ذكره لتناول الباقلاني للقصيدتين وبيان ما يعتورهما من خلل وفتور:

« ولكن الباقلاني مال وجنف وألح على تكدير صفو الشعر، وتحايل، وتكلف، وتعمّل، وجانب»[3].

– **مصطفى صادق الرافعي:** فبعد مدحه للكتاب نبه إلى الخلل الذي رآه فيه قائلا: « وجاء أبو بكر الباقلاني المتوفى سنة 403 هـ فوضع كتابه المشهور(إعجاز القرآن) الذي أجمع المتأخرون من بعده على أنه باب في الإعجاز على حدة ... على أن كتاب الباقلاني وإن كان فيه الجيّد الكثير، وكان الرجل قد هذبه وصفاه وتصنّع له، إلا أنه لم يملك فيه بادرة عابها هو من غيره ولم يتحاش وجهاً من التأليف لم يرضه من سواه... »[4]، وبعد ما تكلم عن إغراق الكاتب في الحشد والحشو الخارج عن القصد اعتذر له بأنه «قد استبد بهذا الفرع من التصنيف في الإعجاز وأحتمل المؤنة فيه بجملتها من الكلام والعربية والبيان والنقد ووقّى بكثير مما قصد إليه من أمهات المسائل والأصول التي أوقع الكلام عليها حتى عدّوه الكتاب وحده؛ لا

---

[1] محمود احمد شاكر ، مقدمة على الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي ترجمة عبد الصبور شاهين(ط:4 ؛1987 ، دمشق: دار الفكر) ، ص 46 .

[2] الباقلاني، إعجاز القرآن، تح أحمد صقر ، ص 81

[3] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي، ص 280

[4] الرافعي ، إعجاز القرآن ، ص152 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

يشرك العلماء معه كتابا آخر في خطره ومنـــزلته وبعد غوره وإحكام ترتيبه وقوة حجته وبسط عبارته وتوثيق سرده»[1]. وهو في ذلك يرى أنه لم يزد على أن ضمّن الكتاب روح عصره مع شيء من البسط والتهذيب لبعض أراء من سبقوه وفي الأخير يجمل رأيه المعتدل في الكتـــاب قائلاً: « وبالجملة فقد وضع مالم يكن يمكن أن يوضع أوفى منه في عصره»[2]، وقد نقـــل هـــذا الكلام بكري إسماعيل بحروفـــه مقرًا له ومثنيا عليه[3].

– **شوقي ضيف:** ذكر في تضاعيف كلامه عن كتب الإعجـــاز بعـــض مؤاخذاتـــه علـــى الباقلاني وصرحّ بعدم دقته في تفسير نظريته في الإعجاز رغم تطويله وإسهابه، وفي الأخيـــر أجمل رأيه في الكتاب قائلاً: «ولعلنا لا نُبعد إذا قلنا انه أول من هاجم في قوة نظريـــة إعجـــاز القرآن عن طريق تصوير ما فيه من وجوه البديع ، وأيضا وجوه البلاغة التي أحصاها الرماني ومن هنا تأتي أهميته إذْ أعدّ للبحث عن أسرار في نظم القرآن من شأنها حين توّضح توضيحاً دقيقاً أن يقف الناس على إعجازه وإنّ كنا نلاحظ في الوقت نفسه أنه لم يستطع أن يصور شيئاً من هذه الأسرار إذ ظلت الفكرة عنده غامضة وظلت مستورة في ضباب كثيف »[4].

– **محمد زغلول سلام:** بعد ما تحدث عن نشأة الباقلاني وتكوينه الكلامي المتجلي في كتبه، خاصّةً منها كتاب "إعجاز القرآن" الذي جمع فيه مؤلفه إلى روحه الكلامية طابعاً أدبياً بتعرضه للناحية البيانية والأسلوبية، بين أنّه «هو الدراسة الناضجة لآراء الباقلاني مجتمعة فـــي نظـــم القرآن»[5].وأشاد بالترتيب المنطقي والمنهج العلمي للكتاب ، بعد هذا نبه إلى تحامل البـــاقلاني وتكلفه لبيان عوار بليغ الشعر العربي قائلاً: « وهذا تحامل ظاهر من أبي بكر على الشاعر – ثم ثنى بكلام أنصفه فيه قائلاً– ومع هذا فإنّا لا ننكر بعض ما نبه إليه الباقلاني من هنات في القصيدة، بل ونأخذ برأيه فيها ونقدر له عمقه وحسن استنباطه وإدراكه لمواطن الخلل التي قـــد لا تخفى على بصائر النقاد»[6]. ومضى بعد ذلك إلى تلخيص بعض الطرائف الفنيـــة فـــي نقـــد الباقلاني لقصيدة البحتري وتحليله لبعض سور القرآن وختم بقوله: «وبعد فقد تعرض الباقلاني

---

[1] السابق ، ص 153 .

[2] الرافعي ، إعجاز القرآن ، ص 154 .

[3] بكري إسماعيل ، دراسات في علوم القرآن، (القاهرة : دار المنار ، ط:2 ؛ 1999) ،

[4] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص114 .

[5] محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص279 .

[6] محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص 289 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

لكل ما يمكن أن يتعرض له ناقد حديث يطالب بنقد النص وبيان رأيه فيه، نقدَ النص نقداً موضوعياً على أساس فهم سليم له، ثمّ التأثر بما يوحيه من معاني والكشف عنها وبيان الرأي فيها بالاستعانة بدراسات اللغة ومقاييس الأسلوب الجميل، ثمّ الأثر النفسي الذي يكمن وراء النص، أو الانفعال الذي أثار قائله وقدرته على التعبير وأداء ذلك المعنى، ثمّ الأثر النفسي للنص في السامعين أو القارئين ... إلى آخر ما تعرضنا له من طرائف في الكتاب، وما سبقه من أراء في كتبه الأخرى ... »[1].

– **فتحي أحمد عامر**: تحدث عن بعض الملامح الجديدة والطرائف التي سبق بها الباقلاني غيره أو ساهم في توسيعها أو تبسيطها مشيداً و مادحاً، ثمّ تساءل عن مدى توفيق الباقلاني في تحديد فكرته في النظم تحديداً دقيقاً ليجيب قائلاً: «الجواب أن فكرة النظّم عنده مستورة في ضباب ولم نستطع بعد لأي أن نحدد معالمها بالرغم من نظراته النقدية الموضوعية الصائبة ... »[2].

وهذا الجواب لم يمنع من الإقرار بحسن وصف الباقلاني لفكرة النظم، وإلمامه بها إلماماً يكاد يكون شاملاً، وهذا ما حمل فتحي أحمد عامر على الإشادة بعمل الباقلاني قائلاً: « ومهما يكن من شيء فإنّ الباقلاني أضاف دلالات وأفكار جديدة حول نظم القرآن باعتباره عملاً فنياً واحداً، يعني أنه أطنب في ذكر المعاني الثانية التي يستدعيها النظم في النسق القرآني كله، وكررها في أكثر من مناسبة، وكان مولعاً بها أمام كل نص من كتاب الله. فإذا جاء دور التفصيل وذكر هذه المعاني وراء آية أو لفظ أشعرك أنه قادر على ذكر أشياء عجيبة من خلالها ثمّ تركها لذكاء القارئ وفطنته. اللّهم إلاّ القليل الذي كان يشير إليه إشارة نابضة بالحياة تجعلك توقن في مقدرة الرجل، وتنسب إحجامه عن خوض هذا المجال الفني العظيم الأهمية والشأن حول هذه الدراسة إلى انشغاله بظاهرة الرد في مقام الجدل والدفاع عن القرآن في مواجهة خصومه والمتقولين عليه، وعلى كل حال فإن كتابه "إعجاز القرآن" يقف متفرداً بكثير من الوجوه بين سائر ما كتب في الإعجاز لمعاصريه وسابقيه ... »[3].

---

[1] نفسه ، ص 303.302 .

[2] فتحي أحمد عامر ، بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ ، ص 119.

[3] السابق ، ص 137.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

– **منير سلطـــان:** مدح الكتاب بأنه:« فيه علم الكلام وفقه السنة وفيه ثقافة أدبية نقدية تعتمد على ذوق فني استطاع أن يبرز من خلال الجدل المنطقي والحجاج الفقهي»[1]، ثمّ ذكر شيئاً من اضطراب الباقلاني في أحكامه وسبب ذلك، ونقل كلام شوقي ضيف السابق في موضع آخـــر وعلّقَ عليه قائلاً: « وهذا صحيح ولكن وهناك وقفات طيبة للباقلاني في بيان إعجـــاز القـــرآن التفت لها فقيل القول فيها ... »[2]، وأخذ يعددها ويعدّ مزاياها.

إلى غير ذلك من الآراء التي لا تخرج في مجملها عما سبق ذكره، ولعلّ التقصير الـــذي يبدوا في الكتاب يرجع إلى أسباب من أهمها أن تركيز الباقلاني واهتمامه كان في الرد علـــى الطاعنين في إعجاز القرآن، وهو السبب الذي دفعه إلى تأليف الكتاب يقـــول محمـــود أحمـــد شاكر: « بيد أن جدل المتكلمين قبله وعلى عهده، وخوض الملحدين في أصـــول الـــدين كمـــا قال،ومنهجهم في اللجاجة وطلب الغلبة، كل ذلك لم يدعه حتى استغرقه في الرد عليهم، علـــى مثل منهاجهم من النظر »[3]، بالإضافة إلى أن الكتاب ليس كتاباً بلاغياً محضاً، وإنّمـــا كانـــت المسائل البلاغية فيه مختلطة بغيرها من المسائل الكلامية، والقصد منها الدفاع عن الإعجـــاز القرآني فهي ليست مقصودة قصد الغايات وإنّما قصد الوسائل.

فالباقلاني يمثل مدرسة كلامية عقيدية، كان لها أثرها في رسم توجهاته وأرائه، فأثر البيئـــة التي نشأ وترعرع فيها يظهر في سمات منهجه المتصل بقضايا العقيدة والكلام.

فإذا نظرنا إلى الكتاب من هذه الزاوية، وحاكمناه في عصره وزمنه وبيئته وتكوين شخص صاحبه والروافد الثقافية المؤثرة في توجهاته ودوافع تأليفه أقررنا بأن الكتاب مثّـــلَ مـــستوىً راقياً من مستويات التحليل والطرح والمعالجة، حفظت للباقلاني مكانة سامية ضمن مؤســـسي الدرس البلاغي، يقول عبد العزيز عتيق: «وما من شك في أن كتابه قد وعى لنا الكثيـــر ممـــا قاله المتقدمون في البلاغة، كما وضح جوانب من وجوه البلاغة توضيحاً يدل على حسن فهـــم البلاغة وأسرارها وهو بذلك قد أضاف للبلاغة من عنده ما يحسب له»[4].

---

[1] منير سلطان ، مناهج في تحليل النظم القرآني ، ص 50.

[2] منير سلطان ، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة ، ص 115 .

[3] محمود احمـــد شاكر ، مقدمة على الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي ، ص44 .

[4] عبد العزيز عتيق ، في تاريخ البلاغة ، ص227 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

المبحث الثالث:

أسس التحليل عند ا

تمكن الباقلاني من خلال منهج عقلي دقيق في دراسته للإعجاز القرآني من الخروج بنتائج هامة، تؤهل رأيه ليتبوأ مكانة معتبرة في مصاف النظريات النقدية بل يُمكن أن يُكون رأيه نظرية مكتملة في النقد على حد تعبير محمد زغلول سلام[1] .

وقد أجمل منير سلطان بدقة وإحاطة أسس التحليل عند الباقلاني فيما يلي: «

1- الالتزام بالمنهج الكلامي .

2- الموازنة بين النظم القرآني والنظم البشري .

3- الاحتكام إلى التذوق الفني »[2].

وسأحاول شرح أسس التحليل عند الباقلاني، وطريقته في إثبات الإعجاز من خلال تتبعها واستقرائها في كتابه إعجازا لقرآن:

أ- **اعتماد منهج علماء الكلام وطريقتهم المنطقية في العرض والتحليل:** «امتازت كتابات الباقلاني ودراساته بالمنهج الكلامي المنظم فقد اهتم بوضع المقدمات التي تنبئ عن الفكرة ثمّ شرح ما جاء فيها من مسائل، ومناقشتها من وجوهها المختلفة، و ينتهي إلى تلخيص النتائج التي توصل إليها من مناقشاته و هذا المنهج متبع بوضوح في "إعجاز القرآن" ويدل ترتيبه وتناوله للموضوع على امتلاكه ناصية الجدل ويصطنع في كلامه أسلوب الحوار ليتدرج بالسامع في فهم ما يريد، متابعا ما قد يوجه الرأي من حجج معارضة فيفندها واحدة واحدة في ترتيب ووضوح»[3].

ومما يبرز اعتماده المنهج الكلامي في التحليل مايلي:

1- عرضه بدقة لرأيه ومذهبه، والرد على آراء المخالفين بإيراد حججهم وتفنيدها،فيقدم لرأيه ثمّ يوسعه، بعد ذلك يورد حجج المخالفين، و يبطلها بترتيب علمي منطقي بديع.

---

[1] محمد زغلول سلام ، أثر القرءان في تطورا لنقد الأدبي ، ص 269.

[2] منير سلطان ، مناهج في تحليل النظم القرآني ، ص53.

[3] محمد زغلول سلام ، أثر القرءان في تطورا لنقد الأدبي ، ص 268-269.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

2- مخاطبة العقل و الحث على إعمال الفكر، يقول الباقلاني: « وانظر بعين عقلك، وراجع جلية بصيرتك، إذا تفكّرت في كلمة كلمة ممّا نقلناه إليك، وعرضناه عليك، ثمّ فيما ينتظم من الكلمات، ثمّ إلى أن يتكامل فصلا و قصة، أو يتم حديثا و سورة، لا بل فكّر في جميع القرآن على هذا الترتيب، وتدبره على نحو هذا التنزيل»[1].

3- استعمال أسلوب الحوار و الجدل لإقناع السامعين و توجيه آرائهم يقول محمد زغلول سلام في ذلك: «ويصطنع في كلامه أسلوب الحوار ليتدرج بالسامع في فهم ما يريد... »[2]،ويظهر ذلك بجلاء في فصل نفي السجع من القرآن، و فصل ذكر البديع من الكلام الذي افتتحه بطريقة حوارية قائلا: «إن سأل سائل فقال ... قيل: ذكر أهل الصنعة .. »[3]، إلى غيرها من الفصول المبينة على افتراض الأسئلة و الإجابة عليها.

4- مخاطبة أهل الاختصاص ممّن لهم علم بصناعة العربية وطرق أهل الكلام وكليات أصول الدين«لأنّ ذلك ممّالا سبيل إليه إلا أن يكون الناظر فيما نعرض عليه ممّا قصدنا إليه من أهل صناعة العربية قد وقف على جمل من محاسن الكلام ومتصرفاته ومذاهبه وعرف جملة من طرق المتكلّمين و نظر في شيء من أصول الدين، وإنّما ضمن الله عزّوجلّ فيه البيان لمثل من وصفناه فقال: ﴿**كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءايَاتُهُ قُرْءانًا عَرَبِيًا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾[فصلت – آية 03]وقال: ﴿ **إِنَّ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾[الزخرف –آية 03] »[4].

5- تلخيصه الجامع للنتائج التي توصّل إليها في آخر الكتاب: وهو من أبرز سمات مناهج المتكلّمين إذ يجملون ما تطرقوا إليه من قضايا وما قد وصلوا إليه من نتائج في خلاصات عامة.

ب- الموازنة و المقارنة بين النظم القرآني و الكلام البشري: ليثبت علو نظم القرآن على غيره من أساليب الكلام البشري، و ليقرر أن القرآن جاء على نمط مخالف لسائر أجناس كلام العرب التي عرفت لهم وأنه وحده جاء على نمط لا يشبه شيئا من أنماط كلامهم« وتكاد تكون هذه الفكرة هي أساس فلسفة القاضي في كتابه إعجاز القرآن »[5] فبعد أن قسّم فنون القول عند

---

[1] الباقلاني ، إعجاز القرءان ، ص 147.

[2] محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد الأدبي، ص 269.

[3] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص57 .

[4] السابق، ص6.

[5] عبد الرؤوف مخلوف، من قضايا اللغة والنقد والبلاغة، ص121 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

العرب، أثبت أن القرآن جميعه خارج عن تلك الأقسام و أنّه في جملته متميّز بطابع خاص يقول بعد ذكر شيء من نظوم العرب: « ثمّ انظر بسكون طائر، وخفض جناح، و تفريغ لبّ، و جمع عقل في ذلك، فسيقع لك الفضل بين كلام النّاس، و كلام ربّ العالمين، و تعلم أنّ نظم القرآن يخالف نظم كلام الآدميين، وتعلم الحدّ الذي يتفاوت بين كلام البليغ و البليغ، و الخطيب و الخطيب، والشاعر والشاعر، وبين نظم القرآن جملة »[1].

وقد اعتمد في ذلك على تحليل دقيق لبعض الآثار النثرية المشهورة عند العرب كبعض خطبه صلى الله عليه و سلّم وشيء من خطب بعض أصحابه، وغيرهم من بلغاء العرب و فصحائهم، وكذا بعض الآثار الشعرية كمعلّقة امرئ القيس و بعض قصائد البحتري، فتتبع هذه الآثار مقارنا بينها وبين نظم القرآن الكريم الذي اختار منه سورا وحللها مبينا فضل النظم القرآني على غيره ممّا سأمثّل له لاحقا.

ج- الاحتكام إلى التذوق الفني و الأدبي و الذي يظهر فيما يلي:

1- تطبيق مقاييس نقدية مختلفة (لغوية و فنية) على النّصّ الأدبي، فقد بيّن ما في بعض الألفاظ المستعملة في الآثار التي نقدها ــ من التكلّف و التعقيد والخلل في اختيارها ففي قول امرئ القيس :

إِذَا مَا الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ تَرَّضَتْ تَعَرَّضَ أَثْنَاءُ الْوِشَاحِ الْمُفَصَّلِ

يقول: « فيه ضرب من التكلّف لأنّه قال :"إذا ما الثريا في السماء تعرّضت"، تعرض أثناء الوشاح فقوله: (تعرّضت) من الكلام الذي يستغنى عنه، لأنّه يشبه أثناء الوشاح، سواء كان في وسط السماء، أو عند الطلوع و المغيب»[2]، كما نبّه إلى عدم الترابط و عدم التسلسل الفني بين بعض الآيات فوصفها بغير المشاكلة يقول: « انظر إلى البيت الأول، و الأبيات التي قبله، كيف خلّط في النظم، و فرّط في التأليف!.. »[3].

2- إدراك الباقلاني للوحدة الموضوعية و الفنية في معالجة النّصّ القرآني و الشعر العربي بعدما سيطرت المعالجات الجزئية على العمل الفني من جراء اعتماد المنهج اللغوي في التحليل، يقول محمد زغلول سلام:« من أهم ما يسترعي النظر في منهج الباقلاني لدراسة إعجاز القرآن اعتبار الوحدة الفنية، التي تتضمّن موضوعا واحدا، ويظهر هذا من تناوله

---

[1] السابق، ص113 .

[2] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص 127 .

[3] نفسه ، ص127.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

بالتحليل سورة بتمامها، يتدرج فيها ليظهر ما تنطوي عليه من خصائص في النظم لا تقتصر على مجرّد روعة استعارة أو بلاغة تشبيه يرد في آية أو عبارة قصيرة، و إنما إعجازه منصبّ عليه جملة لا تفصيلا »[1].

3-إدراك الباقلاني للتأثير النفسي للقرآن الكريم: فقد« نظر الباقلاني للقرآن على أنه نموذج ومثال لما له من أثر نفسي، وأثر توجيهي في الأدب والنقد... »[2] قائلا: «وإذا علا الكلام في نفسه كان له من الواقع في القلوب والتمكن في النفوس، ما يذهل ويبهج، ويقلق ويؤنس، ويطمع ويؤيس، ويضحك ويبكي، ويحزن ويفرح، ويسكن ويزعج، ويشجي ويطرب، ويهز الأعطاف، ويستميل نحو الأسماع، ويورث الأريحية والعزة، وقد يبعث على بذل المهج والأموال شجاعة وجودا، ويرمي السامع من وراء رأيه مرمي بعيدا وله مسالك في النفوس لطيفة، ومداخل إلى القلوب دقيقة، وبحسب ما يترتب في نظمه ويتنزل في موقعه ويجري على سمت مطلعه ومقطعه يكون عجيب تأثيراته، وبديع مقتضياته ، وكذلك على حسب مصادره يتصور وجوه موارده ... »[3].

وأخيرا أورد مثالا كنموذج لمنهجه في التحليل من القرآن الكريم .

- **نموذج من تحليل الباقلاني للقرآن الكريم:**

يقول الباقلاني: «تأمل من الكلام المؤتلف قوله:﴿**حَم .تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ .غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾ سورة[غافر الآيات من1 إلى3].

أنت قد تدربت الآن بحفظ أسماء الله تعالى، و صفاته، فانظر متى وجدت في كلام البشر وخطبهم مثل هذا النظم في هذا القدر، وما يجمع ما تجمع هذه الآية من شريف المعاني وحسن الفاتحة والخاتمة .

ثم اتل ما بعدها من الآي، واعرف وجه الخلوص من شيء إلى شيء؛ من احتجاج إلى وعيد، ومن إعذار إلى إنذار، ومن فنون من الأمر شتى، مختلفة تأتلف بشريف النظم، ومتباعدة تتقارب بعليّ الضم.

---

[1] محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص286.

[2] فتحي أحمد عامر ، بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ ، ص126.

[3] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص 192.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

ثم جاء إلى قوله: ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ . وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**﴾ سورة [غافر الآيتان 5 ، 6] الآية الأولى أربعة فصول، والثانية فصلان. وجه الوقوف على شرف الكلام: أن تتأمل موقع قوله: ﴿ **وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ** ﴾ وهل تقع في الحسن موقع قوله: (ليأخذوه) كلمة؟ وهل تقوم مقامه في الجزالة لفظة؟ وهل يسد مسده في الأصالة نكتة؟ لو وضع موضع ذلك ((ليقتلوه)) أو ((ليرجموه)) أو ((لينفوه)) أو ((ليطردوه)) أو((ليهلكوه)) أو ((ليُذلُّوه)). ؟ ونحو هذا ما كان ذلك بعيدا، ولا بارعا، ولا عجيبا، ولا بالغا .

فانقد موضع هذه الكلمة، وتعلم بها ما تذهب إليه من تخير الكلام، وجميل الألفاظ والاهتداء للمعاني، فان كنت تقدر أن شيئا من هذه الكلمات التي عددناها عليك أو غيرها لا تقف بك على غرضنا من هذا الكتاب، فلا سبيل لك إلى الوقوف على تصاريف الخطاب، فافزع إلى التقليد، واكْفِ نفسك مؤنة التفكير. وإن فطنت فانظر إلى ما قال من رد عجز الخطاب إلى صدره بقوله: ﴿ **فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ** ﴾ ثم ذكر عقيبها العذاب في الآخرة، واتلاها تلو العذاب في الدنيا، على الإحكام الذي رأيت. ثم ذكر المؤمنين بالقرآن، بعد ذكر المكذبين بالآيات والرسل، فقال: ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ** ﴾ سورة [غافر الآية 7.]. إلى أن ذكر ثلاث آيات، وهذا كلام مفصول، تعلم عجيب اتصاله بما سبق ومضى،وانتسابه إلى ماتقدم وتقضى، وعظم موضعه في معناه، ورفيع ما يتضمن من تحميدهم وتسبيحهم، وحكاية كيفية دعاء الملائكة بقوله: ﴿**رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً** ﴾ [غافر الآية.7].

هل تعرف شرف هذه الكلمة لفظا ومعنى؟ ولطيف هذه الحكاية، وتلاؤم هذا الكلام،وتشكل هذا النظام. وكيف يهتدى إلى وضع هذه المعاني بشري؟ و إلى تركيب ما يلائمها من الألفاظ أنسي، ثم ذكر ثلاث آيات في أمر الكافرين على ما ترى، ثم نبه على أمر القرآن وأنه من آياته بقوله: ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ** ﴾ [سورة غافر الآية 13].

وإنما ذكر هذين الأمرين اللذين يختص بالقدرة عليهما، لتناسبهما في أنهما من تنزيله من السماء، ولأن الرزّاق الذي لو لم يرزق لم يمكن بقاء النفس، تجب طاعته،والنظر في آياته.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

ثم قال: ﴿**فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ. يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ**﴾[سورة غافر الآيات من 14 إلى16] ، وراجع نفسك في مراعاة هذه الصفات العالية والكلمات السامية، والحكم البالغة، والمعاني الشريفة، تعلم ورودها عن الإلهية، ودلالتها على الربوبية، وتحقق أن الخطب المنقولة عنهم، والأخبار المأثورة في كلماتهم الفصيحة، من الكلام الذي تعلق به الهمم البشرية، وما تحوم عليه الأفكار الآدمية، وتعرف مباينتها لهذا الضرب من القول .

أي خاطر يتشوف إلى أن يقول: ﴿**يلقي يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ. يَوْمَ هُم بَارِزُونَ** ﴾ وأي لفظ يدرك هذا المضمار، وأي حكيم يهتدي إلى ما لهذا من الغور، وأي فصيح يهتدي إلى هذا النظم ؟ ثم استقرىء الآية إلى أخرها، واعتبر كلماتها، وراع بعدها قوله: ﴿**الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ** ﴾[سورة غافر الآية17] .

من يقدر على تأليف هذه الكلمات الثلاث على قربها، و على خفتها في النظم و موقعها من القلب؟ ثم تأمل قوله: ﴿ **وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ. مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ. وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[سورة غافر الآية من18إلى20].

كل كلمة من ذلك على ما قد وصفتها من أنه إذا رآه الإنسان في رسالة كانت عينها، أو في خطبة كانت وجهها، أو قصيدة كانت غرة غرتها، وبيت قصيدتها، كالياقوتة التي تكون فريدة العقد، وعين القلادة ودرة الشذر. إذا وقع بين كلام وشّحه، وإذا ضمّن في نظام زيّنه، وإذا اعترض في خطاب تميّز عنه، وبان بحسنه منه. ولست أقول هذا لك في آية دون آية، وسورة دون سورة، وفصل دون فصل، وقصة دون قصة، ومعنى دون معنى؛ لأني قد شرحت لك أن الكلام في حكاية القصص والأخبار، وفي الشرائع والأحكام، وفي الديانة والتوحيد، وفي الحجج والتثبيت، هو خلاف الكلام فيما عدا هذه الأمور.

أترى أنّ الشاعر المفلق إذا جاء إلى الزهد قصّر. و الأديب إذا تكلّم في بيان الأحكام و ذكر الحلال والحرام لم يكن كلامه على حسب كلامه في غيره...؟ و نظم القرءان لا يتفاوت

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

في شيء، و لا يتباين في أمر، ولا يختل في حال. بل له المثل الأعلى، و الفضل الأسنى، و فيما شرحناه لك كفاية و فيما بيّناه بلاغ»[1]، وقد علّق محمد أبو موسى على تحليل الباقلاني لآي القرآن قائلاً: « وبقي أمر مهم وهو المعالجة التحليلية البارعة التي نهض بها الباقلاني لآيات القرآن، والتي حاول أن يستخرج منها إعجازه، ويدل به على قطعه الأطماع. وينبغي أن نتذكر ما يذكرنا به الباقلاني دائما، وهو أنه كان يضع منهجا يعين على التعرف على إعجاز القرآن، ويذكر شواهد لهذا المنهج يحدد بها مقاصده. »[2].

[1] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص143، 144، 145 .

[2] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي، ص242.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

الفصل الثاني

الباقلاني و البديع

المبحث الأول:

علاقة مباحث علوم البلاغة بعضها ببعض

المبحث الثاني:

طبيعة علوم البلاغة في عصر الباقلاني

المبحث الثالث:

مباحث البديع عند الباقلاني

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

المبحث الأول

علاقـــة مباحـــث علوم البلاغـــة بعضهـــا ببعـــض

1ــ مباحـــث علوم البلاغـــة:

من المعلوم أنّه قد استقر أخيراً تقسيم مباحث علم البلاغة ثلاثة أقسام أو ثلاثة علوم «منهـــا ما يُعنى بالصياغة وأحوالها، وموقع الكلمة المفردة؛ فيبحث في التعريف والتنكيـــر، والتقـــديم والتأخير، والحذف والذكر، والقصر، والفصل والوصل، وغير ذلك ممّا لـــه صـــلة بـــأحوال التراكيب، وهذه البحوث سماها البلاغيون المتأخرون "علم المعاني" وهناك بحوث تُعنى بدراسة التصوير البياني الذي يستعين به الأديب على البوح بما في نفسه وإبرازه مثل: التشبيه والمجاز والكناية، وهذه البحوث يسميها البلاغيون المتأخرون"علم البيان".

وهناك بحوث تُعنى بما في النص من ألوان التحسين ووجوه الصقل والتثقيف ... وســـماها البلاغيون المتأخرون "علم البديع" »[1].

وقد ذكرت إنعام عكاوي اعتماد علماء البلاغة هذا التقسيم، بعد حديثها عن تعريف كل من السكاكي و القزويني علم البلاغة قائلة :«وهذا ما اعتمده علماء البلاغة وتعارفوا عليه ... »[2].

إلّا أن هذا التقسيم الاصطلاحي غير مجمع عليه ، فقد ذهب أكثر الباحثين إلى أنّه أمر محـــدث لم يكن معروفاً قبل السكاكي، الذي اعتبروه أول من قسم علوم البلاغة وأحدث لكل فـــن منهـــا قسماً خاصاً به، فما مدى صحة هذا القول؟ وما هي علاقة هذه المباحث بعضها ببعض، هـــل هي علاقة الجزء بالكل، علاقة المفرد بالمركب، وهل هي علاقة اتصال أو انفصال بينها ومـــا موقف الباقلاني من كل هذا؟ و ما علاقة ذلك بموقفه من قضية الإعجاز؟

– تتألف البلاغة العربية من علوم ثلاثة هي: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع .

وكل علمٍ منها يُعنى بموضوع معين؛ فمنها ما يعنى بالصياغة وأحوالها، وموقع الكلمة المفردة، ومنها ما يعنى بدراسة التصوير البياني ومنها ما يهتم بوجـــوه التحـــسين والتـــزيين اللفظـــي والمعنوي .

---

[1] محمد محمد أبو موسى ، خصائص التراكيب ، (ط:4؛ مكتبة وهبة) ، ص 74 .

[2] إنعام فوّال عكاوي ، المعجم المفصل في علوم البلاغة ، ص 269 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

وقد ظلت هذه الفنون « منذ أن كتب فيها العلماء وألفت المؤلفات وحتى عصر الزمخشري لا تعرف تقسيماً ولا تمييزاً ... ، وبعد الزمخشري رأينا السكاكي يحصر البلاغة في علمي المعاني والبيان، جاعلاً فنون البديع وجوهاً يصار إليه لقصد تحسين الكلام ... »[1].

علم المعاني : (تعريفه – موضوعاته)

تعريفه اصطلاحا: عرّفه السكاكي بقوله: «اعلم أنّ علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره »[2].

وقد ذكر محمد أبو موسى تعريفا له معلقا عليه في قوله: «هو علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي نطق بها مقتضى الحال، أي هو الذي يبحث أحوال اللفظ" التعريف والتنكير والذكر والحذف ..." ويتبين كيف تكون هذه الأحوال واقعةً في الكلام موقعاً تطابق دواعي النفس، ولم تأت زائدة ثقيلة ولا متكلفة كريهة ... »[3].

موضوعا ته: حصر البلاغيون أبواب هذا العلم في ثمانية أبواب يقول الخطيب القزويني: «ثم المقصود من علم المعاني منحصرٌ في ثمانية أبواب:

أولها – أحوال الإسناد الخبري.

ثانيها – أحوال المسند والمسند إليه.

وثالثها – أحوال المسند.

ورابعها – أحوال متعلقات الفعل.

وخامسها – القصر.

وسادسها – الإنشاء.

وسابعها – الفصل والوصل.

---

[1] بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع،(ط:2؛ القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2004) ص 96 .

[2] أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص162.

[3] محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، ص75 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

وثامنها – الإيجاز والإطناب و المساواة. »[1]

يقول السيوطي معللاً لهذه القسمة: «هذا العلم منحصر في ثمانية أبواب إما خبر وإنشاء لما سيأتي، والخبر لابدّ له من إسناد ومسند إليه ومسند، فهذه ثلاثة أبواب، والمسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلاً أو في معناه وهذا الباب الرابع، وكل من تعلق والإسناد قد يكون بقصر وقد لا يكون وهذا الباب الخامس والإنشاء هو الباب السادس، ثم الجملة إن قرنت بأخرى فالثانية إمّا معطوفة على الأولى أولاً، وهما الوصل والفصل وهذا الباب السابع، ثمّ لفظ الكلام البليغ إما زائد على أصل المراد بفائدة أو ناقص غير مُخل أو مساوٍ، والأول الإطناب والثاني الإيجاز والثالث المساواة وهو المراد بقولي ونحوه ،وهذا هو الباب الثامن . »[2]، وهو تعليل لطيف لوجه انحصار القسمة في هذه الموضوعات، وقد اختصره من تعليل الخطيب القزويني.

علم البيان: (تعريفه – موضوعاته)

تعريفه لغة: جاء في لسان العرب: « و البيان ما بُيِّن به الشيء من الدلالة و غيرها، بان الشيء بيانا: اتضح فهو بيِّن، الجمع أبيناء: مثل هين وأهيناء، و كذلك أبان الشيء فهو مبين...

و البيان: الفصاحة و اللّسن، كلام بين: فصيح. و البيان: الإفصاح مع ذكاء....

روى ابن عباس عن النبي r أنه قال: " إن من البيان لسحرا، و إن من الشعر لحكما"؛ قال: البيان: إظهار المقصود بأبلغ لفظ و هو الفهم و ذكاء القلب مع اللّسن، و أصله الكشف و الظهور »[3].

تعريفه اصطلاحا:

---

[1] القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنظيم محمد عبد المنعم خفاجي، (ط:2؛ القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية)،ج1،ص.53

[2] جلال الدين السيوطي، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، بهامشه حلية اللب المصون، للدمنهوري،(ط:1؛ دمشق : دار الفكر) ، ص9 .

[3] ابن منظور ، لسان العرب ، مراجعة وتصحيح فتح الله سليمان وآخرون ، (ط:1 ؛ دمشق: دار الفكر)، ج1، ص575-576.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

عرفه السكاكي بقوله: «وأما علم البيان: فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، و بالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه »[1].

وعرّفه السيوطي بقوله: «هو علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد المدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال بطرق مختلفة في إيضاح الدلالة عليه بأنْ يكون بعض الطرق واضح الدلالة وبعضها أوضح »[2].

موضوعاته: حصر البلاغيون أبواب هذا الفن في : التشبيه ،والمجاز، والكناية .

وقد نقل السيوطي وجه الحصر في هاته الثلاثة عن الطيبي بقوله « وعبر الطيبي بطريقة أخرى في وجه الحصر فقال: اعتبار المبالغة في إثبات أصل المعنى للشيء، إمّا على طريقة الإلحاق أو الإطلاق والثاني إما إطلاق الملزوم على اللازم أو عكسه، وما يبحث فيه عن الأول: التشبيه،وعن الثاني:المجاز وعن الثالث:الكناية فانحصر الكلام فيه في الثلاثة...»[3].

ويقول محمد دويدري « ... فانحصر المقصود من علم البيان في الثلاثة: التشبيه والمجاز والكناية ... »[4].

علم البديع: (تعريفه – موضوعاته)

تعريفه لغة: جاء في لسان العرب: « البديع: و البدع الشيء الذي يكون أولا، و في التنزيل" قل ما كنت بدعا من الرسل " أي ما كنت أول من أرسل، قد أرسل قبلي رسل كثير.

و البديع: من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء و إحداثه إياها وهو البديع الأول قبل كل شيء، و يجوز أن يكون بمعنى مبدع أو يكون من بدع الخلق أي بدأه، و الله تعالى كما قال سبحانه "بديع السموات و الأرض" أي خالقها و مبدعها فهو سبحانه الخالق المخترع لا عن مثال سابق. قال أبو إسحاق: يعني أنه أنشأها على غير حذاء و لا مثال... »[5]، ثم مضى يذكر للكلمة معان لا تخرج عن معاني الاختراع والإبداع.

---

[1] السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص162 .

[2] جلال الدين السيوطي ، شرح عقود الجمان ، ص77 .

[3] السابق ، ص77–78.

[4] محمد دويدري ، شرح التلخيص في علوم البلاغة للقزويني (ط:2 ؛ دار الجيل) ، ص119 .

[5] ابن منظور ، لسان العرب ، ج1 ، ص352.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

تعريفه اصطلاحا: عرفه السكاكي بعدما قرر أنّ البلاغة والفصاحة مما يكسب الكلام حلية التزيين بقوله: «فههنا وجوه مخصوصة، كثيرا ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام »[1].

وعرّفه السيوطي بقوله: « علم البديع: علم يعرف به وجوه تحسين الكلام أي تصور معانيها، وتعلم أعدادها وتفاصيلها بحسب الطاقة بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال ورعاية وضوح دلالته ... »[2].

موضوعاته : تنقسم موضوعاته إلى قسمين :

محسنات معنوية:«وهي ماكان التحسين بها راجعاً إلى المعنى أولاً، وبالذات وإن حسنت لفظاً تبعاً»[3].

محسنات لفظية:« وهي ماكان التحسين بها راجعاً إلى اللفظ بالأصالة وإن حسنت المعنى تبعاً »[4].

يقول السيوطي: « ثم إن أنواعه تنقسم إلى قسمين : إلى ما يتعلق بتحسين الألفاظ وإلى ما يتعلق بتحسين المعاني »[5] .

علاقة مباحث علم البيان بمباحث علم المعاني

اختلفت وجهات نظر البلاغيين حول قضية علاقة مباحث علمَي البيان والمعاني بعضهما ببعض ، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

1- من يرى تداخل مباحث هذين العلمين:

ذكر المراغي أن المتقدمين كأبي هلالٍ وابن سنان و عبد القاهر و الزمخشري ...لم يروا تمايزاً بين مباحث هذين العلمين، يقول : « ... بل على العكس نرى بينهما اتصالاً وثيقاً في الأغراض و المقاصد و إتحاداً في جهة البحث ... »[6]، ويعلق عبد الحميد هنداوي على القول السابق قائلاً: « ونحن نوافق الشيخ المراغي تمام الموافقة إذ لا ضرورة لذلك التقسيم الذي

---

[1] السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 423.

[2] جلال الدين السيوطي ، شرح عقود الجمان ، ص104 .

[3] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص308 .

[4] السابق ، ص308 .

[5] جلال الدين السيوطي ، شرح عقود الجمان ، ص104 .

[6] المراغي ، تاريخ علوم البلاغة ، ص19 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

استحدثه السكاكي مخالفاً بذلك أئمة البلاغة والفصاحة والبيان الذين لم يفرقوا في كلامهم بين تلك الألفاظ ... »[1] بل« كانت مجموعة في سمط واحد وتحت موضوع واحد، كما في كتب عبد القاهر ومن حذا حذوه من المتقدمين»[2]. ويقول كمال بشر: « وعلْما البيان و المعاني علمان مهمان ... وهما في رأينا علمان متصلان متداخلان لا انفكاك لأحدهما عن الآخر و إن انشغل الأول في الأساس بالمفردات بوصفها لبنات في بناء كبير، والثاني يكرس جهوده في إخضاع البناء كله للنظر والدرس من حيث نظمه، وتناسق عناصره والتحام هذه العناصر بعضها ببعض ... وهما يشكلان في مجموعهما ما يعرف في الدرس الحديث الآن بعلم الدلالة ... »[3] و«على هذا الأساس بنى عبد القاهر كتابيه،فتناول من المباحث ما هداه الرأي ودله النظر على أن لها شأنا في بلاغة الكلام وفصاحته، وقد أطلق عليها جميعها اسم علم البيان كما تراه في دلائل الإعجاز، من غير أن يفرق بين ما كان من هذه المباحث راجعا إلى مطابقة الكلام لمقتضى المقام، وما كان منها راجعا إلى مباحث المجاز والكناية والتشبيه، ولم يخص الأول باسم المعاني والثاني باسم البيان ولم يشأ أن يفرق بين بعض المباحث وبعض إذ كانت كلها عنده متحدة الموضوع والغاية، وكلها راجعة إلى البحث في أسرار البلاغة والفصاحة، وعلى هذا الاعتبار رتب مباحث كتابه دلائل الإعجاز، فبدأ بالكلام في الكناية والاستعارة والتمثيل، وهي من مباحث علم البيان، ثم دخل في مباحث من علم المعاني كالتقديم والتأخير والفصل والوصل والقصر، ثم رجع إلى مباحث المجاز والاستعارة، وانتقل إلى بقية من علم المعاني »[4].

2-من يرى الفصل بين مباحث عِلمي المعاني والبيان:

اختلفت عبارات من فرّق بين مباحث عِلمي البيان والمعاني؛ فبعضهم جعل العلاقة بينهما هي العموم و الخصوص، وبعضهم جعل أحدهما شعبة من الآخر، وهناك من عبّر بجعل أحدهما جزءًا من الآخر، وهذا شيئٌ من أقوالهم فيمل يلي:

قال السيوطي: « علم البيان أخص من علم المعاني فلذا تأخر عنه ... »[5].

---

[1] عبد الحميد هنداوي ، مفتاح العلوم للسكاكي ، ص19 .

[2] علي عبد الرزاق ، علم البيان وتاريخه ، (ط1 ؛ 2004 ، دار المصري للطباعة) ، ص27 .

[3] كمال بشر ، علم اللغة الإجتماعي ، (ط3 ؛1997 ،القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر) ، ص332 .

[4] علي عبد الرزاق ، علم البيان وتاريخه ، ص25-26 .

[5] جلال الدين السيوطي، شرح عقود الجمان، ص77 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

وقالت عائشة حسن فريد:«قالت جماعة أنّ هذا العلم – تقصد البيان–أخصُّ من علم المعاني ... »[1].

وممّن عبّر عن العلاقة بجعل علم المعاني بمنزلة المفرد من المركب محمد خفاجي في شرحه للإيضاح في علوم البلاغة حيث قال معلقاً على تقديم الخطيب لعلم المعاني على البيان: « قدّم المعاني على البيان لكونه منه بمنزلة المفرد، فاتصال المعاني بالبيان كاتصال المفرد بالمركب »[2].

كما ذهب إلى ذلك الدمنهوري« حيث يرى أن صاحب الجواهر المكنون قدّم علم المعاني على علم البيان لكونه منه بمنزلة المفرد من المركب لأن رعاية المطابقة لمقتضى الحال التي هي ثمرة علم المعاني معتبرة في علم البيان مع شيء آخر ... »[3].

وقال عبد المتعال الصعيدي معلقاً على تعريف السكاكي لعلم البيان: « فبهذا يجري عنده علم البيان من علم المعاني مجرى المركب من المفرد لأن المطابقة لمقتضى الحال التي هي مرجع علم المعاني تعتبر عنده في علم البيان مع زيادة إيراد المعنى الواحد في طرقه المختلفة على ما ذكر في تعريفه له ... »[4].

كما نجد محمد خفاجي في موضع آخر يعبر عن هذه العلاقة بلفظ الجزء من الكل حيث يقول:

«...فثمرة علم المعاني تشبه الجزء من علم البيان لتوقفه عليها من حيث اعتبار ثمرته، فالرعاية والإيراد يشبهان أجزاء علم البيان لتوقفه عليها، فكان علم المعاني بمنزلة الجزء لكونه ثمرته المقصودة منه كالجزء...»[5].

علاقة مباحث علم البديع بمباحث علمي المعاني والبيان

1- من يرى أن هاته العلوم متداخلة:

يذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن علوم البلاغة متداخلة ومتصلة بعضها ببعض، لأن أغراضها واحدة والثمرة المستفادة منها واحدة، وهي معرفة أحوال اللفظ التي بها يطابق

---

[1] عائشة حسن فريد، البيان في ضوء الأساليب العربية، (القاهرة : دار قباء ، 2000) ، ص 20 .

[2] القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح خفاجي،ج1، ص 52 .

[3] أحمد الدمنهوري، حلية اللب المصون على الجوهر المكون بهامش شرح عقود الجمان للسيوطي، ص 30 .

[4] عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية، (ط:1 ؛ 2000 ، القاهرة: مكتبة الآداب)، ص 14 .

[5] القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج1، ص 52 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

مقتضى الحال، وقد نقلنا سابقاً قول المراغي أن المتقدمين لم يروا تمايزاً بين هاته العلوم، بل يرون بينها تداخلاً واتصالاً وثيقاً في الأغراض و المقاصد واتحاداً في جهة البحث، ولهذا فقد أطلق المتقدمون على هذه العلوم اسم علم البديع تارةً و اسم علم البديع تارةً أخرى، « فلم تكن البلاغة قبل الزمخشري مقسمة قبل هذا التقسيم الثلاثي المعروف وإنّما كان يطلق أحيانا على مباحثها جميعاً اسم البديع كما فعل ابن المعتز مثلاً وبعضهم أطلق عليها اسم البيان كما فعل عبد القاهر ... »[1].

يقول السيد أحمد الهاشمي: « علم البيان في اصطلاح المتقدمين من أئمة البلاغة يُطلق على فنونها الثلاثة من باب تسمية الكل باسم البعض ... »[2] .

فعلم البيان في اصطلاح المتقدمين اسم جامع لكل ما يكشف المعنى، فهو جامع للعلوم الثلاثة وعليه قال الجاحظ: « والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى،وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السّمع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أيّ جنس كان الدّليل؛ لأنّ مدَارَ الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسّامع، إنَّما هو الفهمُ والإفهام؛ فبأيِّ شيءٍ بلغتَ الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع. »[3].

ويقول عبد العزيز عتيق: « عرفنا من عرضنا السابق لتاريخ البلاغة أن لفظة "البيان" كانت إلى عصر الجاحظ تستعمل بمفهومها العام الذي يتسع فيشمل كل ما له اتصال بفن القول على اختلاف صوره من شعر ونثر، كما يشمل البحث في مسائل بلاغية شتى... فلفظة البيان في العصور الأولى كانت تطلق ويراد بها أحياناً الفصاحة أو البلاغة أو الخطابة أو البديع وتحت لفظة البيان كانت تبحث قضايا بلاغية جزئية مما له اتصال بكل ذلك »[4].

ويقول شفيع السيد: « والذي يبدوا لنا أن المباحث البلاغية التي تضمنتها العلوم الثلاثة متشابكة ومتداخلة ... »[5].

---

[1] وليد قصاب ، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السابع الهجري ، ص240 .

[2] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص05 .

[3] الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص76 .

[4] عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة، ص89 .

[5] شفيع السيد ، البحث البلاغي عند العرب ،(ط:2 ؛ دار الفكر العربي) ، ص179 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

ويقول بسيوني عبد الفتاح: « و البلاغيون قد أطلقوا كلمة:"بـديع" علـى فنـون البلاغـة ومسائلها،كما أطلقوا علـى تلك الفنون والمسائـل كلمـات: البلاغـة والفـصاحة والبيـان والبراعة، وظلت كلمـة:"البديع" ترد مرادفة تلك المعاني، مراداً بها مسائل البلاغة وفنونها »[1].

ويقول الدمنهوري: « وكثير من الناس يسمي الجميع، علم البيان وبعضهم يسمى الأول علم المعاني ويسمي الآخرين أي البيان والبديع علم البيان والثلاثة علم البديع، ثمّ يعلل ذلك بقوله:- وأمّا تسمية الفنون الثلاثة بالبيان فلأن البيان هو المنطق الفصيح المعرب عما في الـضمير ولا شك في تعلق الثلاثة به تصحيحاً وتحسيناً ، وأمّا تسمية الفنين الأخيرين بالبيان فلتغليب حـال الفن الثاني على الثالث والأول بالمعاني لما تقدم، وأمّا تسمية الفنون الثلاثة بالبديع فلأنه لاخفاء في بداعتها وظرافة لطائفها والله سبحانه وتعالى أعلم »[2] .

وهذا هو مذهب الباقلاني أيضاً حيث أطلق على الجميع اسم البديع، يقول المحمـدي عبـد العزيز: « البديع في رأيه مرادف للبلاغة»[3].

2- رأي مـن يفصـل بين هذه العلـوم :

- **السكاكي وتقسيمه الثلاثي*** **لعلوم البلاغة:** تقول عائشة حسن فريد:« كان البيان أقدم علـوم البلاغة وكان اسمه يُطلق على ما يراد منها جميعاً، ظل المفهوم الواسع لكلمة "البيان"حتى ظهر السكاكي، فوضع للبلاغة قواعدها المنطقية وقسمها إلى المعاني والبيان وألحق بهما المحـسنات ... »[4].

- ويقول المراغي:« لا نعلم أحداً سبق السكاكي إلى قسمة علوم الفـصاحة الأقـسام الثلاثـة المعروفة ... »[5].

- وقد أكد هذا الرأي وذهب إليه جماعة من الباحثين نذكر منهم:

- شفيع السيد: حيث يقول: « لم يكن هـذا التقسيم الثلاثـي معروفـاً قبـل السكاكي... »[6] .

---

[1] بسيوني عبد الفتاح ، علم البديع ، ص10 .

[2] أحمد الدمنهوري ، حلية اللب المصون على الجوهر المكنون ، ص30 .

3 المحمدي عبد العزيز ، دراسات حول الإعجاز البياني ، ص225 .

* الواقع خلاف ذلك كما سيأتي .

[4] عائشة حسن فريد ، البيان في ضوء الأساليب العربية ، ص18 .

[5] المراغـي ، تاريخ علوم البلاغة ، ص19 .

[6] شفيع السيـد ، البحث البلاغي عند العرب ، ص179 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

- عبد المتعال الصعيدي: الذي يقول: « أظن السكاكي أول من فصل بين علوم البلاغة الثلاثة (المعاني – البيان – البديع) فجعل لكل منهـــا وظيفته ومسائله بمقتضى تعريفه ... »[1].

- محمد خفاجي القائل: « ... ومن أهم العلماء في هذه الطور أبو يعقوب السكاكي المتـــوفي عام 626 تلميذ الحاتمي الذي ألّف كتابه "المفتاح"، وجعله أقساما، وخصّ البلاغة بالقسم الثالث منه، وقسمـــها إلى

- ثلاثة أقسام: المعاني– البيان– البديع. وبذلك تميزت علوم البلاغة ومباحث كل علـــم منهـــا بالتفصيل »[2].

هذا المنهج في تقسيم مباحث علوم البلاغة بقي مُتبعاً معتمداً عليه عند أكثر من جـــاء بعـــد السكاكي، قال دويدري محمد: « ... ونهج السكاكي في تقسيم علوم البلاغة هو الـــنهج المتبـــع المعتمد عند كل من جاء بعده من علماء البلاغة ... »[3].

وقد اختلفت عبارات من فرّق بين هاته العلوم، فبعضهم جعل العلاقة بينهما هي العموم و الخصوص، وبعضهم جعل أحدهما شعبة من الآخر، وبعضهم عبر بعلاقة الجزئية بينهما، قال أبو جعفر الأندلســـــــي: « ... وهو – البديع – أخص الفنون الثلاثة لتركبه ممـــن الفنـــين وزيادة، قال وهما بالنسبة إليه كالحياة والنطق، بالنسبة للإنسان، فلا يوجد البديع بدونهما، كما لا يوجد الإنسان بدون الحياة والنطق، والمعاني بالنسبة إلى البيان كالحياة بالنسبة إلى النطـــق فتوجد المعاني بدونه، كما يوجد الحيوان بلا نطق ولا عكس ... »[4] .

نقد رأي الفصل بين مباحث علوم البلاغـــــــة

أول من قســـم وفصل بين علوم البلاغة:

المشهور أن السكاكي هو أول من قسّم مباحث علوم البلاغة إلى ما اســـتقر عليـــه الأمـــر أخيراً، وقد ذهب إلى هذا الرأي جماعة من الباحثين منهم: أحمد المراغي، ومحمد خفـــاجي، و محمد هاشم و دويدري، و عائشة حسن فريد... وغيرهم ممن نقلت شيئا من أقوالهم سابقاً؛ لكن هذا الرأي تنقصه الدّقة كما سيتبين لاحقاً؛ فالظاهر أن السكاكي لم يزد على إظهار هذا التقسيم ونشره، « وما أعطاه لعلوم البلاغة ليس ابتكاراً خالصاً له، وإنّما هو تلخيص دقيق يجمع بـــين

---

[1] عبد المتعال الصعيدي ، البلاغة العالية ، ص157 .

[2] القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، شرح خفاجي ، ج1 ، ص 7–8 .

[3] محمد دويدري ، شروح التلخيص في علوم البلاغة للقزويني ، ص6 .

[4] جلال الدين السيوطي ، شرح عقود الجمان ، ص104 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

أفكاره الخاصة وأفكار البلاغيين من قبلـــه »[1]، إذ أن الزمخشري قد أشار إلى هـــذا التقـــسيم قبله، يقول شوقي ضيف معلقاً على كلام للزمخشري يشترط فيه آلة البلاغة للمفسر ذاكـــراً أنّ عِلمي البيان والمعاني هما أهـــم عدّة لمن يريد الوقوف على معاني القرآن أو إعجازه « وهذه هي أول مرة يلقانا هذا التمييز بين العلمين الأساسين للبلاغة ... »[2].

وإن لم يكن هذا التقسيم عن وضوح في الفوارق بين الأقسام ويوضح ذلك وليـــد قـــصاب بقوله: « أمّا الزمخشري فهو أول من قسم البلاغة إلى ثلاثة علوم هـــي: المعـــاني– البيـــان– البديع، ولكن هذا لا يعني أن الفوارق بين العلوم الثلاثة كانـــت واضـــحة تمامـــاً فـــي ذهـــن الزمخشري وهو يتحدث عنها، فقد اختلطت هذه عنده في أكثر من موضع ... »[3].

فالزمخشري إذن على الرغم من أنّه قام بأول محاولة لقسمة البلاغة إلى علومها الثلاثة إلاّ أنّه لم يضع الحد الفاصل بين موضوعات كل علم والمهم أن القسمة الثلاثية كانت موجودة في ذهنه وقد مضى يطبقها على آي الذكر الحكيم آية آية ... »[4].

والمتأمل في المسألة يظهر له أن الذي مهد لهذا التقسيم وإن –لم يقصده– هو عبد القـــاهر الجرجاني، ذلك أنّه لمّا تحدث في كتابه "دلائل الإعجاز" « عن مباحث علم المعاني، ثم تحـــدث في كتابه "أسرار البلاغة" الذي جمع فيه لأول مرة مباحث علم البيان بعضها إلى بعض، ورتبها من حيث الكلام عنها ترتيباً منطقياً منظماً .. »[5].توهم من بعده أنه أراد الفصل بـــين مباحـــث العلمين، والظاهر أنه لم يكن يقصد الفصل بين مباحث هذه العلوم، إلا أنه دفع إليه مـــن جـــاء بعده عن غير قصد، يقول شوقي ضيف:« ومن المؤكد أنّه حين خصّ هـــذا الكتـــاب بمباحـــث البيان لم يكن يفكر في وضع هذا الاسم علماً عليها ... »[6].

يقول بسيوني عبد الفتاح: « وأول ما نلاحظه أن كتاب "أسرار البلاغة" قد تضمن مـــسائل البيان وبعض فنون البديع وأنّ كتاب "دلائل الإعجاز" قد تناول مسائـــل المعاني وهـــذا لا يعني أن عبد القاهر قد قسم علوم البلاغة »[7].

---

[1] عبد العزيز عتيق ، في تاريخ البلاغة ، ص23 .

[2] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص221 .

[3] وليد قصاب ، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السابع الهجري ، ص240 .

[4] السابق ، ص 241 – 242 .

[5] عبد العزيز عتيق ، في تاريخ البلاغة ، ص18 .

[6] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص190 .

[7] بسيوني عبد الفتاح ، علم البديع ، ص 75 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

إذن فقد توهم من جاء بعده أنّه قصد الفصل بينهما وخص كل علم منهما بكتاب، « ولكنا نذهب لا محالة إلى أنّ ذلك إنّما جاء مصادفة غير مقصود منها تخصيص هذه المباحث بعلم خاص بها، ولم يلاحظ انفرادها بجهة من البحث لا تشاركها فيها مباحث علم المعاني التي وردت في كتاب دلائل الإعجاز، وما لاحظ المؤلف يقينا في جمعها وتدوينها إلا أنّها أبواب من مزايا الكلام وسر من أسرار البلاغة »[1] فالسكاكي دفع هذا التقسيم إلى الأمام وأظهره لما كان من تأثره بالمنطق والفلسفة، ولما توهمه من صنيع عبد القاهر الجرجاني .

أما عن موقف الباحثين من هذا التقسيم فقد أنكره أكثرهم وجعله سبباً في جمود علم البلاغة وعدم تطوره، وردوا على السكاكي تقسيمه هذا عقلاً ونقلاً ، أي من الناحية العقلية ومن ناحية واقع الرواية التاريخية، يقول أحمد المراغي: « ولا نرى لهذا التقسيم وجهاً صحيحاً ولا مستنداً من رواية ولا دراية، فليس هناك جهة للتمايز تفصل كل علم عن قسيميه ...بل على العكس نرى بينهما اتصالاً وثيقاً في الأغراض والمقاصد واتحاداً في جهة البحث... »[2].

وقد نقل عبد الحميد هنداوي ردَّ المراغي موافقاً له قائلاً: « وقد فنّد الشيخ تقسيم السكاكي ودلّل على خطئه مبيناً أنّه ليس له مستند لا رواية ولا دراية:

من ناحية الرواية : أن المتقدمين كأبي هلال وابن سنان و عبد القاهر لم ينحوا هذا النحو.

كذلك الزمخشري يسمى هذه العلوم بالبيان وأحياناً بالبديع وابن المعتز وقدامة وابن رشيق ...أدخلوا في البديع مباحث البيان، قال الخطيب في التلخيص: وكثيرا من الناس سمى الجميع علم البيان.

من ناحية الدراية:

- أن الثمرة المستفادة من علم المعاني هي معرفة أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال ستفاد أيضاً من عِلمي البيان والبديع ، لأنّا لا نعبر بكناية أو استعارة إلاّ إذا اقتضاها المقام مما يدل على عدم تمايز علوم البلاغة دمج مواضيعها بعضها ببعض ... »[3].

ثم علّق على ذلك بقوله: « ونحن نوافق الشيخ المراغي تمام الموافقة إذْ لا ضرورة لذلك التقسيم الذي استحدثه السكاكي مخالفاً بذلك أئمة البلاغة والفصاحة والبيان الذين لم يفرقوا في

---

[1] علي عبد الرزاق ، علم البيان وتاريخه، ص26 .

[2] المراغي ، تاريخ علوم البلاغة ، ص

[3] عبد الحميد هنداوي ، مفتاح العلوم للسكاكي ، ص 19 – 20 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

كلامهم بين تلك الألفاظ ... »[1]، ويضيف مرجحاً ومعللا لموقف المراغي الذي ذهب إلى عدم منطقية التقسيم قائلا: « لأنّ تقسيم مباحث البلاغة إلى هذه العلوم الثلاثة لابد أن يكون أساسه تعدد أغراض تلك العلوم و غاياتها، ومع ذلك فإن الغرض الذي يحدد لأحد العلوم يصلح أن يكون غرضا للعلمين الآخرين، فإذا كان غرض المعاني هو المطابقة لمقتضى الحال فإن هذا الأمر لا نستطيع أن نجرد منه العلمين الآخرين في الحقيقة... »[2]، بالإضافة إلى أن هذا التقسيم أدى إلى « جفاف الدراسات البلاغية وجمودها »[3].

فما قام به السكاكي من حصر علوم البلاغة في قوالب فلسفية ومناهج منطقية وتقسيمات عقلية، أفسد من حيث يظن أنّه يصلح ، وجمّد بدل أن يثري « ولعله كان يظن أنّه بذلك يُسدي إلى البلاغة أجّل صنيع، وما درى أن محاولته كانت من أهم الأسباب التي قيّدت البلاغة وحدّت من نشاطها وحيويتها وانتهت بها تدريجياً إلى حال من الذبول والجفاف ... »[4].

والذي يظهر أن الخلاف في هذ ه القضية خلاف شكلي لفظي، أي هو خلاف اصطلاحي ولا مشاحة في الاصطلاح كما هو مقرر، ما دام الخلاف لم يقع على المفاهيم، وهذا التقسيم كان صورة للواقع والبيئة المتأثرة بالمنطق والفلسفة، وما هو إلا انعكاس لها. على أنّ ذلك قد يفيد في إعمال الفكر والنظر من أجل تصور أفضل وفهم أعمق لهاته الموضوعات، وقد يكون صورة من صور تطور العلوم وتجديد النظر فيها، يقول محمد بركات أبو علي: « والغاية التي دعت البلاغيين إلى هذا التقسيم والتقنين، هي صورة من صور تجديد البلاغة العربية، فعند ما فسدت السلائق العربية، وشاع اللحن في اللسان العربي، تطلب الأمر واقتضت الحاجة وضع ضوابط ومعالم يهتدي بها غير العربي صليبة، وحتى العربي الذي ابتعد عن مستويات العربية الأصيلة، ولهذا فالفنون البلاغية بأقسامها المعروفة وعلومها الموجودة ما هي إلاّ تيسير على القارئ ولكن الخطر الذي لحقها هو عند ما وقف دارس البلاغة العربية عند جزئياتها ومفرداتها دون النظر إلى أن هذه التقسيمات البلاغية ليست غاية في حد ذاتها، إنّما هي وسائل

---

[1] عبد الحميد هنداوي ، مفتاح العلوم للسكاكي ، ص 25 .

[2] السابق ، ص27 .

[3] عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، ص42 .

[4] نفسه، ص44.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

تعيين على تبيان الجمال، وأدوات تساعد الباحث والقارئ على الوقوف على تجارب الآخـــرين وتقدير مشاعرهم ومعرفة أفكارهم... »[1].

فالدافع إلى هذا التقسيم دافع تعليمي، وإن لم يؤدِ الثمرة المرجوة منه .

المبحث الثاني

طبيعة علوم البلاغة في عصر الباقلاني

يُعد القرن الرابع الهجري عصر ازدهار العلوم والثقافة والمعرفة؛ فقد علت مكانة العلم والأدب وانتشرت المكتبات في المساجد والمدارس والمعاهد، وتنافست الأقاليم والمدن والأمصار فـــي رعاية العلم ونشره، فازدهرت حركة التأليف في مختلف جوانب اللغة، والأدب والنقد والبلاغة وبذلك حمل هذا القرن« ظواهر تجعله موضع أهمية خاصة، إذ تتجمع فيـــه الآراء وتتجـــوهر النظريات وتنتظم الدراسات وتقوم على أصول محدودة وقواعد ثابتة »[2].

ولم تكن علوم البلاغة بمنأى عن هذا التطور والازدهار، شأنها شأن سائر ألـــوان العلـــوم والثقافات؛ فقد سايرت النهضة العلمية نهضة نقدية بلاغية في هذا القرن، كان لها أثر كبير في ازدهار فنون البلاغة والنقد، وانتشار حركة التأليف وتوسعها فيهما « ففي هذا القرن ألف كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلســـي، وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، و كتاب الأمالي لأبي علي القالي، وألف أبو حيان التوحيدي كتبه ومن بينها كتابه المشهور"الإمتاع والمؤانسة". الجرجـــاني،

وإعجاز القرآن للباقلاني وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، وفيه ألف ابن النديم كتـــاب الفهرست، وألف الصولي كتابه الموشح، وكتابه الأوراق وكتابيه: أخبار أبي تمـــام، وأخبـــار البحتري،ولعل كتاب "يتيمة الدهر" لأبي منصور الثعالبي قد ألف في أواخر هذا القرن أيضاً .

وشملت الآداب وحركة النقد نهضة لم يعرف لها نظير من قبل ولا من بعد. »[3].

---

[1] محمد بركات حمدي، أبو علي، فصول في البلاغة، ص56 .

[2] محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد الغربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، ص229.

[3] محمد عبد المنعم خفاجي، الفكر النقدي والأدبي في القرن الرابع الهجري، ص11-12 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

هذا بالإضافة إلى حركة التأليف الأدبية في الرسائل، و ظهور فن المقامات والنثر القصصي، كما زخرت قصائد الشعر بمعان جديدة عنيت بالبديع، وجمال الأسلوب فنبغ في هذا القرن شعراء مشهورون كالمتنبي، و أبي فراس الحمداني ، والشريف الرضى.

وبهذا مثّل هذا القرن عصر ازدهار أدبي في النثر والنقد والبلاغة وأصبح لفنون البلاغة طبيعة خاصة بسبب مؤثرات بعضها داخلي، وبعضها خارجي، يمكن أن نستشفها من خلال:

- **تأثير القرآن الكريم والدراسات القرآنية .**
- **تأثير قضية الإعجاز القرآني .**
- **تأثير قضايا النقد من خلال اختلاطها بمسائل البلاغة .**
- **تأثير القضايا الكلامية والعقيدية .**
- **تأثير المنطق والفلسفة.**

هذه المؤثرات كلها أدت إلى تطور علوم البلاغة واستقلالها ، وانعكست على طبيعتها إيجابيا.

1- تأثير القرآن الكريم والدراسات القرآنية في البحث البلاغي:

غذّى القرآن الكريم قضايا البلاغة، ومدّها بأسباب التطور والتجدد؛ وذلك بسبب الجدل الذي دار حول قضايا تتعلق بالقرآن كقضية الإعجاز، وقضية فهم النص القرآني المتشابه منه خاصةً. وقضية المجاز...

ويظهر هذا التأثر من خلال أمرين:

أ- اتخاذ القرآن الكريم مداراً للدراسات البيانية تقعيدا وتمثيلاً

وهذا بسبب ما كان من أثر للقرآن الكريم في الذوق العربي، وفي ازدهار علوم البيان، بما جاء به من جديد في أساليب التعبير، وروائع البيان، حملهم على النظر إليها كنموذج ومثال لأعلى درجات الفصاحة والبيان، ودفعهم إلى الاشتغال بها ودراستها ،لمتابعتها والنسج على منوالها، وبهذا كان للقرآن الكريم الأثر الأكبر في توجيه قضايا النقد والبلاغة وإثرائها تقعيدا وتمثيلاً، ومثّل معيناً يمد الشعراء والكتاب بالمعاني والأفكار والأساليب، ويحثهم إلى تمثّلِها وتقليدها، يقول طاهر حليس: « أمّا في موضوع المعاني وتوليدها، فإن القرآن قد أعطى

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

تصورات عديدة في هذا الجانب وأفسح المجال واسعاً أمام الشعراء لتوليد المعاني الجديدة المبتكرة ... »[1].

و أصبح القرآن الكريم من هذا الجانب هو النموذج والمثال، وغدت أساليبه قوالب ثابتة يرجع إليها البلاغي لينهل منها، ويقتدي بمعالمها ،ليرتقي بأسلوبه وبيانه إلى أسلوب القرآن وبيانه، «وبقي للقرآن الكريم الصورة المثلى للبيان الرفيع، وبقي أسلوبه المثل الأعلى لرجال الفصاحة و البلاغة، يحتذونه في كتاباتهم، وخطاباتهم، ويقتبسون من آيه ما يحلون به أعناق كلامهم، وما يقلدون من مقاطعه وفواصله »[2]، « وبهذه الكيفية يكون القرآن وسيلة لتعلم مجموعة من الخصائص التي تتوفر في القول الجيد ويكون القرآن كذلك وسيلة عن طريقها يُعرف جيد القول من قبيحه ورديئه...»[3].

نخلص إلى أن القرآن الكريم قد شكّل العامل الرئيس ، والمحرك الأساس للدراسات البلاغية، والنقدية في القرن الرابع الهجري، ولهذا لا نجد كتاباً في هذا العصر يخلوا من إشارات لأثر القرآن فيه، إلى حد أنّنا لا نجد في كثير من فنون القول موضوعاً ولا مثالاً إلاّ آيات القرآن الكريم .

ب – تطور دراسات بيان القرآن الكريم

لقد كان « للدراسات البيانية في أسلوب القرآن في هذا القرن حظ عظيم إلى جانب الدراسات النقدية و البلاغية و اللغوية؛ فقد نهضت بها جميعاً عقول كبيرة أخذت بمحصول الدراسات السابقة في القرن الثالث... »[4]، و أضافت إليها وبنت عليها، للوصول إلى تحديد جوانب البلاغة والفصاحة في أسلوب القرآن وبيانه؛ وذلك لما لهذه الأساليب من علاقة وثيقة بفهم معاني القرآن، الذي لا يتم « إلا بتعرف أساليبه، وما يمكن أن ينطوي وراء تعبيراته من المعاني والمقاصد»[5]،وبهذا اتسعت دائرة دراسات بيان القرآن، وتطورت وأصبحت معرفتها ضرورية لفهم نصوص الوحي، ولهذا لا يخلو أثر من الآثار التي

---

[1] الطاهر حليس، اتجاهات النقد العربي وقضاياه في القرن الرابع الهجري ومدى تأثرها بالقرآن، (منشورات جامعة باتنة)ص5 .

[2] بدوي طبانة، البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، (ط:5 ؛ 1986 ، لبنان : دار الثقافة) ، ص 56 .

[3] الطاهر حليس، اتجاهات النقد العربي وقضاياه ، ص 221 .

[4] محمد زغلول سلاّم ، أثر القرآن في تطور النقد ، ص229 .

[5] بدوي طبانة ، البيان العربي ، ص19 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

عرضت لفهم نصوص الوحي، من الإشارة إلى فنون بيانية، لـضبط الفهـم أو الاحتجـاج والاستشهاد، و لعلّ موضوع المجاز في القرآن الكريم، والذي احتـلّ مكانـة عاليـة فـي الدراسات البلاغية والقرآنية، منذ بواكيرها، يدل دلالة واضحة على هذا الأثر .

هذه المكانة والعناية دفع لها الحاجة إلى تفهم أساليب القرآن الكريم وبيانه، كما يظهـر هذا الأثر في الإكثار من شواهد القرآن الكريم في كتب البلاغة، تمثيلاً وتحليـلاً، وذلـك لسهولة حفظها، وتداولها من جهة، ولفصاحتها العالية وبلاغتها الرفيعة من جهـة أخـرى، جعلت من البيان القرآني مثالاً منشوداً في جمالية الآثار البلاغية، ومنـه أعتنـي بالبيـان القرآني، باتخاذه الأساس الذي تتجلى في ضوئه معرفة الخصائص الفنية والبلاغية للمفردة، وهذا ما يظهر جلياً في الخصومات والموازنات والصراعات النقدية المختلفة التي اتخـذت مما أفرزته الدراسات البيانية القرآنية أساساً ومرشداً إلى إيجاد منهج نقدي متكامل يُحكم في ضوئه على الآثار البلاغية، كما فعل الآمدي في نقده للبحتري من تحـرٍ للقاعـدة البيانيـة القرآنية، وتوخ لها، وكما يظهر جلياً في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري الذي كـان لبيان القرآن أثر مباشر في توجيه آرائه، وقد أشار هو نفسه إلى قيمة القرآن في دراسـات البيان، وصلته بعلوم البلاغة في مقدمة كتابه السالف، يقول محمد زغلول سلام في ذلـك: «... وكان لبيان القرآن أثره في توجيه دراساته لفنون القول، ففي دراساته للإطناب – مثلاً – نراه متأثراً – إلى حد كبير– ببيان القرآن إذ يتتبع الإطناب في الآيات والسور المختلفة، ثمّ يخرج من هذا كله بنتائج عامة ... »[1].

2. تأثير قضية الإعجاز :

كان الاهتمام بمعرفة أوجه الإعجاز مدعاة إلى البحث في البلاغة، وسبيلاً إلى الوقوف على أهم فنونها، ليتسنى من خلالها الكشف عن سر الإعجاز في النص القرآني، ولهذا لا يكاد يخلـو مصنف من المصنفات البلاغية من إشارةٍ إلى هذا الموضوع، حتى إن كثيراً من العلماء ذهبوا إلى أنّ وجوه إعجاز القرآن الكريم لا يُتوَصل إليها إلاّ بعد معرفة علوم البلاغة، ومنه « كـان البحث عن وجوه الإعجاز سبباً في لفت أنظار العلماء إلى فنون القول، وعناصر علوم البلاغة،

[1] محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد ، ص330 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

فمن ثمّ اهتم بها العلماء خاصة علماء الكلام، ودونوها وحللوها وفسروها، ودللوا عليها، لحاجاتهم إليها، ومن ثمّ صنفوا لها المصنفات وتعقبوها بالتحليل والتعليل والاستشهاد »[1].

و لوثاقة هذه العلاقة بين البلاغة وقضية الإعجاز اتخذ المتكلمون « دراسة البيان أساساً اعتمدوا عليه في دراسة إعجاز القرآن وسبيلاً إلى إدراك إعجازه، وفهم معانيه ومعرفة أحكامه، وطرق الاستدلال بأساليبه وتعابيره على إثبات هذا الإعجاز والرد على منكريه أو المتشككين فيه ... »[2].

وقد كان للقرن الرابع الهجري الحظ الأوفر من هذه الدراسات من خلال ما أفرزته الدراسات البلاغية والقرآنية – في هذا العصر خاصة – من مؤلفات في الإعجاز فقد « قدّم هذا القرن الرابع رصيده، واختار عنوان "إعجاز القرآن" الذي غلب على رسائل من تصدوا للتأليف فيه من أعلام هذا القرن. ومن أشهر ما وصل إلينا من مصنفاتهم في الإعجاز:

–"النكت في إعجاز القرآن" لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت : 384هـ).

–"بيان إعجاز القرآن" للخطابي، أبي سليمان حمد بن محمد (ت : 386 هـ).

–"إعجاز القرآن" لأبي بكر الباقلاني (ت : 304 هـ).

ومعها جزء "إعجاز القرآن" من كتاب "المغني: في أبواب التوحيد والعدل" للقاضي أبي الحسن عبد الجبار المعتزلي ، (ت : 315 هـ) »[3].

ولا شك في الأثر الكبير الذي تركته مؤلفات الإعجاز في توجيه الدرس البلاغي وإثرائه« بل إنّ كلامهم في إعجاز القرآن كان هو الدعامة التي قام عليها هذا العلم »[4].

ولا يخفى من جهة أخرى أن إثبات الإعجاز هو إثبات لحجة القرآن على الناس أجمعين، ووسيلة ذلك هو علوم البلاغة ، ومنه يظهر الأثر البالغ والكبير لقضية الإعجاز في تحديد مسار الدرس البلاغي « ومن هنا ارتبطت البلاغة ببيان إعجاز القرآن الكريم، وكادت تكون غايتها محصورة في ذلك ... »[5]، وهكذا « ظلت دراسات الإعجاز تورق وتثمر طوال هذا القرن والقرون التالية يسلم بعضها إلى بعض، وتزداد على مر الأزمان حيوية وإنتاجاً حتى

---

[1] أحمد العمري ، المباحث البلاغية ، ص35 .

[2] بدوي طبانة ، البيان العربي ، ص54 .

[3] عائشة عبد الرحمان ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، (القاهرة: دار المعارف، 1971) ص18 .

[4] بدوي طبانة، البيان العربي، ص118 .

[5] وليد قصاب ، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة ، ص445 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

توصل علماء إعجاز القرآن إلى دقائق ولطائف كثيرة في أسلوب القــرآن ... وهكــذا كــان الفضل لدراسات الإعجاز في نشأة ذوق أدبي "قرآني" في فهم البيان وفنون القول وتقدير أسرار الجمال في الأسلوب العربي »[1].

هذه الدراسات لم يقتصر أثرها على القرآن وحده، بل أفادت البيان والبلاغة، وتركت فيهما الأثــر البالغ، وأصبحت مرجعاً مهماً لاستمداد القواعد والأصول، وضبطها تأصيلاً وتحديداً.

03ــ تأثير قضايا النقد من خلال اختلاطها بمسائل البلاغة:

اتجهت بحوث النقد ابتداءً إلى البحث عن أسباب سلامة الأسلوب من الخطأ في اللغة، وإلى ما يتصل بالبيان، ومنه امتزجت بحوث النقد، بالبيان لأن موضوعهما واحد وهو النص الأدبي، واعتبرت البلاغة آلة هامة من آلات النقد، ووسيلة ضرورية في يد الناقد، عن طريقها يوضــح ما في النص من إيجابيات أو سلبيات، ويُبين جهات الحسن ومواقع التقصير، بيانا قائماً علــى أسس وقواعد منهجية مبنية على أصول بلاغية،وبهذا: « أصبحت فنون البيان التي اشترك في استنباطها العلماء و الأدباء والنقاد من أهم الأسس التي قامت عليها صناعة النقد الأدبي، ويؤيد هذا ما قلناه من أنّ في هذا القرن لم تنفصل عن النقد الأدبي وبقي النقد الأدبي خاضعاً للمقاييس البلاغية قروناً كثيرة بعد هذا القرن، وأصبح الشعراء والكتاب والخطباء تُقاس عظمتهم بمقدار إجادتهم في استعمال فنون البلاغة، ويعابون بالتقصير في استخدامها.»[2].

ولهذا اهتم النقاد بدراسة البلاغة واستنباط قواعدها لتطبيقها على النص الأدبي، يقول طاهر حليس: «فالنقاد في القرن الرابع الهجري قد اتخذوا من البلاغة الجانب الهام فــي دراســاتهم النقدية وجعلوها إحدى الروافد الأساسية في فهم النص وتوضيح غامضه واستنباط كل ما فيــه من قيم جمالية وخلقية وعاطفية وعقلية وما فيه من قوة في اللفظ وجمال في المعنى »[3]، ومنــه فليس غريباً أن نجد هذا الامتزاج بين قضايا النقد والبلاغة في الكتب النقدية التي أُلفت في هذا العصر، ونظرة سريعة على كتاب "الموازنة بين أبي تمام و البحتري" للآمــدي تظهــر ذلــك بوضوح حيث نجد في ثناياها عرضاً جيداً لكثير من المباحث البلاغية كحديثه عن اســتعارات أبي تمام، كما درس التجنيس والطباق ...

---

[1] محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد ، ص233

[2] بدوي طبانة ، البيان العربي ، ص112 .

[3] الطاهــر حليس ، اتجاهات النقد العربي وقضاياه ، ص307 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

كما نجد هذا الاختلاط واضحاً في كتاب "الوساطة بين المتنبي وخصومه"، للقاضي الجرجاني حيث ذكر فيه جملة من فنون البلاغة كالتجنيس والطباق والتشبيه ...

ومثلهما كتاب "عيار الشعر" لابن طباطبا، الذي أثار فيه قضايا بلاغية كقضية اللفظ والمعنى وتكلم فيه عن التشبيه وحسن التخلص «كما أشار إلى الإفراط في المعنى أو الغلو أو المبالغة في مواضع كثيرة وذلك كلّه بجعل كتاب "عيار الشعر" من الكتب الرائدة في بحوث البلاغة العربية ... »[1] .

هذا وقد علّق بدوي طبانة على كتاب الصناعتين بعد عرضه لأهم أبوابه قائلاً: « ويظهر من هذا العرض السريع لمباحث الصناعتين أنّه كتاب في النقد الأدبي أيضاً، و هذا يؤكد ما قررناه من أن قواعد البلاغة في هذا القرن الذي توفي أبو هلال في أخرياته ظلت مختلطة بمسائل النقد الأدبي ... »[2]، ويقول مازن المبارك بعد حديثه عن بدايات التأليف في البلاغة: « ثم تتالت من بعده المؤلفات، –يقصد كتاب البديع لابن المعتز– وكان من أشهر ما ظهر منها في القرن الرابع كتب امتزجت البلاغة فيها بالنقد، واتخذت كثير من الأمور البلاغية فيها مقاييس ينقد الأدب على أساس منها؛ يُحكم له بالجودة إن كانت جيدة، ويحكم عليه بالرداءة إن كانت رديئة. وذلك كما في كتاب "نقد الشعر" لقدامة بن جعفر (337هـ) وكتاب "الموازنة بين الطائيين" للآمدي (371 هـ)وكتاب "الوساطة بين المتنبي وخصومه" للقاضي الجرجاني (392 هـ)، وكتاب "الصناعتين للعسكري" (395 هـ). »[3]، «بل لعلّنا لا نغلو إذا قلنا إن النقد الأدبي في هذه الكتب قد اختلط بالبلاغة، وإن الفنون البلاغية قد اختلطت في هذه الكتب بالنقد حتى بات من العسير على الباحث أن يميز فيها نقداً من بلاغة أو بلاغة من نقد»[4]، « والذي نريد أن نخلص إليه من ذلك هو أن أبحاث النقد – بحكم هذا التطور الذي أصاب الشعر – أخذت تُعنى في البحث في معاني الشعراء وصورهم البيانية والبديعية تريد أن تردها إلى أصولها الموروثة وبذلك اختلطت أبحاث النقد بالبلاغة »[5].

04. تأثير القضايا الكلامية والعقيدية:

---

[1] محمد خفاجي ، الفكر النقدي والأدبي ، ص47 .

[2] بدوي طبانة ، البيان العربي ، ص121 .

[3] مازن المبارك، البلاغة تطور وتاريخ ، ص65–66

[4] السابق، ص79 .

[5] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص121 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

إنّه من أهم الأسباب والدواعي التي دفعت إلى الاهتمام بالبلاغة والبيان العربي الدفاع عن الإسلام "قرآناً وعقيدةً " ضد مخالفيه من أصحاب الملل والديانات الأخرى – كما فعل المعتزلة ضد طوائف من اليهود والنصارى والفلاسفة– أو من أصحاب المقالات البدعية من أهل الإسلام، كما فعل أهل السنة من الأشاعرة مع المعتزلة بتصديهم،ونقضهم لما ذهبوا إليه من أراء ومذاهب تتعلق بفهم النص القرآني، وتأويله أو تتصل بقضية الإعجاز، وسر الفصاحة فيه ... ومنه غدت مباحث البلاغة سلاحاً مهماً من أسلحة المناظرة والجدل، التي لا يمكن الاستغناء عنها، أو عدم الإلمام بأصولها، في مدافعة أراء المخالفين، وهكذا امتزجت مباحث البلاغة بقضايا العقيدة وارتبطت بالغرض الاعتقادي الديني «وخالطت الدراسات البلاغية دراسات أخرى كلامية، امتزج فيها الاحتجاج لبلاغة القرآن بالاحتجاج لما فيه من دلالات الإعجاز الأخرى، كالإخبار بالغيوب وقصص الأقدمين »[1]، مما كان له الأثر البالغ في توجيه الدرس البلاغي وازدهاره، ولا أدلّ على ذلك من الحشد الكبير من المصنفات والكتب التي كان الغرض من تأليفها الدفاع عن الإسلام، والرد على الطاعنين في القرآن، والرغبة في نشر الآراء والمذاهب، وما كتاب "إعجاز القرآن" للباقلاني الذي بين أيدينا إلا دليل على هذا التأثر، تقول عائشة عبد الرحمان «وجاء الباقلاني في أواخر القرن الرابع، فقدم كتابه المشهور في "إعجاز القرآن"وليس دراسة قرآنية خالصة للإعجاز كما يفهم من عنوانه وكما تَعِدُ مقدمتُه بل هي أقرب إلى الجدل الكلامي والمذهبي، والنقد الأدبي لنصوص كثار طوال، من الشعر والنثر .

ففي الفصول الأولى، يتصدى الباقلاني لتخطئة أقوال في الإعجاز، رفضها الأشاعرة وهو منهم، ولإبطال زعم من زعموا أن علم وحدانية الله لا يمكن بالقرآن،والرد على زعم المجوس أن بعض كتبهم معجز...»[2]. و « إذا كان "البيان" علماً من علوم العربية، فهو كذلك معدود من جملة العلوم الإسلامية، وهي العلوم التي نشأت بتأثير هذا الدين الجديد، وكان له دخل واضح في نشأتها وتطورها وتنوع مباحثها، وكان البيان من أهم ما اعتمد عليه في خدمة العقيدة

---

[1] محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد ، ص233 .

[2] عائشة عبد الرحمان ، الإعجاز البياني للقرآن ، ص97 –98 .

[3] بدوي طبانة ، البيان العربي ، ص16.

[4] وليد قصاب ، التراث النقدي و البلاغي للمعتزلة ، ص175.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

الإسلامية ... »[1]. ويصور وليد قصاب مدى ارتباط القضايا الكلامية بالبلاغة وتأثيرها فيها في القرن الرابع بقوله: «فقد ازدهرت الدراسات الإسلامية البلاغية في القرن الرابع، ووُضحت أصولها، وقواعدها وظهر الأشاعرة في الساحة ينافسون المعتزلة، ويحاولون أن يتسلموا الزمام منهم ووضع الباقلاني الأشعري كتابة "إعجاز القرآن" في محاولة للرد على الرماني المعتزلي الذي فهم من كلامه في "النكت في إعجاز القرآن" أنّه يُرجع هذا الإعجاز إلى الوجوه البلاغية الموجودة فيه مجردة وحدها، وقد بدأ المعتزلة يستفيدون من الدراسات البلاغية واللغوية التي كانت قد بلغت في القرن الرابع درجة بعيدة من التطور والازدهار، ودوِّنت أصولها ومبادئها في مباحث القرآن وفي توجيه آياته بما يتفق مع مبادئ الاعتزال بصورة خاصة »[2] .

وبذلك أصبحت قضايا الكلام والعقيدة مرتبطة بالقضايا البلاغية ارتباطاً وثيقاً، إلى حد يمكن اعتبار هذه المصنفات كتباً بلاغية بنفس القدر الذي يمكن اعتبارها كتباً كلامية «بل إن الباحث المدقق في مصنفات هذا العصر، أي منذ بداية القرن الرابع يستطيع أن يقرر أن البحث البلاغي في بعض هذه المصنفات قد طغى على الجانب الكلامي، بحيث أصبحت تلك المؤلفات كتباً بلاغية، أكثر منها كتب كلامية، على الرغم من أن أصحابها متكلمون، وأنّها قد كتبت أساساً في موضوعات كلامية، لِلرد على الملاحدة والزنادقة وأعداء الدين، حول القرآن وقضايا الإعجاز ووجوهه ... »3.

05-تأثير المنطق والفلسفة اليونانية :

يقول محمد زغلول سلام: « تداخلت عوامل كثيرة في دراسات القرن الرابع، كان أبرزها طابع المنطق والفلسفة وكان لأرسطو مكانة بين مفكري هذا القرن، فانتفع بعض البيانيين ببحوثه في كتابي الخطابة والشعر وانتفع آخرون بكتب المنطق وقضاياه، وظهرت آثار هذا كله في فرعي دراسات النقد في القرن الرابع أعني علوم "إعجاز القرآن" والبلاغة والبديع »[4].

وقد اختلفت جهات التأثر بالفلسفة والمنطق، فكان هناك من تأثر من الناحية المنهجية فقط واستفاد من الفلسفة في التحليل والنقد، وهناك من غلب عليه الروح الفلسفية، وتأثر بها من جهة التفكير والموضوع أيضا، وقد مثّل زغلول سلام للأولين بالباقلاني في النقد القرآني، وبالقاضي

---

[3] احمد العمري ، المباحث البلاغية ، ص111 .

[4] محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد الغربي ، ص313 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

الجرجاني و الآمدي في نقد الشعر، وللآخرين بقدامة بن جعفر، وذكر قسماً ثالثاً «حاول أن يكوِّن حلقة بين أصحاب المذهب العربي(طريقة العرب) والمنهج القرآني، وهم الذين جعلوا القرآن رائدهم في البيان، وكذلك الشعر العربي القديم، وما سار على نهجه من الحديث، وبين أصحاب المذهب الثاني أو المنهج البلاغي، وعلى رأسه يقف قدامة بن جعفر، وقد اختار أبو هلال لنفسه هذا المذهب الوسط يجمع بين محصول الأولين والآخرين، ويحاول التوفيق »[1].

وقد تجاذبت هذه المذاهب، كلٌ ينصر طريقته ويدلل على صحتها، وألفوا الكتب والرسائل مؤيدين أو مخالفين لهذه المذاهب؛ فظهرت كتب الخصومات والموازنة، مثل كتاب أخبار أبي تمام للصولي، ورسالة الصاحب بن عبّاد في كشف مساوئ المتنبي ... وغيرها .

كما لا نغفل في هذا المقام الإشارة إلى كتاب "الخطابة" لأرسطو وأثره في البلاغة العربية، خاصة منه القسم الثالث الذي وضع فيه الأصول البلاغية العامة للعبارة وضعاً عاماً لا يختص بلغة ولا بأمة « وأقبل المتفلسفة بعد نقل هذا الكتاب وكتاب الشعر يحاولون أن يضعوا قواعد البلاغة في لغتنا على ضوء ما تمثّلوه منهما وما ثقفوه من كتابات أرسطو في المنطق والجدل، وكانت ثمرة هذه المحاولة كتابين، هما نقد الشعر ونقد النثر ... »[2].

فلم تكن البلاغة إذن بمنأى عن سنة التأثر والتأثير، وذلك لنشأتها في كنف علوم القرآن، واللغة والنقد والفلسفة، وازدهارها بين هاته العلوم، لأنّها مثّلت موضوعاً مشتركاً بين الدراسات القرآنية واللغوية والنقدية والكلامية، فتناولت كل فئة موضوعات البلاغة من الجانب الذي يهمها، والناحية التي تخدمها، وبالقدر الذي يُحقق قصدها وغرضها .

فتناول البلاغة من بحث في موضوع الإعجاز وبيان القرآن، ومن بحث في أساليب البيان العربي، ومن بحث في قواعد النقد ومبادئه، حتى من بحث في العقائد وأصول الدين، فكان لكلٍ من هاته الفئات أثر غير قليل في توجيه الدرس البلاغي، وفي تحديد طبيعته في هذا العصر.

وإجمالاً يمكننا أن نقول إن البلاغة في هذا العصر، قد استحالت إلى علم له أصوله وقواعده ومبادؤه، وكثرت المؤلفات فيه، حتى مثلت هاته المرحلة «مرحلة الشباب والتخصص الحقيقي في هذه الدراسات وقد خلفت لنا كتب يحق للفكر العربي الإسلامي أن يعتز بها اعتزازاً كبيراً»[3].

---

[1] محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد الغربي ، ص314 .

[2] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص78 .

[3] محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد الغربي ، ص13 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

وتوسعت الملاحظات البلاغية وتكاثرت فيه حتى شملت قضايا تتصل بالعقيدة كقضية الإعجاز وقضايا تتصل بالأدب والنقد، وغدت بذلك من أهم وسائل الدفاع عن القرآن وأساليبه.

وبذلك فقد حمل هذا النتاج البلاغي والنقدي سمات وخصائص هذا العصر الذي نمت في كنفه وترعرعت في أحضان علومه وقضاياه. ممّا كان له أثر في توجيه آراء العلماء في هذا القرن على رأسهم الباقلاني، الذي يُعد أوسع إدراكاً، وأكثر دقة في تناول مسائل الإعجاز، ونظم القرآن، متأثراً باستقلال الدراسات الإعجازية وازدهارها « فلقد نشأ في عصر ترعرعت فيه العلوم البلاغية، واتخذت الدراسات الإعجازية معه علماً قائماً بذاته وانفصلت عن التفسير، وقامت دراسات خاصة مستقلة ببحث إعجاز القرآن، وأسهمت هذه الدراسات في وضع القواعد والأصول، وتحديد ماهية إعجاز القرآن وبلاغته »[1].

[1] عمر السلامي ، الإعجاز الفني في القرآن ، ص63 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

المبحث الثالث

مباحث البديع عند الباقلاني

عقد الباقلاني في كتابه "إعجاز القرآن" فصلا تحت عنوان: فصل: في **ذكر البديـــــع من الكلام**، وهو من أطول فصول كتابه ليجيب فيه عن سؤال مفترض مفاده إمكانية معرفة إعجاز القرآن من جهة ما يتضمنه من ألوان البديع هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ليؤكـد الأصـل الذي قرره ابتداءً، وهو مخالفة جنس نظم القرآن لجنس كلام العرب « فهذا الاتجاه الذي ذكـر الباقلاني يعتبر ذكرا تحليليا نقديا تفسيريا لقضايا البديع الواردة في القرآن ،والـشعر العربـي وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وخطب الخلفاء والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ليبين قاعدته النقدية التي ذكرها في بداية كتابه وهي أن القرآن جنس ولون من كـلام يخـالف ويغاير جنس وكلام العرب البياني، وأن إعجاز القرآن لم يتم عن طريق موسـيقى الـشعر و إيحاءاته، ولا عن طريق السجع ومفرداته، ولا عن طريق البديع وما فيـه من ألوان متعـددة مختلفـة، لأن كل هذا لا يوجد فيه ما هو خارق للعادة وخارج عـن العـرف، لأنـه يمكـن استدراكه بالتعلم والتدرب »[1].

يقول الباقلاني إن سأل سائل فقال: « هل يمكن أن يعرف إعجاز القرآن مـن جهـة مـا يتضمنه من البديع ؟»[2]، هذا السؤال المفترض « هو في حقيقته رأي الرماني من المعتزلة فـي الإعجاز »[3]، وقبل الجواب عنه ذكر شيئاً مما عده بديعا من فنون البلاغة.

---

[1] طاهر حيلس ، اتجاهات النقد العربي وقضاياه في القرن الرابع الهجري ، ص240 .

[2] الباقلاني، إعجاز القرآن ، ص57 .

[3] منير سلطان، مناهج في تحليل النظم القرآني ، ص63 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

و البديع عنده يشمل جميع الصور الفنية والأشكال البلاغية التي أطلق عليها المتأخـــرون مصطلح "بلاغة" وهو في ذلك يجري على ما جرى عليه العلماء في عصره وقبل عصره مـن إطلاق هذه الكلمة على فنون علم البلاغة التي انقسمت فيما بعد إلى علوم: المعاني، والبيـان، والبديع، فهو يذكر: المساواة و التشبيه و المجاز والاستعارة والمطابقة و المجانسة ... وغيرها مطلقا عليـــها اسـم "البديع" يقول عبد العزيز عتيق: « ويلاحظ على فنون البـديع التـي خصها بالذكر هنا أنّه سار في النظر إليها على مذهب المتقدمين من أمثـال الجـاحظ، وابـن المعتز، وقدامة، وأبي هلال العسكري، فقد سلك فيها بعض الفنون التي سارت فيما بعـد مـن مباحث علم البيان كالاستعارة والتشبيه والكناية ... »[1].

ويقول أحمد جمال العمري: «تضمن كتاب إعجـاز القـرآن مجموعـة مـن الإشـارات والتحليلات البلاغية، كلها يدرجها الباقلاني تحت مسمى"البديع" كما ذكرنا من قبل، فالبـديع – في مفهومه – علم شامل لكل مباحث البلاغة العربية، التي حددت وقسمت فيما بعد عصره إلى بيان ومعان وبديع ... »[2].

يقول الباقلاني محدداً منهجه الذي سيسير عليه ليبين ما سئل عنـه قـائلاً: « ذكـر أهـل الصنعة ومن صنّف في هذا المعنى من صفة البديع ألفاظاً نحن نذكرها، ثمّ نبيّن مـا سـألوا عنه، ليكون الكلام وارداً على أمر مبيّن مقرّر، وباب مصور »[3].

وهو في هذا ينهج طريقة المتكلمين، إذ يذكرون الشيء مجملا، ثمّ يفصلونه جريـا علـى قاعدتهم: الحكم على الشيء فرع عن تصوره .

بدأ بعد ذلك في سرد ما يراه بديعا كما يلي:

1– الاستعارة: فهي عنده من البديع، وبدأ بها كما فعل ابن المعتز، وأبو هـلال العـسكري، يقول شوقي ضيف: « يفتتحه – الفصل– بالحديث عن الاستعارة مثله في ذلك مثل ابن المعتز في كتابه "البديع" وأبي هلال العسكري في كتابه "الصناعتين" »[4] يقول الباقلاني: « ذكروا من البديع القـرآن قوله عز ذكـره: ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِ مِنَ الرَّحْمَةِ** ﴾ [الإسراء – آيـة 24]، وقوله ﴿ **وَإِنَّهُ فِيَ أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِـيمٌ** ﴾ [الزخـرف آيـة –4–]، وقولـه: ﴿

---

[1] عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة ، ص219 .

[2] أحمد جمال العمري ، المباحث البلاغية في ضوء الإعجاز القرآني ، ص217 .

[3] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص57 .

[4] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص110 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبا ﴾ [مريم –آية4]، وقوله: ﴿ **وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ** ﴾ [يس –آية37]، وقوله:﴿ **أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ** ﴾ [الحج –آية 55]، وقوله: ﴿ **نُورٌ عَلَى نُورٍ**﴾ [النور– آية 35] »[1].

يقول عبد الرؤوف مخلوف معلقا: « فجميع هذه الشواهد لا تخرج عن أن تكون استعارات في صورة من صورها التي عدّدها البلاغيون المتأخرون عندما جعلوا منها تصريحية وتبعية وتمثيلاً وبمثل قال ابن رشيق وذلك حيث يقول الاستعارة أفضل المجاز وأول أبواب البديع»[2].

وكرر الحديث عن الاستعارة في موضع آخر على أساس ابتكارها وابتداعها وسبق الشاعر إليها وهذا ما يلمح من قوله: «ومن البديع في الشعر طرق كثيرة قد نقلنا جملة لنستدل بها على ما بعدها، فمن ذلك قول امرئ القيس:

وَقَدْ أغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوَابِدِ هَيْكَلِ.

قوله: « قيد الأوابد » عندهم من البديع، ومن الاستعارة. ويرونه من الألفاظ الشريفة، وعنى بذلك أنّه إذا أرسل هذا الفرس على الصيد، صار قيداً لها، وكانت بحالة المقيد من جهة سرعة إحضاره. واقتدى به الناس واتبعه الشعراء، فقيل قيد النواظر، وقيد الألحاظ، وقيد الكلام، وقيد الحديث، وقيد الرّهان»[3].

فيُفهم من قوله: "عندهم من البديع"، أنه تعبير جاء به امرؤ القيس وابتدعه وابتدأه من غير أن يسبق إليه، فأولية استخدام الشاعر لهذا اللون من التعبير، هو ما جعل الباقلاني يدرجه ضمن البديع فالاستعارة البديعة وقف على المبتكرة المخترعة، يقول عبد الرؤوف مخلوف: «فكونها من البديع لا يفهم إلاّ على أنها تعبير جاء به امرؤ القيس دون أن يسبقه إليه سابق، وأمّا كونها استعارة فواضح، وهكذا يكون دخول مثل هذه التراكيب في البديع عند الباقلاني إنما هو من جهة أولية استخدام الشاعر له في أساليب العرب وذلك هو معنى الكلمة اللغوي »[4].

وقبل أن يختم حديثه عن الاستعارة أشار إلى أن بعض أهل الصنعة يسميها الإرداف، وختم بتقديم شواهد أخرى عن الاستعارة المليحة والاستعارة البليغة من القرآن الكريم.

---

[1] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص57 .

[2] عبد الرؤوف مخلوف ، من قضايا اللغة والنقد ، ص327 .

[3] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص59 .

[4] عبد الرؤوف مخلوف ، من قضايا اللغة والنقد ، ص328 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

2-3-4 الكلما : عدّ هذه الألفاظ

والفنون من البديع، باعتبار توسعه في مدلوله، حتى عدّ منه ما استعمل على سبيل الحقيقة وأصل الوضع لمجيئها على غير مثال سابق يقول: « وقد يكون البديع من الكلمات الجامعة الحكيمة كقوله:﴿ **وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ** ﴾ [البقرة –آية 179] ، وفي الألفاظ الفصيحة كقوله: ﴿ **فَلَمَّا اسْتَيأسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيا**﴾ [يوسف – آية 80]، وفي الألفاظ الإلهية كقوله: ﴿ **وَلَهُ كُلُ شَيء** ﴾ [النمل– آية 91]، وقوله ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ** ﴾ [النحل– آية 53]، وقوله: ﴿ **لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ لِلّهِ الْوَاحِدِ القَهَّارِ** ﴾ [غافر– آية 16]»[1]، يقول عبد الرؤوف مخلوف: « فواضح من ذلك كله وبعضه استخدام حقيقي للألفاظ على أصل وضعها في اللغة كقوله: ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ** ﴾ **وقوله:** ﴿ **وَلَهُ كُلُ شَيء** ﴾ إذاً فالبديع عنده ما جاء من الاستعمالات اللغوية على غير سابق مثال وإن كان الاستعمال فيه عن سبيل الحقيقة ، وهكذا يكون الرجل قد توسع في مدلول الكلمة، واستعمالها فيما تدل عليه لغةً ... وعلى هذا النحو من التوجيه يمكن أن يدخل كثير من الآيات التي ساقها الباقلاني تحت كلمة البديع، وإن كانت لا تتضمن من الصنعة ما يجعلها أحد أبوابه المصطلح عليها عند المتأخرين كقوله تعالى: ﴿ **لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ لِلّهِ الْوَاحِدِ القَهَّارِ** ﴾، فإنها ليست من البديع في الاصطلاح ولكنها عند صاحبنا منه بمعنى أن أحداً قبل القرآن لم يتأت له مثل ذلك الصوغ، ولم يهتد أن يقول مثل هذه العبارة في معناها الذي صيغت له»[2].

ثم ساق الباقلاني بعد ذلك أمثلة كثيرة من الحديث النبوي الشريف، ومن فصيح كلام العرب، مما يراه من البديع، والتي يظهر فيها بوضوح مذهبه في إطلاق لفظ البديع على كل مبتكر لم يسبق إليه صاحبه، ولو كان على جهة الاستعمال الحقيقي وفي أصل الوضع؛ لكن لما لم يسبق هؤلاء غيرهم فيه عدّها من البديع.

5- الكناية : ويعدها الباقلاني من البديع أيضاً ، وينقل فيها مذهب بعضهم اعتبارها من باب الإرداف ومثّل لها بقولهم: (نؤوم الضحى لم تنطق عن تفضل) وعلّق قائلاً: « وإنما أراد ترفهها بقوله: (نؤوم الضحى) ومن هذا الباب قال الشاعر :

بَعِيدَةٌ مَهْوَى القُرْطِ إمَّا لِنَوْفَلٍ أَبُوهَا وَإمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمِ

---

[1] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص57 .

[2] عبد الرؤوف مخلوف ، من قضايا اللغة والنقد ، ص328 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

وإنما أراد أن يصف طول جيدها فأتى بردفه »[1].

يقول أحمد العمري: « وإذا كان الباقلاني لم يذكر هنا الكناية صراحة، فإنه قد ذكرها في موقع آخر من كتابه، وجعلها من البديع، وإن كان قد ضمّ إليها التعريض واستشهد لها بقول طفيل الغنوي:

وَأَحْمَرُ كَالدِّيبَاجِ أَمَّا سَمَاؤُهُ فَرِيّاً وَأَمَّا أَرْضُهُ فَمُحُولُ

يقول ومن هذا الباب لحن القول »[2].

6- التشبيه : يقول الباقلاني: « ومما يعدونه من البديع التشبيه الحسن كقول امرئ القيس:

كَأَنَّ عُيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا وَأَرْحُلُنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثْقَبِ

وقوله:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيَابِساً لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَّابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

و استبدعوا تشبيهه شيئين بشيئين على حسن تقسيم ، ويزعمون أن أحسن ما وجد في هذا للمحدثين قول بشار :

كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ »[3].

عرض للتشبيه هنا على أنه من البديع إذا كان حسناً مستطرفاً وهذا يُلمح من قوله: ومما يعدونه من البديع التشبيه الحسن، وكأني به لا يرى أنه يدخل في البديع من التشبيهات إلا ما كان حسناً غير مسبوق بمثله، ويُلمح من قوله: "استبدعوا" أن مذهبه في البديع كل ما كان مبتكراً مخترعاً.

ثم يوازن بين أنواع من التشبيهات، موردا حشداً كبيراً من الشواهد والأمثلة من الشعر والقرآن الكريم، مبرزاً مواطن الجمال والقبح فيها، ومتحدثاً عن صحة التقسيم وحسنه في التشبيه .

7- الغلو : وهو عنده من البديع أيضاً وقد مثّل له بقول النمر بن تولب:

أَبْقَى الْحَوَادِثَ وَالْأَيَّامَ مِنْ نَمِرٍ إِسْنَادُ سَيْفٍ قَدِيمٍ أَثْرُهُ بَادِي

تَظَلُّ تَحْفِرُ عَنْهُ إِنْ ضَرَبْتَ بِهِ بُعْدَ الدِّرَاعَيْنِ وَالْقِدَّيْنِ وَالْهَادِي

---

[1] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص59-60 .

[2] أحمد جمال العمري ، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني ، ص 221 .

[3] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص60 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

وبقــول النابغــة :

تَقُدُّ السَّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَيُوقِدْنَ بِالصِّفَاحِ نَارَ الْحُبَاحِبِ

وبقــول عنتــرة:

فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا بِلُبَـــانِهِ وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ

وبقــول أبي تمــام:

لَوْ يَعْلَمُ الرُّكْنُ مَنْ قَدْ جَاءَ يَلْثُمُهُ

وبقــول البحتــري:

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَاقاً تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وُسْعِهِ لَمَشَى إِلَيْكَ الْمِنْبَرُ

ثم مثّل له من القرآن الكريم قائلاً: « ومن هذا الجنس في القرآن: ﴿**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَمَ هَـلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَزِيدٍ** ﴾ [ق –آية 30]. وقوله: ﴿**إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَـا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا** ﴾ [الفرقان –آية 12]. وقوله: ﴿**تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ** ﴾ [الملك –آية 8] »[1].

8– المماثلة: وهي من فنون البديع، ويعتبرها ضرباً من الاستعارة « وهو فــي المــصطلح الأخير – المماثلة– يتّفق مع أبي هلال في لقبه، بينما يختلف مع قدامة إذ كان يسميه التمثيــل دالا به على الاستعارة التمثيلية وبعض صور الكناية »[2]، ويعرفها قائلاً: « وذلــك أن يقــصد الإشارة إلى معنى فيضع ألفاظا تدل عليه. وذلك المعنى بألفاظه مثــال للمعنــى الــذي قــصد الإشارة إليه نظيره من المنثور: أن يزيد بن الوليد: بلغه أن مروان بن محمد يتلكأ عن بيعتــه فكتب إليه: "أما بعد، فإني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى، فاعتمد على آيتهما شئت" و كنحو ما كتب به الحجاج إلى المهلب: "فان أنت فعلت ذاك وإلا أشرعت إليك الرمح"، فأجابه المهلــب: "فان اشرع الأمير الرمح قلبت إليه ظهر المجن"»[3]، ثم يمثل لها بشيء من الشعر كقول زهير:

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزِّجَاجِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ

و بقول امرئ القيس:

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكِ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

وبقول عمر بن معدى كرب:

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقَتْنِي رِمَاحُهُمْ نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَّتِ

---

[1] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص63–64 .

[2] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص110 .

[3] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص64 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

ويختم بأمثلة من القرآن قائـــلاً: « ومن هذا الباب في القرآن كقـــــوله: ﴿**فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَـــى النَّارِ**﴾ [البقرة –آية 175] وكقوله: ﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾[المدثر –آية 4] . قال الأصمعي: "أراد البدن" قال: وتقول العرب: "فداً لك ثوباي يريد نفسه" وانشد:

أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا حَفْصٍ رَسُولاً فِدىً لَكَ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ إِزَارِي »[1].

9– المطابقة: بعدما ذكر أنها من البديع أشار إلى الخلاف في تعريفها قـــائلاً:« وأكثـــرهم على أن معناها أن يذكر الشيء وضده، كالليل و النهار، السواد والبياض، وإليه ذهب الخليل بن أحمد والأصمعي. ومن المتأخرين عبد الله بن المعتز... وقال آخرون: بـــل المطابقـــة أن يشترك معنيان بلفظة واحدة وإليه ذهب قدامة بن جعفر الكاتب » [2].

ثم ذكر رأي بعض المخالفين فقال: « وليس عنده قول من قال المطابقـــة، إنمـــا تكـــون باجتماع الشيء وضده بشيء » وقبل أن يختم حديثه عن المطابقة ذكر بعض أنواعها قـــائلاً: « وكقول زهير وقد جمع فيه طباقين:

بِعَزْمَةِ مَأْمُورٍ مُطِيعٍ وَآمِرٍ مُطَاعٍ فَلاَ يُلْفِي لِحَزْمِهِمْ مَثَلُ

وكقول الفرزدق:

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارُ

مما قيل فيه ثلاث تطبيقات قول جرير:

وَبَاسِطُ خَيْرٍ فِيكُمْ بِيَمِينِهِ وَقَابِضُ شَرٍّ عَنْكُمْ بِشِمَالِيا

وكقول رجل من بلعنبر:

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةٍ وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانَا

وروي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه تمثل بقول القائل:

فَلاَ الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ وَالْجِدُّ مُقْبِلٌ وَلاَ الْبُخْلُ يُبْقِي الْمَالَ وَالْجِدُّ مُدْبِرُ

وكقول الآخر:

فَسِرِّي كَإِعْلاَنِي وَتِلْكَ سَجِيَّتِي وَظُلْمَةُ لَيْلِي مِثْلُ ضَوْءِ نَهَارِيَا

وكقول قيس بن الخطيم:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ فَضُرَّ؛ فَإِنَّمَا يُرْجَى الْفَتَى كَيْمَا يَضُرَّ وَيَنْفَعَا

---

[1] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص65 .

[2] السابق ، ص65 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

وكقـــول السمـــــوأل:

وَمَا ضَرَّنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ

فهذا باب يرونه من البديع »[1].

10- التجنيس: وهو من أبواب البديع التي نالت شيئاً من التفصيل عند الباقلاني، حيث عرّفه وقارن بين الأقوال والمذاهب فيه قائلاً: « وباب أخر وهو- التجنيس؛ ومعنى ذلـــك: أن تـــأتي بكلمتين متجانستين فمنه ما تكون الكلمة في تجانس الأخرى في تأليف حروفها، وإليـــه ذهـــب الخليل.

ومنهم من زعم أن المجانسة أن تشترك اللفظتان على جهة الاشتقاق كقولـــه عـــز وجـــل: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ** ﴾ [الروم – آية 42]. وكقوله: ﴿**وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ**﴾ [النمل-آيـــة 44]. »[2]، ثم أورد كثيراً من الأمثلة على هذا الرأي متأثراً بالرماني، يصور ذلك المحمدي في قوله: « وقد تأثر الباقلاني في باب التجانس بالرماني حيث نقل منه أكثر أمثلته دون شرح لها »[3]، وقبل أن يختم الحديث فيه يفصل في بعض أنواعه قائلاً:« وقد يكـــون التجنـــيس بزيـــادة حرف، أو ما يقارب ذلك»[4]،ضارباً كثيراً من الأمثلة على ذلك.

11- المقابلة: وهي عند الباقلاني من البديع أيضاً، وقد عرفها بقوله: « وهي أن يوفق بـــين معاني ونظائرها، والمضاد بضده »[5]، ثم مثّل لها من الشعر بقول النابغة:

فَتًى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الأَعَادِيَا

وبقـــول تأبـــط شـــرا:

أَهُزُّ بِهِ فِي نَدْوَةِ الْحَيِّ عِطْفَهُ كَمَا هَزَّ عِطْفِي بِالْهِجَانِ الأَوَارِكِ

وكقـــوله الأخـــر:

وَإِذَا حَدِيثٌ سَاءَنِي لَمْ أَكْتَئِبْ وَإِذَا حَدِيثٌ سَرَّنِي لَمْ أَشْرَرِ

وكقـــوله الأخـــر :

وَذِي إِخْوَةٌ قَطَّعْتُ أَرْحَامَ بَيْنِهِمْ كَمَا تَرَكُونِي وَاحِداً لا أَخَا لِيَا

---

[1] السابق ، ص66-67 .

[2] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص67 .

[3] المحمدي عبد العزيز ، دراسات حول الإعجاز البياني حول القرآن ، ص197 .

[4] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص68 .

[5] نفسه ، ص68 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

ومثّل لها من القرآن بقوله: « ونظيره من القرآن ﴿**ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ. ثُـمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُون** ﴾ [النحل آية ــ54.53] »[1].

12- الموازنة : وقد عرفها بالتمثيل في قوله: « ويعدون من البديع (الموازنة)، وذلك كقول بعضهم:

" اِصْبِرْ عَلَى حَرِّ اللِّقَا وَمَضَضِ النِّــزَالِ وَشِدَّةِ الْمَصَاعِ".

وكقول امرئ القيس:

سَلِيمُ الشَّظَا عَبْلُ الشَّوَى شَنَجُ النَّسَا لَهُ حجبَاتٌ مُشْرِفَاتٌ عَلَى الْفَالِ

ونظيره من القران ﴿**وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ. وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ. وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ** ﴾ [البــروج- آية 3.2.1]»[2]، والموازنة مما زاده قدامة في كتابه جواهر الألفاظ من حــسن البلاغــة وقــد سماها اعتدال الوزن وعرفها شوقي بقوله: « وهو ضرب من المزاوجة وتقطيــع الكــلام دون إحداث سجع فيها»[3].

13- المساواة: يقول الباقلاني: « ويعدون من البديع المساواة وهي أن يكون اللفظ مــساويا للمعنى، لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وذلك يعد من البلاغة وذلك كقول زهير:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ

وكقول جرير:

فَلَوْ شَاءَ قَوْمِي كَانَ حِلْمِي فِيهِمُ وَكَانَ عَلَى جُهَّالِ أَعْدَائِهِمْ جَهْلِي

وكقول الأخر:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُقْصِرْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَنَا أَصَبْتَ حَلِيماً أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلُ

وكقول الهزلي:

فَلاَ تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا وَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا

وكقول الأخر:

فَإِنْ هُمْ طَاوَعُوكِ فَطَاوِعِيهِمْ وَإِنْ عَاصُوكِ فَاعْصِي مَنْ عَصَاكِ

ونظير ذلك في القرآن كثير ... »[4].

---

[1] السابق، ص70 .

[2] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص 70.

[3] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص110 .

[4] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص70 -71 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

14-الإشارة: وقد عرفها بقوله: « وهو اشتمال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة. وقال بعضهم في وصف البلاغة : لمحة دالة»[1]، هو في هذا وما بعده يقتدي بقدامة كما قال شوقي ضيف.

وقد مثّل لها من الشعر بقول طرفة:

فَظَلَّ لَنَا يَوْمٌ لَذِيذٌ بِنِعْمَةٍ فَقُلْ فِي مَقِيلٍ نَحْسُهُ مُتَغَيَّبِ

وكقول زيد الخيل:

فَخَيْبَةُ مَنْ يَخِيبُ عَلَى غَنِيٍّ وَبَاهِلَة بن أَعْصُرَ وَالرَّبَابِ

ومن القرآن بقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى** ﴾ [الرعد آية-31].

15-المبالغة والغلو: يقول الباقلاني: « ويعدون من البديع المبالغة والغلو، والمبالغة تأكيد معاني القول وذلك كقول الشاعر:

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا كَانَ فِينَا وَنُتْبَعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ مَالاَ

ومن ذلك قول الأخر:

وَهُمْ تَرَكُوكَ أَسْلَحَ مِنْ حُبَارَى رَأَتْ صَقْراً وَأَشْرَدَ مِنْ نَعَامِ

فقوله رأت صقرا مبالغة، ومن الغلو قول ابي نواس:

تَوَهَمْتُهَا فِي كَأْسِهَا فَكَأَنَّمَا تَوَهَّمْتُ شَيْئاً لَيْسَ يُدْرِكُهُ الْعَقْلُ

فَمَا يَرْتَقِي التَّكْيِيفُ فِيهَا إِلَى مَدَى يَحِدُّ بِهِ إِلَّا وَمِنْ قَبْلِهِ قَبْلُ

وكقول زهير:

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِأَوَّلِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا

كقول النابغة:

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَسَنَاؤُنَا وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

و كقول الخنساء:

وَمَا بَلَغَتْ كَفُّ امْرَئٍ مُتَنَاوِلٌ بِهَا الْمَجْدُ إِلاَّ حَيْثُمَا نِلْتُ أَطْوَلُ

وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ فِي الْقَوْلِ مِدْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلاَّ الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ

وقول الأخر:

---

[1] نفسه ، ص71 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

لَهُ هِمَمٌ لاَ مُنْتَهَـــى لِكِبَارِهَـــا وَهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ مِنَ الدَّهْـــرِ

لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مِعْشَارَ جُودِهَا عَلَى الْبَرِّ صَارَ الْبَرُّ أَنْدَى مِنَ الْبَحْرِ »[1]

يقول المحمدي: « كما نرى أن الباقلاني قد جعل لون المبالغة من وجوه البلاغة وقد لخص ما قاله الرماني في هذا اللون»[2].

16-الإيغال: وقد تناوله بقوله: « ويرون من البديع "الإيغال" في الشعر خاصة، فلا يطل مثله في القرآن إلا في الفواصل كقول امرئ القيس:

حُلْنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثْقَبِ

وقد أوغل بالقافية في وصف فأكد التشبيه بها. و المعنى قد يستقبل دونها »[3].

17- التوشيح: جعله من البديع وعرّفه ثمّ مثّل له بقوله: « ومن البديع عندهم "التوشيح" وهو ما يشيد أول البيت بقافيته، و أول الكلام بآخره، كقول البحتري:

فَلَيْسَ الَّذِي حَلَّلْتَهُ بِمُحَلَّلٍ وَلَيْسَ الَّذِي حَرَّمْتَهُ بِحَرَامٍ

ومثله في القرآن: ﴿ **فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ** ﴾[المائدة آيـــة 39 ــ].»[4]

وجعل منه **رد عجز الكلام على صدره** ممثلاً له بقول الله عز وجل:﴿**انظُـــرْ كَيْـــفَ فَـــضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً** ﴾ [الإسراء آيـــة21]. وكقولـــه:﴿**لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى** ﴾[طه آيـة61] .ومن الشعر بقول القائل :

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلاَّ تَعُلُّلُ سَاعَةٍ قَلِيلاً فَإِنَّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا

وبقول جريـــر:

سَقَى الرَّمْلَ جَوْنٌ مَسْتَهِلٌ غَمَامُهُ وَمَا ذَاكَ إِلاَّ حُبُّ مَنْ حَلَّ بِالرَّمْلِ

وكقول أبي صخر الهذلي:

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ

---

[1] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص71 -72 .

[2] المحمدي عبد العزيز ، دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن ، ص207 .

[3] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص72 .

[4] نفسه ، ص72 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

وكقول عمرو بن معدي كرب:

إذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئاً فَدَعْهُ وَجَاوِزْهُ إلى مَا تَسْتَطِيعُ

18- صحة التقسيم: وقد مثّل له بقول نصيب:

فَقَالَ فَرِيقُ القَوْمِ: لاَ وَفَرِيقُهُمْ نَعَمْ، وَفَرِيقٌ قَالَ: وَيْحَكَ مَا نَدْرِي

ثم علق بقوله: « وليس في أقسام الجواب أكثر من هذا.»[1].

وقول المقفع الكندي:

وَإنْ يَأْكُلُوا لَحْمِي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ وَإنْ يَهْدِمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدا

وَإنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفَظْتُ غُيُوبَهُمْ وَإنْ هُمْ هَوَوْا غَيِّي هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدا

وَإنْ زَجَرُوا طَيْراً بِنَحْسٍ تَمُرُّ بي زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْراً تَمُرُّ بِهِمْ سَعْدا

وبقول عروة بن حزام:

بِمَنْ لَوْ رَآهُ غَائِباً لَفَدَيْتُهُ وَمَنْ لَوْ رَآنِي غَائِباً لَفَدَانِي

ومن القرآن بقول الله عز وجل: ﴿**اللهُ وَلِيُّ الذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ وَالذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إلى الظُّلُمَاتِ** ﴾ [البقرة آية ــ257].

19-صحة التفسير: و ذكره على أنه مثل صحة التقسيم كقول القائل:

وَلِي فَرَسٌ لِلْحِلْمِ بِالْحِلْمِ مُلْجَمٌ وَلِي فَرَسٌ لِلْجَهْلِ بِالْجَهْلِ مُسْرَجُ

20-التكميل و التتميم: عدّه من البديع أيضاً ومثّل له بقول نافع بن خليفة:

رِجَالٌ إذَا لَمْ يَقْبَلُوا الْحَقَّ مِنْهُم وَيُعْطَوْهُ عَادُوا بِالسُّيُوفِ الْقَوَاطِعِ

ثم علّق عليه بقوله: « وإنما تم جودة المعنى بقوله: ويعطوه، وذلك كقول الله عز وجل: ﴿**إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ [لقمان آية ــ34]. إلى أخر الآية ثم قال: ﴿**إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ »[2].

21- الترصيع: وقد جعله ألوان متقاربة منها قول امرئ القيس:

مِخَشٍّ مِجَشٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً كَتَيْسِ ظِبَاءِ الْحَلْبِ فِي الْعَدَوَانِ

ومن ذلك كثير من مقدمات أبي نواس:

يَا مِنَّةً إمْتَنَّهَا السُّكْرُ مَا يَنْقَضِي مِنِّي لَهَا الشُّكْرُ

وكقوله وقد ذكرناه قبل هذا:

---

[1] السابق ، ص73 .

[2] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص 73 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

دِيَارُ نَوَارٍ مَا دِيَارُ نَوَارِ كَسَوْنَكِ شَجْواً هُنَّ مِنْهُ عَوَارُ

ثم تحدث عن بعض ألوانه فقال: « ومن ذلك **الترصيع مع التجنيس** كقول ابن المعتز:

أَلَمْ نَجْزَعْ عَلَى الرُّبْعِ الْمُحِيلِ وَأَطْلاَلٍ وَآثَارٍ مُحُولِ »[1].

وبعد ما سرد شيئاً من الأمثلة من القرآن الكريم على الترصيع مع التجنيس، ذكر **المضارعة** على أنها مما يقارب الترصيع قائلاً: « ومما يقارب الترصيع ضرب يسمى "المضارعة" وذلك كقول الخنساء:

حَامِي الْحَقِيقَةِ مَحْمُودُ الْخَلِيقَةِ مَهْـ ـدِيُ الطَّرِيقَةِ نَفَّاعٌ وَضَـرَّارُ جَـوَّابُ

قَاصِـيَةٍ جَـزَّازُ نَاصِيَةٍ عَقَّادُ أَلْوِيَةٍ لِلْخَيْلِ جَـرَّارُ »[2].

22- التكافؤ: وهو عند الباقلاني قريب من "المطابقة "[3] ومثّل له بقول المنصور: "لا تخرجوا من عز الطاعة إلى ذل المعصية" وقول عمر بن ذر: "إنا لم نجد لك إذا عصيت الله فينا خيرا من أن نطيع الله فيك" ومنه قول بشار:

إِذَا أَيْقَظَتْكَ حُرُوبُ الْعِدَا فَنَبِّهْ لَهَا عُمَراً ثُمَّ نَمِ

23- التعطف: وهذا اللون من البديع أيضاً عند الباقلاني إلا أنّه لم يطل الكلام فيه وضرب له مثالاً واحداً وهو قول امرئ القيس "عود على عود على عود خلق"

24- السلب والإيجاب: وقد جعل هذا اللون مستقلاً عن الطباق ممثلا له بقول القائل:

وَنُنْكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُم وَلاَ يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

يقول شوقي ضيف: «وتحدث كأبي هلال الذي تحدث عن "السلب والإيجاب" فنّاً مستقلا عن الطباق »[4].

25- الكناية و التعريض: جعل الكناية هنا صراحة من البديع وضمّ لها التعريض ممثلاً لها بقول القائل:

وَأَحْمَرُ كَالدِّيبَاجِ أَمَّا سَمَاؤُهُ فَرِيّاً، وَأَمَّا أَرْضُهُ فَمُحُولُ

---

[1] نفسه ، ص74 .

[2] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص74 .

[3] وجدير بالذكر أن قدامة سمى المطابقة بهذا الاسم ، ينظر قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تح كمال مصطفى(ط:3 القاهرة: مكتبة الخانجي) ص163.

[4] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص 111 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

وجعل من هذا الباب **لحن القول**، ولكن لم يعرفه ولم يمثل له.

26- العكس و التبديل: وهو من الكناية والتعريض عنده لكن خصّه بالتمثيل بقول الحسن: "إن من خوفك لتأمن، خيرٌ ممن أمنك لتخاف"، وبقوله: "اللهم أغنني بالفقر إليك ولا تفقرني بالاستغناء عنك" وبقوله: "بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا" وبقول القائل:

وَإِذَا الدُرُّ زَانَ حسْنَ وُجُوهٍ كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكَ زِينُهُ

ومن القرآن قوله تعالى: ﴿**يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ**﴾ [الحج آية 61].

27- الإلتفات: وهو عنده من البديع أيضاً، وذكر هنا نقله عن الحسن بن عبد الله العسكري وهو بذلك يضع في « يدنا المفتاح الذي نعرف به سر اتفاقه مع أبي هلال في بعض الألقاب والمصطلحات التي لم ترد عند ابن المعتز وقدامة »[1]، وقد مثّل لهذا اللون البلاغي من الشعر والقرآن وبدأ بما رواه الأصمعي عن جرير :

أَتنْسَى إِذْ تُوَدِّعُنَا سُلَيْمَى بِفَرْعِ بِشَامَةِ سُقِيَ البَشَامُ

وبقوله:

مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحٍ سُقِيتِ الْغَيْثَ أَيَّتُهَا الْخِيَامُ

ثم يحدد ذلك بقوله: « ومعنى الالتفاتات أنه اعترض في الكلام قوله: "سقيت الغيث" ولو لم يعترض لم يكن ذلك التفاتا، وكان الكلام منتظما، وكان يقول: متى كان الخيام بذي طلوح أيتها الخيام، متى خرج عن الكلام الأول ثم رجع إليه على وجه يلطف، كان ذلك التفاتا»[2].

وبعد ما مثّل لها بكثير من الشعر وأتبعها بأمثلة من القرآن الكريم؛ عقب بقوله: « ومنهم من لا يعد الاعتراض و الرجوع من هذا الباب، ومنهم من يفرده عنه كقول زهير:

قِفْ بِالدِّيَارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا الْقِدَمُ نَعَمْ، وَغَيَّرَهَا الأَرْوَاحُ وَالدِّيَمُ

وكقول الأعرابي:

أَلَيْسَ قَلِيلاً نَظْرَةٌ إِنْ نَظَرْتُهَا إِلَيْكِ وَكُلاًّ لَيْسَ مِنْكِ قَلِيلُ

وكقول ابن هرمة:

لَيْتَ حَظِّي كَلَحْظَةِ الْعَيْنِ مِنْهَا وَكَثِيرٌ مِنْهَا الْقَلِيلُ الْمُهَنَّا

---

[1] السابق، ص 111 .

[2] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص76 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

ومن الرجوع قول القائل:

بِكُلٍّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشْـفَ مَا بِنَا عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ البُعْدِ

وقال الأعشـــى:

صَرَمْتُ وَلَمْ أَصْرِمْكُمْ وَ كَصَارِمٍ أَخٍ قَدْ طَوَى كَشْحاً وَآبَّ لِيَذْهَبَا

وكقول بشـــار:

لِي حِيلَةٌ فِيمَنْ يَنْـمُـــ ـــمِ وَلَيْسَ فِي الكَذَّابِ حِيلَهْ

مَنْ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقُـــو لُ فَحِـــيلَتِي فِيهِ قَلِيـــلَهْ

وقال آخـــر:

وَمَا بِي انْتِصَارُ إِنْ عَدَا الدَّهْرُ ظَالِماً عَلَيَّ، بَلَى إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِكَ النَّصْرُ»[1].

28- التذييل: و هذا اللون « ألحقه المتأخرون بباب الإطناب في علم المعـــاني »[2] يقـــول« وباب آخر من البديع يسمى "التذييل" وهو ضرب من التأكيد وهو ضد ما قـــدمنا ذكـــره مـــن الإشارة كقول أبي داود:

إِذَا مَا عَقَدْنَا لَهُ ذِمَّةً شَدَدْنَا العِنَاجَ وَعَقْدَ الكَرَبْ

وأخذه الحطيئة فقال:

فَدَعَوْا نِزَالِ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلاَمَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ

وكقول جرير:

لَقَدْ كُنْتُ فِيهَا يَا فَرَزْدَقُ تَابِعاً وَرِيشُ الذُّنَابِي تَابِعٌ لِلْقَوَادِمِ

ومثله قوله عز وجل:﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً** ﴾ إلى قوله: ﴿ **إِنَّهُ كَانَ** ﴾. إلى قوله: ﴿ **خَاطِئِينَ** ﴾ [القصص آية ــ 4. 8]. »[3].

29- الاستطراد: وهو عنده باب من البديع، وقد مثّل له بالشعر وبالقرآن الكريم فمن الـــشعر قول حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

إِنْ كُنْتِ كَاذِبَةَ الَّتِي حَدَّثْتِنِي فَنَجَوْتِ مَنْجَا الحَرْثِ بْنَ هِشَامِ

---

[1] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص77-78 .

[2] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ص .111 .

[3] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص78 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

تَرَكَ الأحِبَّة أنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ وَرَمَى برَأس طِمِـرَّةٍ ولِجَـام

ومن القرآن قوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِن شَئٍ يَتَفَيَّؤُ ظِلاَلُـهُ عَـنِ الْيَمِـينِ والشَّمَائِلِ سُجَّدًا للهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ. وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتَ وَمَا فِـي الأَرْضِ مِـن دَآبَّـةٍ وَالْمَلاَئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ**﴾ [النحل آيةـ 49.48]، ثم علق على الآية قائلاً: « كأنـه كـان الكلام في أمر خاص »[1].

30- التكرار: يقول: « ومن البديع عندهم التكرار كقول الشاعر:

هَلاَّ سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْـ دَةَ يَوْمَ وَلَّوْا أَيْنَ أَيْنَا

وكقول الآخـــر

وكَانَتْ فُزَارَةُ تُصْلَى بِنَا فَأُوْلَى فُزَارَةَ أَوْلَى لَهَا

ونظيره من القرآن كثيرٌ كقوله: ﴿ **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُـسْرًا** ﴾ [الانـشراح- آية6.5]

وكالتكرار في قوله: ﴿**قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ** ﴾ [الكافرون – آية 1]، وهذا فيه معنى زائد علـى التكرار، لأنه يفيد الإخبار عن الغيب »[2].

31- تأكيد المدح بما يشبه الذم: وهوعنده ضرب من الاستثناء ، يقول: « ومـن البـديع عندهم ضرب من الاستثناء كقول النابغة:

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ

وكقول النابغة الجعدي:

فَتًى كَمُلَتْ أَخْلاَقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَلاَ يُبْقِي مِنَ المَالَ بَاقِيا

فَتًى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الأَعَادِيَا

وكقول الآخـــر:

حَلِيمٌ إِذَا مَا الحِلْمُ زَيَّنَ أَهْلَهُ مَعَ الحِلْمِ فِي عَيْنِ العَدُوِّ مَهِيبُ

كقول أبي تمـــام:

---

[1] نفسه ، ص80 .

[2] نفسه ، ص80 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

تَنَصَّلَ رَبُّهَا مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ إِلَيْكَ سِوَى النَّصِيحَةِ وَالوِدَادِ »[1].

يقول شوقي ضيف: « ونراه يسمي، مثل أبي هلال، تأكيد المدح بما يشبه الذم باسم "الاستثناء" مخالفا بذلك ابن المعتز »[2].

ثم يختم هذا الفصل بقوله: « ووجوه البديع كثيرة جدا، فاقتصرنا على ذكر بعضها، ونبهنا بذلك على ما لم نذكر، كراهة التطويل فليس الغرض ذكر جميع أبواب البديع »[3] فهو يصرح هنا أن غرضه ليس بلاغيا وإنما هو غرض كلامي عقيدي؛ لإثبات قضية الإعجاز التي أخذت عليه فكره ونظره.

بعد ذلك يحدد موقفه من قضية إمكانية إثبات الإعجاز عن طريق البديع بكلام يفهم منه « أنه لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع الذي ادعوه في الشعر ووصفوه فيه لأن هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة ويخرج عن العرف، بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به والتصنع له، كقول الشعر، ووصف الخطب، وصناعة الرسالة، والحذق في البلاغة... وهذا طريقٌ لا يتعذر وبابٌ لا يمتنع، وكلٌ يأخذُ فيه مأخذاً،ويقف منه موقفاً، على قدر ما معه من المعرفة، وبحسب ما يمده من الطبع.»[4].

إلا أنه استثنى بعض ألوان البديع التي قد يكون لها مدخل في الإعجاز، وهي التي لا يتوصل إليها بالتصنع والمران بحال من الأحوال؛ مدللا بما عيب على أبي تمام فيما تكلفه من البديع في لاميته في حين استحسن من البحتري عدم تصنعه في ذلك، مشيرا إلى أن البديع نوعان: نوع لا مدخل له في الإعجاز ولا مزية فيه لأنه لا يخرق العادة ويتوصل إليه، ونوع له مدخل في الإعجاز وله تأثير في الجملة، ويختم هذا الفصل بقوله: « وهذه جملة تحتاج إلى تفصيل ومبهم قد يحتاج في بعضه إلى تفسير وسنذكر ذلك بمشيئة الله وعونه، ولكن قد يمكن أن يقال في البديع الذي حكيناه وأضفناه إليه أن ذلك باب من أبواب البراعة وجنس من أجناس البلاغة وأنه لا ينفك القرآن عن فن من فنون بلاغاتهم، ولا وجه من وجوه فصاحا تهم و إذا أورد هذا المورد ووضع هذا الموضع كان جديرًا»[5].

---

[1] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص80 .

[2] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص112 .

[3] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص80 .

[4] عبد العزيز عتيق ، في تاريخ البلاغة ، ص221 .

[5] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص 84 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

وفي قوله: "هذه جملة تحتاج إلى تفصيل" دليل أخر على أن محل نظره هو قضية الإعجاز ، وما البلاغة إلا وسيلة لبيانه.

و أخيرا يجمل رأيه في قضية البديع وعلاقتها بالإعجاز قائلا: « و إنما لم نطلق القول إطلاقا لأنّا لا نجعل الإعجاز متعلقا بهذه الوجوه الخاصة ووقفا عليها ومضافا إليها و إن صحَ أن تكون هذه الوجوه مؤثرة في الجملة آخذة بحظها من الحسن والبهجة متى وقعت في الكلام على غير وجه التكلف المستبشع والتعمل المستبشع»[1].

كان بإمكانه التوسع أكثر؛ لكن منهجه الكلامي وعقيدته دفعاه إلى ترجيح الجانب الكلامي على الجانب الأدبي البلاغي ولو كان مذهبه أن الإعجاز متعلق بوجوه البديع لكان له معها شأن غير هذا.

يقول محمود أحمد شاكر في تقرير ذلك: « بيد أن جدل المتكلمين قبله وعلى عهده، وخوض الملحدين في أصول الدين كما قال، ومنهجهم في اللجاجة وطلب الغلبة، كل ذلك لم يدعه حتى استغرقه في الرد عليهم، على مثل منهاجهم من النظر. ثم دارت به الدنيا، لما بلغه أن بعض جهالهم يعدل القرآن ببعض الأشعار، ويوازن بينه وبين غيره من الكلام ... لو كان استقام له المنهج الذي ذكرناه، لبلغ فيه غاية يسبق فيها المتقدم،ويكد فيها جهد المتأخر»[2].

<u>ملاحظات على فصل البديع في الكلام:</u> بعد هذا العرض التفصيلي لمباحث البديع التي تناولها الباقلاني بشيء من الشرح والتحليل أخلص إلى النتائج والملاحظات التالية:

1- اتساع مفهوم البديع في رأيه ليشمل كل ماله علاقة بفن القول فهو « عنده يشمل جميع الخصائص اللغوية والصور الفنية التي أطلق عليها المتأخرون كلمة "البلاغة"، وهو في ذلك يجري على ما عليه العلماء في عهده من إطلاق كلمة البلاغة على فنون المعاني و البيان و البديع؛ فهو يذكر الاستعارة على اختلاف أقسامها من تصريحيه ومكنية وتبعية وتمثلية، ويذكر المجاز والتشبيه ... فجميع ذلك يدخل عنده تحت كلمة البديع »[3]يؤكد ذلك المحمدي بقوله: « فالبديع في رأيه مرادف للبلاغة بدليل أنه أورد أنواعا من البيان والمعاني والمحسنات البديعية

---

[1] الباقلاني ، إعجاز القرآن، ص 84 .

[2] مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية ، مقدمة محمود أحمد شاكر ، ص 44-45 .

[3] طاهر حيلس ، اتجاهات النقد العربي وقضاياه في القرن الرابع ، ص 238 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

كالاستعارة والتشبيه والإلتفات والمطابقة ونحو ذلك .. »[1]، « فالباقلاني يستخدم مصطلح البديع بمفهومه العام الشامل الذي كان متعارفا عليه في عصره، فالبديع عنده يشمل كل المباحث و الفنون البلاغية، أي انه يضم مباحث علوم البلاغة الثلاثة التي لم تكن –في عصره– قد تحددت وتمايزت واستقلت، وهي البيان والمعاني والبديع.

فهو يرى مثلا أن الاستعارة والتشبيه من البديع، وهما كما نعلم أصبحا فيما بعد من أهم مباحث علم البيان.

وهو يعتبر المساواة وبعض صور الإطناب من البديع، ونحن نعلم أنهما قد أصبحا من موضوعات علم المعاني.

وهو يعتبر أن مجموعة من الصور البديعية التي استقرت فيما بعد تحت عنوان البديع، مثل المطابقة والتجنيس، ورد الأعجاز على الصدور وغيرها»[2].

2– التوسع في مدلول كلمة "البديع" واستعمالها فيما يدل عليه لغة حتى اعتبر منها استعمالات الحقيقية التي وردت في القرآن الكريم على أصل وضع اللغة من حيث أنها اخترعت وجاءت على ما جاءت عليه أول مرة في الاستعمال، ولم يسبق القرآن أحدا في استعمالها، ومما يوضح ذلك قوله: « وقد يكون البديع من الكلمات الجامعة الحكيمة كقوله: ﴿ **وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ** ﴾[البقرة –آية 179]. وفي الألفاظ الفصيحة كقوله: ﴿ **فَلَمَّا اسْتَيأسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيا** ﴾ [آية –80 يوسف]، وفي الألفاظ الإلهية كقوله: ﴿ **وَلَهُ كُلُ شَيءٍ** ﴾ [النمل –آية 91]. وقوله :﴿ **لمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ لِلّهِ الْوَاحِدِ القَهَّارِ** ﴾ [غافر –آية16]...»[3] يقول طاهر حيلس بعد تقريره شمول لفظ البديع واتساعه عند الباقلاني ليشمل كل ما له علاقة بالبلاغة «...كما يذكر بعض الاستعمالات الحقيقية التي وردت في القرآن على أصل وضع اللغة، فجميع ذلك يدخل عنده تحت كلمة البديع ،فالقرآن قد تفرد في مواضع استعمل فيها البديع كآيات الأحكام وآيات الفروض وما شابه ذلك من كل استعملت فيه الكلمة في حقيقة ما وضعت له »[4].

بل إنه يذهب إلى أن فنون البلاغة لا تكون من البديع إلا إذا كانت مبتكرة مبتدعة وهذا ما يشعر به تعليقه على قول امرئ القيس:

---

[1] المحمدي عبد العزيز ، دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن ، ص 225 .

[2] أحمد جمال العمري ، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني (1990 ؛ القاهرة : مكتبة الخانجي) ، ص213.

[3] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص 57

[4] طاهر حيلس، اتجاهات النقد العربي وقضاياه في القرن الرابع الهجري، ص **238**

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْـرُ فِي وُكُنَاتِهَـــا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَـــل.

حيث يقول: « قوله: "قيد الأوابد" عندهم من البديع، ومن الاستعارة ويرونه مـن الألفـاظ الشريفة واقتدى به الناس واتبعه الشعراء، فقيل قيد النواظر، وقيد الألحاظ، وقيد الكلام، وقيـد الحديث، وقيد الرهـان ... »[1] .

ويؤكد هذا استقباحه الاستعارة في قول امرئ القيس:

أَفَاطِمُ مَهْلاً بَعْضَ التَّدَلُّل وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي

أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي وَأَنَّكِ مَهْمَـا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَـلِ

قائلا: « ثم قوله: تأمري القلب يفعل معناه: تأمريني و القلب لايؤمر، والاستعارة في ذلـك غير واقعة ولا حسنة ... »[2] .

كما يعيب الاستعارة في قول البحتري:

يَتَنَاوَلُ الرُّوحَ البَعِيدَةَ مِثَالُهَا عَفْواً وَيَفْتَحُ فِي القَضَاءِ المُقْفَلِ

يقول: « أما "القضاء المقفل" وفتحه، فكلام غير محمود ولا مرضى:

واستعارة لولم يستعرها كانت أولى به»[3]، فهو يرى أن هاته الاستعارات غير واقعة وغير بلاغية لأنها ليست بديعة ويقول عبد الرؤوف مخلوف: « كما عرض الباقلاني للاستعارة، وان يطلق عليها اسم البديع حين تكون نادرة مبتكرة مستطرفة لم تسبق بمثيلة لها ... »[4]، كما نجده كثيرا ما ينتقد المعاني المكررة بكلمات مثل قوله: "ليس ببديع لتكرره على كل لسان"، و قوله: "فهو فيها تابع"، "وهو حديث مكرر"، "وأما المعنى الذي ذكره فليس بشيء مما سـبق إليـه ، وهو شيء مشترك فيه"، "ولكن لم يسبق إليه، بل هي دائرة في أفواه العرب وتشبيه سـائر .."، وهذا كله يثبت مذهبه في اشتراط الابتكار و التجديد في البديع .

3- تحدث في هذا الفصل عن فنون بلاغية سماها "بديعا" أسردها كالتالي:

الاستعارة، الكلمات الجامعة، و الألفاظ الفصيحة و الألفاظ الإلهية، والتشبيه، الغلو، والمماثلة، والمطابقـة، والتجنيس، والمقابلة، والموازنة، و المساواة، والإشارة، والمبالغة، و الإيغال، والتوشيح، ورد عجز الكـلام على صدره، وصحة التقسيم، والكناية، و التعريض، و لحن

---

[1] الباقلاني، إعجاز القرآن ، ص 59 .

[2] نفسه، ص 123 .

[3] نفسه، ص 169 .

[4] عبد الرؤوف مخلوف، من قضايا اللغة والنقد والبلاغة ، ص 330 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

القــول، و العكس، و التبديل، والالتفــات، والاعتراض و الرجوع، و التذييل، والاستطراد، والتكرار، و الاستثناء.

كما أنّه تحدث عن ألوان أخرى في فصل "في وصف وجوه البلاغة" وسرد الأقسام التــي حددها الرماني وتحدث عنها في رسالته "النكت في إعجاز القرآن الكريم" كمــا تحــدث عــن التلاؤم و التصريف و التضمين وحسن البيان ناقلا عن الرماني بتصرف، كما تناول السجع و موقفه منه في فصل خاص: « وهذه التسميات لم يذكرها مجرد الذكر بل يستشهد لكل لون من ألوانها بأبيات شعرية لأكثر من شاعر وكذلك بآيات قرآنية وقد يذكر أكثر من آية، فعمله يعتبر عملا منظما حيث يذكر الشاهد وينسبه إلى قائله ويذكر معنى الشاهد ... »[1].

4- لم يتعرض الباقلاني لجميع الفنون البلاغية، وهي كثيرة عنده وقد أشار إلى ذلك في قوله: « ووجوه البديع كثيرة جدا فاقتصرنا على ذكر بعضها، ونبهنا بذلك على مالم نــذكر كراهــة التطويل، فليس الغرض ذكر الجميع أبواب البديع... »[2] وهذا أمر متوقع، لأن الكتاب ليس في علم البلاغة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه حين يتعرض للفنون البلاغية، فذلك لغايــة كلامية عقيدية قصدها، وليست غاية بلاغية، فتناوله لمسائل البديع ليس مقصودا لذاته، وإنمــا هو وسيلة لمناقشة قضية الإعجاز، يقول: « إن سأل السائل فقال: "هل يمكن أن يعرف إعجاز القرآن من جهة ما تضمنه من البديع؟" قيل: ذكر أهل الصنعة ومن صنف في هذا المعنى مــن صفة البديع ألفاظا نحن نذكرها، ثم نبين ما سألوا عنه ليكون واردا على أمر مبــين مقــرر، وباب مصور »[3]، ومن باب تطبيق القاعدة الأصولية الكلامية "الحكم على الشيء فــرع عــن تصوره" وهي إحدى أهم القواعد المنطقية عند المتكلمين وهذا واضح من قوله: « ليكون الكلام واردا على أمر مبيــن وباب مصور»[4].

5- ما ذكره من ألوان البديع، منه ما عرض له بالتعريف والتمثيل، ومنــه مــا عــرض لــه بالتعريف فقط ومنه ما عرض له بالتسمية فقط، مبتدأ بأمثلة لا يسم الفن البلاغي فيها، ثم يذكر مع الأمثلة التي تليها اسم الفن مرة ويترك ذكره مرة أخرى ،معرفا الفن تارة وتاركــا تعريفــه تارة أخرى .

---

1 طاهر حيلس ، اتجاهات النقد العربي ، ص 239 .

2 الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص 80 .

3 نفسه ، ص 57 .

4 نفسه ، ص 57 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

6- كما أن كثيراً مما ذكره من أنواع البديع استعان فيه بما جاء عن الرماني خاصة في كتابه "النكت في إعجاز القرآن" دون ذكر اسمه، حيث نقل كثيراً مما قاله بلفظه تارةً، ومتصرفا فيه تلخيصاً وإيجازا تارة أخرى، معتمداً على أكثر أمثلته التي أوردها،وهذا ما يظهر بوضوح عند كلامه على التلازم، والتجانس، والتصريف، والتضمين، كما استعان بما قرره ابن المعتز وقدامه ابن جعفر، يقول عبد العزيز عتيق: « ثم نقل جملة من فنون البديع بعضها من كتاب-البديع- لابن المعتز وبعضها من نقد الشعر لقدامة ابن جعفر مع التمثيل لها من القرآن الكريم ومن منثور الكلام ومنظومه »[1].

7- يلاحظ من خلال فنون البديع التي ذكرها أنه ينظر إلى علوم البلاغة كفن واحد على مذهب المتقدمين، حيث تتداخل مباحث علوم البلاغة تحت اسم البديع أو البيان، وتذكر فنونها الثلاثة (المعاني، البيان، البديع) تحت مسمى إحداها يقول عبد العزيز عتيق: « ويلاحظ على فنون البديع التي خصها بالذكر هنا أنه سار في النظر إليها على مذهب المتقدمين من أمثال الجاحظ، وابن المعتز، وقدامة و أبي هلال العسكري، فقد سلك فيها بعض الفنون التي سارت فيما بعد من مباحث علم البيان كالاستعارة، والتشبيه، والكناية، والتعريض، والمماثلة .. »[2].

8- للبديع عنده مكانة معتبرة بين فنون البلاغة، فهو شيء أساس في بلاغة القول، ولا تتوقف أهميته على التزيين، والتحسين اللفظي فقط، يقول: «ولكن قد يمكن أن يقال في البديع الذي حكيناه وأضفناه إليهم وأن ذلك باب من أبواب البراعة وجنس من أجناس البلاغة »[3]. « وهو يؤمن بأن البديع غير المتكلف، الخالي من التصنع "كبديع القرآن" له تأثيره الحسن في الأسلوب، وهو باب من أبواب البراعة، وجنس من أجناس البلاغة... »[4]، إلا أنه لا يستقل ببيان الإعجاز وإن كان له فيه مدخلاً بالجملة وهي من مقتضياته يقول: « وإنما لم نطلق القول إطلاقاً لأنا لا نجعل الإعجاز متعلقا بهذه الوجوه الخاصة، وقفا عليها ومضافا، إليها، و إن صحّ أن تكون هذه الوجوه مؤثرة في الجملة، آخذة بحظها من الحسن والبهجة متى وقعت في الكلام على غير وجه التكلف المستبشع و التعمل المستبشع »[5].

---

1 عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة، ص 218 .

2 السابق، ص 219.

3 الباقلاني، إعجاز القرآن، ص84 .

4 المحمدي عبد العزيز، دراسات حول الإعجاز البياني، ص227.

5 الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 84 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

« والذي يبدو أن الباقلاني يريد أن يقول إن البديع الذي ملئ صنعة وتكلفاً كبديع أبي تمام لا يكون سبيلا لمعرفة الإعجاز النظمي في القرآن ... »[1].

9- المماثلة عنده ضرب من الاستعارة يقول في ذلك: « ومما يعدونه من البديع المماثلة وهـو ضرب من الاستعارة»[2]، وهو في هذا يتفق مع أبي هلال كما ذكر شوقي ضيف(ص 110).

1 المحمدي عبد العزيز ، دراسات حول الإعجاز البياني ، ص226.

2 الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص63 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

الفصل الثالث

موقف الباقلاني من السجع في القرآن وأثر الأشاعرة في توجيه آرائه

المبحث الأول:
أسلوب السجع

المبحث الثاني:

المبحث الثالث:
أثر عقيدة الأشاعرة في توجيه آراء الباقلاني

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

المـــبحـــث الأول

أسلوب السجع

يُعدّ موضوع السجع في القرآن الكريم من الموضوعات البارزة، التي تطرق إليها البلاغيون والمتكلمون من خلال بحوثهم في إعجاز القرآن الكريم وبلاغتـــه، وأســـباب فـــصاحته، إلاّ أنّ الخلاف فيه كان بين المتكلمين أظهر وأشد ،خاصةً منهم المعتزلة والأشاعرة لـــدوافع عقيديـــة دينية.

فمنهم من ذهب إلى أن السجع واقع في القرآن، وعدّه من أسباب الفصاحة وأركان البلاغة، ومنهم من نفاه عن القرآن وعدّه أسلوباً مذموماً ، يُنسب إلى الكهان وينـــزّه عنه القرآن.

وكان للباقلاني اهتمام خاص بهذا الموضوع، ونظرة متأنية وفاحصة تـــدل علـــى مقـــدار اهتمامه وعنايته به؛ إذ عقد له فصلاً خاصاً في كتابه "إعجاز القرآن" ذمّه فيه ونفاه عن القرآن الكريم، رغم شهرة هذا اللون البلاغي وتواجده واقعاً كظاهرة من مظاهر البلاغة العربية، فيـــا ترى ما هو دافع الباقلاني في تبنيه هذا الموقف؟ ولماذا نزّه القرآن الكريم عن الـــسجع؟ هـــل موقفه هذا مبني على نظرة أدبية نقدية بلاغية، أو هو موقف مبني على نظرة عقيدية كلاميـــة دفعه إليها شبهة عقيدية أو عصبية مذهبية؟ وما علاقة هذا الموقف بحقيقة السجع في عـــصره؟ وما علاقة كل ذلك بقضية الإعجاز؟

للإجابة على هذه الأسئلة، لابد أولاً من تحديد مفهوم السجع، خاصة في عـــصر البـــاقلاني وتحديد أنواعه، ثمّ تبيين موقفه منه وأدلته فيما ذهب إليه عرضاً ومناقشةً، بعد ذلك أنقـــل رأي موافقيه ومخالفيه مقارناً بينهما تحليلاً ومناقشةً، ليتسنى بذلك اكتشاف موقف البـــاقلاني بدقـــةٍ ووضوح أكبر، وبتحديدٍ وتركيزٍ أكثر.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

تعريـــف السجـــع:

لغـــــة: « س ج ع (سجعت) الحمامة سجعاً من باب نفع هدرت وصوتت، والسجع فـــي الكلام مشبه في ذلك لتقارب فواصله وسجع الرجل كلامه كما يُقال نظمـــه إذا جعـــل لكلامـــه فواصل كقوافي الشعر ولم يكن موزوناً »[1].

اصطلاحا:

عرّفه ابن الأثير بقوله هو: « تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد»[2]، وهو عند العلوي « اتفاق الفواصـــل في الكلام المنثور فـــي الحـــرف أو فـــي الـــوزن أو فـــي مجموعهما »[3].

وجاء في المعجم المفصل في البلاغة: « السجع طريقة في الإنشاء سارت منذ القديم فـــي النثر العربي، وراجت كثيراً في عصور التنميق مع ما راج من محسنات بديعية، وهي تقـــوم على اتفاق فاصلتي الكلام في حرف من التقفية ... »[4].

أنواعـــــه:

للسجع أنواع كثيرة تختلف بحسب جهة النظر إليه، وقد جمعهـــا بـــسيوني عبـــد الفتـــاح، ولخّصها تلخيصاً جيداً قائلاً: « وللسجع أنواع مختلفة بعضها يكون في النثر والشعر، وبعضها يختص بالشعر، فأنواعه المشتركة بين النثر والشعر ثلاثة:

1- **المطـــرف:** وهو ما اختلفت فيه الفاصلتان أو الفواصـــل وزناً واتفقت روياً، كمـــا في قوله تعالى: (**مَالَكُمْ لاَ تَرْجُونَ للهِ وَقَاراً. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً**) [نوح –آية13-14]، فـــوزن ((وقاراً)) يختلف عن وزن ((أطواراً)) والروي واحد وهو حرف الراء ... ومنه شـــعراً قـــول أبي تمام:

تَجَلَّى بِهِ رُشْدِي وَأَثْرَتْ بِهِ يَدِي وَفَاضَ بِهِ ثَمَدِي وَأَوْرَى بِهِ زِنْدِي

---

[1] أحمد بن محمد الفيومي المقري،المصباح المنير، ،(2003 ، القاهرة: دار الحديث)، ص161 .

[2] ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،ج 1 ، ص210 .

[3] يحي بن حمزة العلوي ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ، ج 3 ، ص18 .

[4] إنعام عكاوي،المعجم المفصل في علوم البلاغة،البديع والبيان والمعاني، ط2 ؛ 1996 ، بيروت دار الكتب العلمية) ، ص578 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

فرشدي ويدي: مختلفان وزناً، متفقان روياً، أما ((رشدي وثمدي وزندي)) فمتفقة في الروي والوزن معا، والمراد بالوزن هنا الوزن العروضِي لا الصرفي.

2- المرصع: وهو أن يكون ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثره مثل ما يقابله من الأخرى وزناً وتقفية ... كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ. وإِنَّ الفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ** ﴾[الانفطار-آية 13 - 14]. فالأبرار مثل الفجار (يعني وزناً)، ونعيم مثل جحيم، وزناً وتقفية ...

ومنه شعراً قول أبي فراس الحمداني:

وَأَفْعَالُنَا لِلرَّاغِبِينَ كَرَامَةٌ وَأَمْوَالُنَا لِلطَّالِبِينَ نُهَابُ

3- المتوازي: وهو ما اتفقت فيه الفاصلتان فقط وزناً و تقفية، كما في قوله تعالى: ﴿ **فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ. وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ** ﴾[الغاشية -آية 13-14؟] فإن ((مرفوعة)) و ((موضوعة)) متفقتان وزناً وروياً.

ومنه شعراً قول المتنبي:

فَنَحْنُ في جَذَلٍ وَالرُّوم في وَجَلٍ وَالبَرُّ في شُغلٍ وَالبَحْرُ في خَجَلٍ

فالشطر الأول مسجوع سجعاً متوازياً ، والشطر الثاني من السجع المرصع.

فإن اتفقت الفاصلتان في الوزن دون القافية سمي هذا باسم (الموازنة) كقوله تعالى: ﴿ **وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ. وَ زَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ** ﴾[الغاشية-آية 15- 16]، فلفظا (مصفوفة ومبثوثة) متفقان في الوزن لا في القافية، فالأولى على الفاء والثانية على الثاء وهما حرفان متقاربان لا متفقان.

4- المماثلة: ذكر هذا النوع بعد السابق قائلاً : «... فإن كان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيهما مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن دون القافية خصّ باسم المماثلة كقوله تعالى: ﴿**وءاتَيْنَاهُمَا الكِتَابَ المُسْتَبِينَ. وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ** ﴾[الصافات -آية 117- 118] .

ومنه شعراً قول أبي تمام:

مَهَا الوَحْشِ إلاَّ أنَّ هَاتَا أوانِسُ قَنَا الخَطِّ إلاَّ أنَّ تِلْكَ ذَوَابِل

وقول البحتري:

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

فَأَحْجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَعاً وَأَقْدَمَ لَمَّالَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَباً»[1].

ثم ذكر أنواعه الخاصة بالشعر قائلاً: « و أما أنواعه الخاصة بالشعر فهي:

1- التشطـــير: وهو أن يجعل كل شطر من شطري البيت سجعتان بحيث تختلف سجعتا كـــل شطر عن سجعتي الشطر الآخر في القافية ...

كما في قول أبي تمام:

تَدْبِيرُ مَعْتَصِمٍ بِاللهِ مُنْتَقِمُ لِلهِ مُرْتَقِبٌ فِي اللهِ مُرْتَغِبُ.

2- التصريـــع: وهو جعل كل شطر من شطري البيت فقرة، فتكون العـــروض مقفـــاة تقفيـــة الضرب، وهذا النوع يحسن في أول أبيات القصيدة، وعند الانتقال مـــن غـــرض إلـــى آخـــر كالانتقال من النسيب إلى المديح وفيما عدا هذين الموضوعين، يحسن ما قل منه دون ما كثـــر ...

ومن شواهده قول أبي فـــراس:

بِأَطْرَافِ المُثَقَّفَةِ العَوَالِي تَفَرَّدَنَا بِأَوْسَاطِ المَعَالِي

3- أن يكون غير مصروع ولا مشطور ... كما في قول الخنساء:

حَامِي الْحَقِيقَةِ مَحْمُودُ الْخَلِيقَةِ مَهْـــ ـــدِيُ الطَّرِيقَةِ نَفَّاعٌ وَضَـــرَّارُ »[2].

أنواع السجع من حيث طول الفقر وقصرها:

يقول بسيوني عبد الفتاح:«والسجع على اختلاف أنواعه ينقسم مـــن حيـــث طـــول فقـــره وقصرها إلى قسمين:

1- سجع قصير.

2- سجع طويل.

فالقصير: ما كان مؤلفا من ألفاظ قليلة إذ يبدأ بكلمتين وينتهي إلى تسع كلمـــات أو عـــشر ...كما في الآيات الكريمة﴿ **وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفاً. فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً** ﴾ [المرسلات –آية 1- 2] ....

و الطويل: ما كان مؤلفا من ألفاظ طويلةوتتفاوت درجاته في الطول إذ يبدأ من إحدى عشر لفظة، وينتهي على عشرين فما فوقها، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنّا رَحْمَةً ثُـــمَّ**

---

1 بسيوني عبد الفتاح ، علم البديع ، ص252 – 253-254 . بتصرف يسير

2 بسيوني عبد الفتاح ، علم البديع ، ص 254 – 255 . بتصرف يسير .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ. وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود آية9-10]...

ويرى البعض « أنّ السجع من حيث طول فقره وقصرها ثلاثة أقسام: طويل ووسط وقصير، فالقصير يبدأ بكلمتين وينتهي إلى أربع كلمات والوسط يبدأ من خمس إلى عشر والطويل ما فوق ذلك ... »[1].

أنواع السجع من حيث تساوي فقره وعدم تساويها:

يقول بسيوني عبد الفتاح:« والسجع قد تتساوى فقره كما في قوله تعالى: ﴿ **فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ. وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ. وَظِلٍ مَمْدُودٍ** ﴾ [الواقعة –آية 28- 30] ...

وقد تطول الفقرة الثانية طولاً لا يخرج بها عن حد الاعتدال كقوله تعالى: ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ . وَمَا غَوَى**﴾ [النجم –آية 1- 2] وقد تتساوى الأولى والثانية وتطول الثالثة كقوله تعالى: ﴿**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ. ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ** ﴾ [الحاقة –آية 30- 31]، وقد تكون الثانية أقصر من الأولى قصراً يسيراً كقوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ** ﴾[الفيل آية 1-2..»[2] .

---

[1] السابق ، ص255 – 256 . بتصرف يسير .

[2] بسيوني عبد الفتاح ، علم البديع ، ص256 – 257 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

شروط السجع:

وضع بعض علماء البلاغة للسجع شروطاً لا يرونه حسناً بدونها، فقد ذكر ابن الأثير وحمزة العلوي والعسكري[1] وغيرهم شروطاً ينبغي أن تتحقق وتتوفر حتى يكون السجع حسناً، فإذا اختلت أو أحدها لا يكون السجع حسناً وتلك الشروط هي:

– أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة رنانة لا غثة باردة.

– أن تكون التراكيب أيضاً صافية حسنة رائقة خالية من الغثاثة، وذلك أن المفردات قد تكون حسنة، ولكنّها عند التراكيب تفقد هذا الحسن، ولذا شرط في التراكيب ما شرط في المفرد، ومعنى الغثاثة والبرودة التي ينبغي أن تخلو منها الألفاظ والتراكيب أن يهتم المتكلم بالسجع ويهمل الألفاظ والتراكيب فتأتي غثة باردة.

– أن يكون اللفظ فيه تابعاً للمعنى، لا أن يكون المعنى تابعاً للفظ وإلاّ كان كظاهر مموه على باطن مشوه، يقول الجرجاني: « وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً ولا سجعاً حسناً، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه »[2].

– أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلّت عليه أختها، فإذا كان المعنى فيهما سواء فذلك هو التطويل بعينه، لأن التطويل إنّما هو الدلالة على المعنى بألفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها ...

وقد جمع السيد الهاشمي هذه الشروط في قوله: « ولا يحسن السجع إلا إذا كانت المفردات رشيقة، و الألفاظ خدم المعاني، ودلت كل من القرينتين على معنى غير ما دلت عليه الأخرى، وحينئذٍ يكون حلية ظاهرة في الكلام »[3].

---

[1] يُنظر : ابن الأثير ، المثل السائر ج1، ص276 – 279 .

: يحي العلوي ، الطراز ج3، ص23–27 .

: العسكري، الصناعتين، ص 261 وما بعدها.

[2] عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ،ص6 .

[3] السيد احمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، إشراف صدقي جميل ، (بيروت:دار الفكر 2003 ؛ ص352.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

بـــين الفاصلـــــة والسجـــــع والقـــافيـــــة

هناك كلمات تتردد كثيراً في باب السجع كالفاصلة والقافية يحسن بي أن أقف على المـــراد منها:

الفاصلة:

تعريفها:

لغة: جاء في المعجم المفصل « الفاصلة: جمع فواصل: الخرزة تفصل بين الخرزتين فـــي العقد، والفواصل هي مقاطع القرآن ولا تسمى سجعاً ولا قوافي ... »[1].

اصطلاحا: عرفها أحمد ياسوف بقوله: « أما الفاصلة اصطلاحاً، فهي كلمـــة آخـــر الآيـــة، كقافية الشعر، وقرينة السجع، وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب، لتحسين الكلام بهـــا، وهي الطريقة التي يُباين القرآن بها سائر الكلام.

وتسمّى فواصل، لأنه ينفصل عندها الكلامـــان، وذلك أن آخرَ الآية فصل بينها وبين ما بعدها ... »[2].

ويظهر أن مهمة الفاصلة القرآنية هي غير مهمة السجع، وذلك أن السجع مهمتـــه لفظيـــة لتنسيق أواخر الكلمات ليتحقق تلاؤمها اللفظي، في حين أنَّ مهمة الفاصلة مهمـــة لفظيـــة ذات معنى فلا نجد تفريطاً في الألفاظ على حساب المعاني، ولا إهمالا فـــي المعـــاني مـــن أجـــل الألفاظ؛ لهذا فقيمتها أرفع من قيمة السجع وإن اتّفقا من الناحية الصوتية.

يقول أحمد ياسوف: « تقوم الفاصلة القرآنية بدور الإحكام، فتربط بـــالمعنى الكلـــي الـــذي يسبقها في الآية ذلك إضافة إلى ترنيمها الموسيقي الواضح ، فهذا الإحكام يتّسم بوظيفتين فـــي الشكل والمضمون»[3].

وهذا ما أكّده الرمّاني في تعريفه للفاصلة، حيث لمحّ إلى أنّها أسمى قيمة وأعلى مكانة من السجع، وذلك في قوله: « الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، توجب حُسن إفهام المعـــاني،

---

[1] إنعام عكاوي ، المعجم المفصل في علوم البلاغة ، ص578 .

[2] أحمد ياسوف ، جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، (ط:1 ؛ دمشق : دار المكتبي للطباعة)، ص309 .

[3] السابق ، ص 309 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، وذلك لأن الفواصل تابعة للمعاني،وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها،وهو قلب ما توجبه الحكمة في الدلالة »[1].

مثال لقيمة الفاصلة في إثبات الأحكام الشرعية وتوضيحها:

للفاصلة القرآنية دور كبير في إثبات المعاني وتقريرها، فهي من أهم أساليب القرآن الكريم في تأسيس الأحكام وتشريعها، ولنتدبر معاً ما أضافته الفواصل في آيات تتعلق بموضوع مهم مرتبط بتوحيد الله عز وجل، وله علاقة وثيقة بتحقيق توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، بل هو أحد أسباب إنزال الكتب وإرسال الرسل، وهل من شيء أعظم من تحكيم أمر الله واتباع دينه إقامةً للعدل وخضوعاً للخالق تبارك وتعالى.

يقول عبد العزيز كامل بعد بيانه لأهمية موضوع الحكم و التحاكم في خطاب الوحي، وتقريره لاستخدام القرآن الفاصلة كأسلوب لإبراز تلك الأهمية: « اذكر بعض النماذج للفاصلة القرآنية في الآيات المتعلقة بالحكم و التحاكم، مبيّناً كيف أن استعمال الفواصل القرآنية والتذييل يكتسب بهما الكلام قوة و جزالة وزيادة في المعنى المراد تقريره في الآية، مع بيان تضمن الفاصلة لما قبلها »[2] . فمن ذلك: قوله تعالى ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ** ﴾ جاء تذييل الآية ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾[المائدة – آية50]، لأن في مبدأ الآية إنكار من الله تعالى على من خرج على حكمه المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر عادلاً عنه إلى شرائع الجاهلية، ثم أعقب هذا الإنكار بقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾:« أي ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه، وآمن به، وأيقن وعلم أنَّ الله أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها فإنه تعالى هو العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العادل في كل شيء. »[3].

فالتذييل في الآية « يوجه أنظار أهل الإيقان والتدبر لان يعملوا العقول ويتدبروا بأنظارهم فيتعلمون يقيناً أن حكم الله عز و جل أحسن الأحكام وأعدلها »[4].

---

[1] الرماني علي بن عيسى ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآني.للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني.حققها وعلق عليها.محمد خلف الله.ومحمد زغلول سلام.(ط:4 ؛ دار المعارف ، 1991) ، ص97 .

[2] عبد العزيز كامل ، الحكم و التحاكم في خطاب الوحي،(ط:1 ؛ الرياض:دار طيبة للنشر، 1995)،ج1 ،ص 130

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،إشراف محمود الأرناؤوط،،(ط:1؛ بيروت:دار صادر، 1999)ج 2 ، ص201.

[4] عبد العزيز مصطفى كامل ، الحكم و التحاكم في خطاب الوحي ، ص134 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

ونظرة في كتب التفسير تبرز مدى الأهمية الكبرى التي تضفيها الفواصل القرآنية على الأحكام ومعانيها تأسيساً وتأكيدا بياناً وتوضيحاً .

الفقرة والقرينة :

أما بالنسبة للفظتي الفقرة والقرينة فيقول بسيوني عبد الفتاح:« والفقرة والقرينة بمعنى واحد وهي الجملة التي تنتهي بالفاصلة، فمثلاً قوله تعالى: ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ** ﴾[القمر –آية1-3]الفاصلة كلمة "القمر" في الآية الأولى، و "مستمر"في الآية الثانية، والقرينة أو الفقرة: الآية كلها، كل آية فقرة أو قرينة »[1].

آثـــار السجـــع علـــى اللغـــة والأدب:

يعد السجع ظاهرة من مظاهر البلاغة ولون من ألوانها، وهو « كغيره من ألوان البلاغة إنّما يستحسن ويُستجاد إذا صدر عن طبع وجاء عفوًا وقاد إليه المعنى، أمَّا إذا تُكلِف وتصنِّع وصارهو الذي يقود إلى المعنى، فإنّه يستقبح ويعاب ويُردّ على قائله »[2].

ومن هنا كان له في الواقع آثار إيجابية وأخرى سلبية على حسب صدوره، يمكن أن إجمالها فيما يلي:

01 – :

– بما أن السجع لونٌ من ألوان التعبير العربي فهو يُظهر جانباً من جوانب الذوق الفني والجمال اللفظي من جهة، ويبرز مدى تأثر اللغة بازدهار الحضارة وتطور الحياة العربية من جهة أخرى،وهذا ما تؤكده قوة ظاهرة السجع في القرن الرابع الهجري .

– تصوير قوة التعبير العربي، وقدرته على التفنن في استخدام اللغة كأداة للتعبير عن الفكر والشعور معاً.

– إظهار شاعرية اللغة وشاعرية الإحساس لدى الشاعر، أو الناثر العربي .

– المساهمة في حفظ نصوص من النثر العربي؛ لأن الناس يستسيغون ويستسهلون حفظ المسجوع.

– أدى شيوع السجع إلى ابتكار نظام القافية في صنع المعاجم بطريقة ترتيب الكلمات بحسب أواخر حروفها الأصلية.

---

[1] بسيوني عبد الفتاح ، علم البديع ، ص251 .

[2] نفسه ، ص260 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

02 – الآثار السلبية :

لا تخلو هذه الظاهرة من آثار سلبية انعكست في صور أذكر منها:

– اتخاذ السجع وسيلة للتعويض عن ضعف التعبير الشعري، لمّا ضعفت الملكات البيانية لدى بعض الكتاب.

– الاشتغال بالتسجيع والتزيين اللفظي عن إعمال الفكر وإنتاج الأعمال الفكرية ذات القيمة الإبداعية ، فخلصت العناية للفظ على حساب المعنى، يقول زكي مبارك: « فنحن نرى السجع قيداً يعطّل حركة الفكر والعقل في كثير من الأحيان»[1].

– تصوير التراث النثري العربي على أنّه لون من ألوان العبث واللّهو بالألفاظ، الذي لا فائدة من ورائه؛ مما فتح الباب أمام المغرضين لتقديم النثر العربي كصورة من صور ضعف اللسان العربي وفساده.

- تراجع الكتّاب و تزهيدهم في هذا اللون البلاغي بسبب الإفراط فيه إذ « صار من خصائص النثر الفني في القرن الرابع، وأنّ كتابه لا يتحررون من السجع إلا إلى فن قريب منه هو الازدواج، ولم يخرج من كتاب هذا العصر إلى الحرية في الصياغة إلا عدد قليل»[2] وهو من الأسباب التي دفعت إلى ذمّه كما سيأتي عند الباقلاني.

---

[1] زكي مبارك ، النثر الفني ،ص121 .

[2] زكي مبارك ، النثر الفني ،ص137 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

المبحث الثاني

مناقشة رأي الباقلاني في السجع

موقف الباقلاني من السجع:

أشرت سابقاً إلى أنَّ الباقلاني عقد في كتابه "إعجاز القرآن" فصولاً بلاغية؛ كفصل (ذكر البديع من الكلام) وفصل: (في وصف وجوه من البلاغة) كما عقد فصلاً لبحث موضوع (نفي السجع عن القرآن الكريم).

أعرب الباقلاني في هذا الفصل الأخير عن رأيه، ورأي أصحاب مذهبه –الأشاعرة– ومخالفيهم في قضية السجع في القرآن قائلاً:« ذهب أصحابنا كلهم إلى نفي السجع في القرآن. وذكره أبو الحسن الأشعري في غير موضع من كتبه، وذهب كثير ممن يخالفهم إلى إثبات السجع في القرآن ... »[1].

وبعد ما ذكر شيئاً من أدلتهم سعى إلى نقض آرائهم وتفنيدها بأدلة رآها تدعم مذهبه ، وقد أوجز أدلتهم بقوله : « وزعموا أن ذلك مما يبين به فضل الكلام. وأنّه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان، والفصاحة كالتجنيس، والالتفات وما أشبه ذلك من الوجوه التي نعرف بها الفصاحة، وأقوى ما يستدلون به عليه اتفاق الكل على أنّ موسى أفضل من هارون عليهما السلام، ولمكان السجع قيل في موضع (**هَارُونَ وَمُوسَى**) ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل (**مُوسَى وَهَارُونَ**) قالوا: هذا لا يفارق أمر الشعر؛ لأنّه لا يجوز أن يقع في الخطاب إلاّ مقصوداً إليه.

وإذا وقع غير مقصود إليه، كان دون القدر الذي يسمى شعراً. وذلك القدر ما يتفق وجوده من المفحم، كما يتفق وجوده من الشاعر. وأما ما في القرآن من السجع فهو كثير، لا يصح أن يتفق كله غير مقصود إليه وهذا الذي يزعمونه غير صحيح ... »[2].

مضى بعد ذلك في بيان أسباب وأدلة رد قولهم والتي جعلها قسمين على شكل رد مجمل وردّ مفصّل على طريقة المتكلمين ، ويمكن تلخيص أدلته الإجمالية فيما يلي:

---

[1] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص50 .

[2] نفسه ، ص50 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

– لو كان في القرآن سجع « لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلاً فيهـا،لم يقع بذلك إعجاز. ولو جاز أن يقال سجع معجز لجاز لهم أن يقولوا شعرٌ معجز»[1].

– أن السجع من الكلام الذي ألفه الكهان من العرب وتعاطوه، فنفيه من القرآن أولـى مـن نفي الشعـر « لأن الكهانة تنافي النبوات، وليس كذلك الشعـر»[2].

– ذم النبي r للسجع ونهيه عنه فقد « روى أن النبي r قال للذين جاؤوا وكلموه في شأن الجنين:كيف ندي من لا أكل ولا شرب ولا صاح. فاستهل: أليس دمُّه قد يطل؟ فقال "أسـجاعة كسجاعة الجاهلية؟ وفي بعضها أسجع كسجع الكهان؟" »[3].

فنهي النبي r عنه دليل على قبحه، فلا يكون منه شيءٌ في القرآن الكريم مع هذا الحال.

– أنَّ الذي يقدّرونه سجعاً مجرد وهم، قد يشبه السجع«لأنَّ السجع من الكلام يتبع المعنـى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع، وليس كذلك ما اتفق مِمَّا هو في تقدير السجع مـن القـرآن، لأن اللّفظ يقع فيه تابعاً للمعنى »[4]، وفرقٌ بين هذا وذاك.

– لو تُنـزّل مع المخالف وسُلِّم بوقوع شيءٍ من السجع في بعض المواضع مـن القـرآن الكريم للتحسين، أو الاستراحة في الخطاب، لم يُعد ذلك سجعاً لندرته وعدم القصد إليه، كما أنَّ العارض من البيت الواحد والمصراع ... لا يقال إنّه شعر لأنّه غير مقصود إليه.

– كما يُقال: « لو كان القرآن على ما تقدِّرونه سجعاً، لكان مذموماً مرذولاً؛ لأنَّ السجع إذا تفاوتت أوزانه، واختلفت طرُقه، كان قبيحاً من الكلام. »[5]، فـلا يجـوز أن يقـع مثـل هـذا الاضطراب والتفاوت، في فصاحة القرآن.

– لو كان القرآن سجعاً لما تحيّر العرب فيه، و لعارضوه حين تحدّاهم « لأنَّ السجع غيـر ممتنع عليهم، بل هو عادتهم »[6]، فلّما تركوا معارضته عُلِمَ أنّه مخالف لسائر كلامهم وخـارج عنه.

---

[1] نفسـه ، ص51 .

[2] نفسـه ، ص51 .

[3] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص51.

[4] نفسـه ، ص51 .

[5] نفسـه ، ص52.51 .

[6] نفسـه ، ص53 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

ولما انتهى من إيراد الأدلة الإجمالية عمد إلى شيءٍ من التفصيل قائلاً: « ونحن نذكر بعد هذا في التفصيل، ما يكشف عن مباينة ذلك وجوه السجع »[1]، وبدأ في الجواب التفصيلي بضرب مثال لسجعهم بقول أبي طالب، وقرّر مخالفة طريقة القرآن لهذا السجع،كمخالفته للشعر وسائر أصناف كلامهم الدائر بينهم، ثمّ بدأ بتفنيد أدلتهم وأقوالهم قائلاً:

– «وأمَّا ما ذكروه من تقديم موسى على هارون عليهما السلام في موضع، وتأخيره عنه في موضع لمكان السجع، ولتساوي مقاطع الكلام ، فليس بصحيح. لأنّ الفائدة عندنا غير ما ذكروه، وهي أن إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحد من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة، وتتبين فيه البلاغة. و أعيد كثيرٌ من القصص في مواضع مختلفة على ترتيبات متفاوتة، ونبهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومكرراً، ولو كان فيهم تمكن من المعارضة لقصدوا تلك القصة فعبّروا عنها بألفاظ لهم تؤدي معناها، وتحويها، وجعلوها بإزاء ما جاء به،وتوصلوا بذلك إلى تكذيبه ومساواته فيما جاء به»[2].

فالتنوع في الآية ليس لقصد السجع وإنّما هو لون من ألوان الإعجاز وسبب من أسباب الفصاحة؛ لأن تكرار القصة بألفاظ مختلفة والمعاني واحدة من الأمور الصعبة التي تظهر فيها قوة البيان والفصاحة.

– أنّ لازم قولهم يؤدي إلى القول بالصرفة؛ لأن من جوّز وقوع السجع في القرآن لا بد أن يذهب إلى أنّه ليس في نظمه إعجاز وإنّما صُرف الناس عن الإتيان بمثله: « ولا بدّ لمن جوّز السجع فيه، وسلك ما سلكوه من أن يسلم ما ذهب إليه النظام، وعبّاد بن سلمان، وهشام القرظي، ويذهب مذهبهم في أنّه ليس في نظم القرآن وتأليفه إعجاز،وأنّه يمكن معارضته، وإنّما صُرفوا عنه ضرباً من الصرف ... »[3].

– عدم إلتزام القرآن السجع في جميع آياته دلّ على أنّه –السجع– من الأساليب غير المحمودة.

– يستلزم من القول بوقوع السجع في القرآن وقوع الخبط في أسلوبه، يقول الباقلاني: « ويتضمن كلامه تسليم الخبط في طريقة النظم ... ويستهين ببديع نظمه وعجيب تأليفه الذي

---

[1] نفسه ، ص53 .

[2] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص53.54.

[3] نفسه ، ص ، 56 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

وقع التحـــــدي إليه ... »[1]، لأن واقع كلامهم منتظم من أنواع مختلفة متباينـــة، فـــإذا قـــالوا بوقوع ذلك في القرآن لزم عدم ظهور فاصلة بين نظمي الكلامين.

هذا مجمل ما ذهب إليه الباقلاني من أدلة ساقها لدعم رأيه، وتفنيد رأي مخالفيه وتدور في أغلبها على أصله الأول، وهو مخالفة أسلوب القرآن الكريم لأساليب كلام العـــرب وخروجـــه عنها، وهي القضية التى شغلت بال الباقلاني على امتداد صفحات كتابه.

[1] نفســـه ، ص ، 56 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

الآراء المؤيدة لمذهب الباقلاني في نفي السجع عن القرآن الكريم:

لم ينفرد الباقلاني والأشاعرة وحدهم في مذهبهم نفي السجع عن القرآن الكريم، بل سبقهم غيرهم ممن لهم اسهام و اهتمام بعلوم القرآن أو علوم البلاغة، و قبل تحليل أدلة الباقلاني وحججه فيما ذهب إليه يحسن بي أن أشير إلى أشهر الذين ذهبوا إلى قوله وأيّدوه في رأيه، سواء في ذلك من عاصره أو جاء بعده أو حتى من الذين قالوا بهذا القول قبله.

ذكر محمد الحسناوي أنّ:« هناك ثلاث جبهات متباينة على الأقل حول مسألة السجع، والسجع في القرآن الكريم، فجهة تثبت السجع في القرآن الكريم، وأخرى تنفيه، وثالثة تمسك عن هذا أو ذاك ... »[1].

وبعد ما ذكر الذين أمسكوا عن إبداء رأي في المسألة انتقل إلى ذكر نُفاة السجع مطلقاً، وعدّهم من المغالين ثم ثنّى بذكر نُفَاتِه عن القرآن –خاصة– قائلاً: « وفريق آخر انصرف إلى نفي السجع من القرآن بخاصة، على اختلاف المذاهب والأزمان، مثل المتكلمين أبي الحسن الأشعري(ت324هـ) وأبي بكر الباقلاني (ت403هـ) من الأشاعرة، و المعتزلي علي بن الحسن الرماني (ت384هـ)، وابن خلدون (ت 808هـ)، وبهاء الدين السبكي (ت773هـ)، وأبي يعقوب المغربي (ت1005هـ)، وسعد الدين التفتازاني (ت793هـ)، ومن المتأخرين محمد أحمد الغمراوي (ت1391هـ)، وعبد الكريم الخطيب، وعبد الحميد حسن والدكتورة عائشة عبد الرحمان ... »[2].

وممن نفى السجع عن القرآن الكريم أيضاً أبو حامد الغزالي، وأورد حديثاً في النهي عنه حتى في الدعاء؛ فقد ذكر أن من آدابه « أن لا يتكلف السجع في الدعاء فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه قال r: ((سيكون قوم يعتدون في الدعاء)) وقد قال الله عز وجل: ﴿ **ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ [الأعراف –آية 55]قيل معناه التكلف للإسجاع ... »[3].

فجعل السجع بمعنى الإعتداء في الدعاء وبالتالي ينافي آداب الدعاء، التي ينبغي أن يكون فيها الإنسان على سجيّته غير متكلف ولا لاه.

---

[1] محمد الحسناوي ، الفاصلة في القرآن الكريم (ط:2 ؛ عمان : دار عمار للنشر ، 2000) ، ص100 .

[2] نفسه، ص101.102 .

[3] أبوحامد الغزالي ، إحياء علوم الدين تعليق طه سعد، (ط:1 ؛ القاهرة : مكتبة الصفا ، 2003)، ج1 ص367.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

ولعلّ هؤلاء هم أشهر من ذهب إلى هذا الرأي، وأدلتهم في الجملة لا تخرج عمّا ذهب إليه ه محمد الحسناوي عن التفتازاني والسبكي من أدلة ومنها:

1- قولهم: « لا يقال في القرآن أسجاع ، رعاية للأدب وتعظيماً وتنزيهاً له، عن التصريح بما أصله في الحمام التي هي الدواب العجم.

2- لا يقال في القرآن أسجاع لعدم الإذن الشرعي.

3- لا يقال في القرآن الكريم أسجاع ، بل إنّما يُقال : فواصل ، لقوله تعالى﴿ **كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ** ﴾ [فصلت -آية 3] »[1].

وهذه الأدلة نفسها نقلها السيوطي في جواب على قولهم: « هل يجوز أن يقال في فواصل القرآن أسجاع أم لا؟ والأدب المنع لقوله تعالى: ﴿ **كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ** ﴾ فسماه فواصل فليس لنا أن نتجاوزه، ولأنه يشرف عن أن يشارك الكلام الحادث في اسم السجع، ولأن السجع في الأصل هدير الحمام ونحوه، والقرآن يشرف عن أن يستعار له لفظ في أصل الوضع لطائر... »[2].

آراء معارضي الباقلاني وأدلتهم:

ذكر محمد الحسناوي أن القائلين بالسجع في القرآن على فريقين وفريق تابع من سبقه من غير تعليل أو تحديد وفريق علّل لموقفه قائلاً: « وفي فئة الذين قالوا بالسجع في القرآن الكريم نلتقي بفريق يتابع من سبقه، فيعرض الخلاف، ويمثل للسجع أو لفروعه بشواهد من القرآن ، من غير ما أصالة أو تعليل كبير، مثل الفقيه الشافعي الأصولي أبي عبد الله الزركشي (ت794هـ) والأديب القلقشندي (ت821هـ) والبلاغي ابن حجة الحموي (ت837هـ) والحافظ جلال الدين السيوطي (ت911هـ) والناقد الدكتور أحمد أحمد بدوي.

أمّا الذين قالوا بالسجع أصالة أو تعليلاً فمنهم -كما مر- البلاغي أبو هلال العسكري (ت395هـ) ثم ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) والبلاغي أبو يعقوب السكاكي (ت626هـ)، والناقد ابن الأثير (ت637هـ)، و المعتزلي ابن أبي الحديد (ت655هـ)، والناقد حازم القرطاجني (ت684هـ)، والعالم ابن النفيس (ت687هـ)،والإمام الزيدي يحي بن حمزة

[1] محمد الحسناوي ، الفاصلة القرآنية ، ص111 .

[2] السيوطي ، شرح عقود الجمان ، ص150 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

العلوي (ت745هـ)، وابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، وأحمد شوقي (ت1351هـ)، وأحمد الهاشمي (ت1362هـ)، و الدكتور إبراهيم أنيس والدكتور محمد زغلول سلام والدكتور عبد الرؤوف مخلوف، ومحمود رزق سليم، وأحمد إبراهيم موسى، والسيد أحمد صقر، ومحمد الصادق عرجون، والدكتور محمد رجب البيومي، وكارل بروكلمان، وأنيس المقدسي »[1].

يقول عمر السلامي بعد ذكره لبعض الذين نفوا أو أيدوا وجود السجع في القرآن: «وغير هؤلاء من الجانبين في التأييد والنفي كثيرون يعثر عليهم بالاستقراء ... »[2].

حجج الذين قالوا بسجع القرآن

أما عن أدلة القائلين بسجع القرآن، فأحاول نقل شيئ من أقوالهم وحججهم فيما يلي، يقول العسكري: « جميع ما في القرآن مما يجري على التسجيع والازدواج مخالف في تمكين المعنى وصفاء اللفظ وتضمن الطلاوة والماء لما يجري مجراه من كلام الخالق»[3]، ثمّ أورد كثيراً من الآيات المسجوعة ومثلها من الأحاديث النبوية، مبيناً أنّ حديث سجع الكهان غير مقصود به النهي عن السجع مطلقاً، إنّما المقصود هو المتَكَلَّف كتكلف الكهان، فإذا خلا من التكلف كان حسناً مقبولاً، يقول: «فكل هذا يؤذن بفضيلة التسجيع على شرط البراءة من التكلف والخل من التعسف »[4].

ومثله ابن سنان الخفاجي الذي يقول: « والمذهب الصحيح أن السجع محمود إذا وقع سهلاً متيسراً بلا كلفة ولا مشقة، وبحيث يظهر أنّه لم يُقصد في نفسه، ولا أحضره إلاّ صدق معناه دون موافقة لفظه، ولا يكون الكلام الذي قبله إنّما يتخيل لأجله، وورد ليصير وصلة إليه.. »[5].

ويعلل ابن الأثير موقف نفاة السجع بعجزهم عن الإتيان به وأنّه لو « كان مذموماً لما ورد في القرآن الكريم، فإنّه قد أتى منه بالكثير، حتى أنّه ليؤتى بالسورة جميعاً مسجوعة، كسورة الرحمان، وسورة القمر ، وغيرهما، وبالجملة فلم تخل منه سورة من السور... »[6]، ثم يُدلل

---

[1] محمد الحسناوي ، الفاصلة القرآنية ، ص103. 104. 105 .

[2] عمر السلامي ، الإعجاز الفني في القرآن ، (ط:1 ؛ تونس : مطبعة الكتاب ، 1980) ، ص229 .

[3] أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 260 .

[4] نفسه، ص261 .

[5] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة ، ص 164 .

[6] ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، حققه كامل محمد عويضة، (ط:1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1998) ج1 ، ص 190 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

على قوله بأمثلة من القرآن والحديث النبوي ويعلق على حديث النهي عن السجع بكلام قريب من كلام أبي هلال العسكري وينتهي إلى أنّ السجع: «إذا كان محمولاً على الطبع غير متكلف فإنّه يجيء في الغاية الحسن، وهو أعلى درجات الكلام، وإذا تهيأ للكاتب أن يأتي به في كتابته كلها على هذه الشريطة فإنّه يكون قد ملك رقاب الكلم، يستعبد كرائمها ، ويستولد عقائمها وفي ذلك فليتنافس، وعن مقامه فليتقاعس ... »[1].

كما يُنكر حازم القرطاجني على من يعيب السجع مؤكداً وجوده في القرآن قائلاً: «وكيف يعاب السجع على الإطلاق وإنّما نزل القرآن على أساليب الفصيح من كلام العرب؟ فوردت الفواصل فيه بإزاء ورود الأسجاع في كلام العرب ... »[2].

ويعلل يحيى بن حمزة العلوي إنكار الرسول r على من استخدم السجع بقوله « إنّما أنكر سجعاً مخصوصاً هو سجع الكهان ... فلا يمكن ترك هذا الأسلوب من الكلام لقصة عارضة من جهة الرسول يمكن حملها على وجه لائق... »[3].

وقد عرض محمد الحسناوي حجج من ذهب إلى القول بوجود السجع في القرآن،وسألخص أهمها من كلامه بتصرف يسير: «

- السجع ليس عيباً بذاته، فمنه ما يأتي طوعاً سهلاً وتابعاً للمعاني .
- سماعة من قبل النبي r في ما كان يسمعه من شعر .
- النهي عن السجع "المتكلف" يقصد به المتكلف منه، خاصة ما كان من اتخاذه وسيلة للكهانة والعرافة لاسيما والعهد كان قريباً بالجاهلية .
- وقوعه في القرآن الكريم بهذه الكثرة لا يمكن أن يقع لغير قصد إليه .
- لاسبب للفصل بين الفاصلة والسجع، فالفاصلة أو السجعة في القرآن تؤدي دورها تماماً، كما تؤديه في غيره من الكلام الفني الجميل .
- اتفاق الكل على أن موسى أفضل من هارون عليهما السلام ولمكان السجع قيل في موضع "هارون وموسى" ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل "موسى وهارون"، فالتخالف في التعبيرين إنّما هو لتحقيق السجع .

---

[1] نفسه ، ج1 ، ص194 .

[2] حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص 388 .389 .

[3] يحي بن حمزة العلوي ، الطراز ،ج3 ، ص20. 21 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

– في وصف القرآن بأنّه من نوع كلامهم وهو مع هذا معجز لهم، يسموا بأدب القرآن إلى الذروة، ويجعل إعجازه وتحديه لفصحاء العرب ذا مغزى سام جليل، وهذا خير من وصفه بأنّه خارج عن كل مناهج كلام العرب .

– لا مانع من أن يكون السجع معجزاً مادامت تحققت فيه صفة الإعجاز .... »[1].

ويتخلص من مجمل أقوال أصحاب هذا الرأي وأدلتهم ما يلي :

– السجع موجود في القرآن وهو يختلف عن غيره بحسنه وخلوه من التكلف .

– أن النبي r لم ينه عن السجع لذاته، وإنّما نهى عن لون منه ارتبط بالكهانة، خاصة والعهد قريب بجاهلية، يستوجب هذا القرب الاحتياط للعقائد، وهذا ما يفسر لنا وقوع السجع في أحاديثه كما سيأتي .

– عدم إنكار الصحابة ولاسيما الخلفاء على الخطباء؛ دليل على إقراره وعدم ذمّه؛ إذ أن حرصهم على الدين يمنعهم من السكوت على ما فيه مذمة، فعدم إنكارهم دليل على إقرارهم له، لهذا ورد السجع في كثير من كلامهم وخطبهم .

مناقشة أدلة الباقلاني:

أحاول تحليل ومناقشة أدلة الباقلاني دليلاً دليلاً؛ لأخلص إلى ما يمكن الاعتماد عليه؛ تأييداً لرأيه أو تفنيداً له.

– حجة الباقلاني الأولى هي مخالفة القرآن لمألوف كلام العرب، ولو اعتقدنا وقوع السجع فيه لأقررنا بعدم خروجه عن أساليب كلام العرب، ويرد على هذا الدليل بأن مخالفة القرآن لأساليب العرب من ناحية الشكل لا تقتضي تفوقه ولا تعطيه مزية، وإلاّ لكان كل حادث وجديد غير مألوف من الأساليب عند العرب أفضل مما سبقه يقول عبد الرؤوف مخلوف: «الرأي عندي أن المخالفة في الشكل لا تقتضي لذاتها تفاضلاً ولا يمكن أن تدخل في الموازنة بين كلامين أحدهما شعر والآخر نثراً أو أن مسجوع أو متعادل وغيره طليق مرسل »[2].

– أما عن حجته الثانية وهي قوله: لو كان القرآن سجعاً لصحّ أنْ يقال سجع معجز وبالمثل يُقال شعر معجز، وهذه الحجة مردودة من جهتين :

---

[1] محمد الحسناوي ، الفاصلة القرآنية ، ص112. وما بعدها ، بتصرف يسير .

[2] عبد الرؤوف مخلوف ، من قضايا اللغة والنقد والبلاغة ، ص130.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

الأولى: أنّ إطلاق السجع ووجوده في القرآن لا يستلزم القول بوجود الشعر فيه .

والثانية: ما المانع بأن يكون سجع القرآن معجز مثل نظمه ؟ .

– أما قوله بأن السجع من أساليب الكهان وهو ما ينـــزه عنه القرآن فهذا مردود بما ذكرنـــاه من تصحيح لفهم الحديث، وقصر النهي على نوع خاص من السجع، وبسبب قرب العهد مـــن الجاهلية الذي يقتضي الاحتياط في أمور العقيدة ، فالنهي عن هذا اللون من الأسجاع كما يقول الجاحظ: كان « لقرب عهدهم بالجاهلية، ولبقيتها فيهم وفي صدور كثير منهم، فلمّا زالت العلة زال التحريم .

وقد كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين، فيكون في تلك الخطـــب أســـجاع كثيـــرة،فلا ينهونهم...»[1].

بالإضافة إلى أنَّ منه ما كان يقع من خطباء العرب وفصحائهم، ولم يقتصر على الكهـــان فقط زد على ذلك اختلاف سجع القرآن عن سجع الكهان، لفظاً ومعناً، شكلاً ومضموناً، هـــدفاً وغايةً .

– أمّا دليله بأن المصطفى u نهى عن السجع، فهو مقيّد بما ذكر عن الجاحظ، وأبي هـــلال العسكري و ابن الأثير و غيرهم من أن المقصود بالنهي هو السجع المتكلـــف وفـــي ظـــروف خاصة، ولا أدلّ على ذلك من وقوع السجع في حديثه r.

– أمَّا قوله بأنَّ السجع يتبع المعنى فيه اللفظ، فهذا اللون من السجع ينـــزّه عنه القرآن بخـــلاف السجع الذي يكون فيه اللفظ تابعاً للمعنى، فالواقع أنَّ السجع منه ما هو مذموم وهو الذي يقـــع المعنى تابعاً فيه للفظ، وهذا لا يكون في القرآن ولا في حديثـــه r، ومنـــه مـــا هـــو محمـــود مستحسن، وهو الذي يكون اللفظ فيه واقعاً موقعاً يتبع فيه المعنى مع حسنه .

– يُرد على الدليل الخامس الذي مفاده ندرة السجع بأنّه دعوى تحتاج إلى دليل، و للمخالف أن يقول إنه كثيرٌ في القرآن كما سبق في أدلتهم، ومن جهة ثانية فالحُسن والبلاغة يقتـــضي أن لا يستمر الكلام على نمط واحد لما فيه من التكلف، ولهذا كان أسلوب القرآن متنوعاً على حـــسب المقامات، أمّا عن قوله بعدم القصد إليه فكيف يقع شيء في كلام الله u عن غير قصد ؟!.

– أمّا دليله الذي يحد فيه السجع بحدٍ يخرج أفضل أنواعه، وهو الواقع حقيقة في القرآن الكريم فهو يحمل الرد عليه، فلقائلٍ أن يقول: إن هذا اللون غير واقع أيضاً في القرآن، وما عداه مـــن

---

[1] الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج1، ص290 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

السجع الجميل المناسب للمعاني والأذواق وهو ما خرج عن الحدِّ الذي وضعه فهو واقع في القرآن و موجود فيه .

– أما عن قوله: أنَّ القرآن لو كان سجعاً لمّا تحيّر العرب فيه، ولعارضوه لعدم امتناع أسلوبه عنهم، فللمخالف أن يقول هم عجزوا عن الإتيان بسجع يماثل سجع القرآن، كما عجزوا عن الآتيان بنظم يماثل نظم القرآن سواءً بسواء، وإلاّ لنفينا أيضاً إعجاز نظم القرآن وقلنا فيه قولنا في السجع .

– أمّا دليله في آية هارون وموسى ، فيقال ما المانع أن يكون الإعجاز فيها هو ما ذهب إليه الباقلاني نفسه من أن تكرار القصة الواحدة بأساليب مختلفة وعلى ترتيبات متفاوتة مما يظهر الفصاحة والبلاغة بالإضافة إلى وجود السجع فيها، وأي تعارض في ذلك، و ما دام الاحتمال قائماً فالدليل ليس حكراً لاتجاه واحد، وقد علّل ذلك عبد الكريم الخطيب بتعليل لطيف مفاده أن هذا التكرار والتقديم والتأخير كان حكاية لأقوال السحرة، ولا غرابة في اختلاف تعبيراتهم لاختلاف أحوالهم والقرآن الكريم نقل في كل مرةٍ ما يناسب الحال يقول: « فهذه المقولات الثلاث التي حكاها القرآن على لسان السحرة هي جميعها من مقولاتهم في تلك الحال ... قالوها بأساليب مختلفة و بصور متباينة ... ومُحَال أن يكونوا جميعاً قالوا قولاً واحداً على صورة واحدة ، فذلك ما لا يتفق لهذا الجمع الكثير ، ولا يشهد له واقع الحياة، وكان الذي حكاه القرآن من مقولاتهم هو الوجه الغالب فيها »[1].

– أمّا عن قوله بلزوم وقوع الخبط في أسلوب القرآن الكريم عن قولهم بوقوع السجع لتباينه فهو مردود بأن السجع في القرآن من أعلى أنواعه وأفضلها، ولم يقع فيه شيء من هذا الخبط الذي ادّعاه .

– أمّا عن أدلة موافقيه من رعاية الأدب مع القرآن، والتحرج من عدم الإذن الشرعي، والتقيّد بما جاء من إشارة إلى الفواصل، ففيه شيء من النظر وحسن الاختيار، مراعاةً للأفضل في معاملة أسلوب القرآن، ولكن هذا لا يمنع من إحداث مصطلحات لما يجِّد من أمور إذا كان القصد صريحاً، فقد قال بعض العلماء في بعض الحروف في القرآن إنّها زائدة، وقال غيرهم لا يقال ذلك تأدباً مع الله عز وجل، وإنّما يُقال إنّها صلة، وهذا لم يقتض عدم وجود هذه الظاهرة في القرآن وإن كان الأولى هو التأدب مع القرآن كما سيأتي فيما بعد .

---

[1] عبد الكريم الخطيب ، إعجاز القرآن ، ج2 ص219-220

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

تـــرجـيـــــح و استنتاج:

أشير أولاً إلى علاقة هذه القضية بقضية الإعجاز التي يبدوا أنّها هـــي الحـــادي والـــدافع للمتكلمين، خاصة في آرائهم ومذاهبهم البلاغية: « فأنصار السجع يرون وجه الإعجاز – هـــا هنا – في مدى السمو البياني بين كلام الله تعالى وكلام البشر مع إتفاق الكلامين، علـــى حـــين يرى معارضوهم أنّ وجه الإعجاز في مدى السمو البياني بالإضافة إلى التباين في الكلامين.. »[1].

فمذهب كل من الفريقين في المسألة ما هو إلا انعكاس أو تأييد لرأيه في الإعجاز وعلاقـــة النظم القرآني بكلام البشر ونظومهم، يقول عبد الرؤوف مخلوف: « ذهب أحـــد النقـــاد وهـــو الباقلاني إلى أنّ القرآن جنس من الكلام مغاير لسائر أجناس كلام العرب ثم نظـــر فـــإذا مـــن أجناس كلامهم ذلك الجنس المعروف في إصطلاح النقاد والبلاغيين بالسجع ، وإذا في القـــرآن الكريم كلام يمكن أن يصدق عليه تعريف السجع ، ووجود ذلك الجنس من الكلام في القـــرآن يفسد عليه نظرية المخالفة لسائر أجناس كلام العرب ، فلا يسعه إزاء ذلك إلـــاّ أنّ يحاول نفي هذا الجنس عن القرآن ويحاول التقليل من أمر السجع و موسيقاه »[2].

---

[1] محمد الحسناوي ، الفاصلة القرآنية ، ص 121.

[2] عبد الرؤوف مخلوف ، من قضايا اللغة والنقد والبلاغة ، ص140 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

تحديد موضع النزاع ومحل الخلاف:

المتأمل في أقوال المذهبين يجد أن الأمر أسهل وأهون ممّا ذهبا إليه، ولا يحتاج إلى كل هذا الحشد من الأدلة من كلا الطرفين ، وإنّما يحتاج إلى تحديد مناط النّزاع و تحرير موضع الخلاف، فالذي يظهر أن الفريقين متفقان على أن الواقع في القرآن من هذا اللون البلاغي سواء سميناه فاصلة على رأي الأولين أو سميناه سجعاً على رأي الآخرين هو معجز وخارج عن كلام العرب، فيكون بذلك الخلاف لفظياً اصطلاحياً، لا أثر له من الناحية الواقعية من حيث وجود هذا اللون في القرآن الكريم أو عدم وجوده، لأن كلا الفريقين أراد إثبات الإعجاز في القرآن، و كلاهما نفي مشابهة نظم القرآن لغيره من الكلام على طريقته.

وبهذا يظهر أن سبب الخلاف يرجع إلى عدم حصر موضع الخلاف، وعدم تحديد محل النزاع وضبط المصطلح المختلف فيه بدقة، وهذا مما يُعاب على الفريقين، يقول محمد الحسناوي : « أمّا المأخذ الكبير الذي ينال من الفريقين فخبطهم في واد الخلاف، والمصطلحات البلاغية التي يتقاذفونها، غير مستقرة أولاً، وغير متفق عليها ثانياً، وأول شرط في الجدل الاتفاق على المصطلح، فمصطلح السجع مثلاً أكبر شاهد على ذلك وهو أحد منطلقات الخلاف... »[1].

عندما نحدد ذلك يبقى لنا أمر آخر له دخل في مد أسباب الخلاف وتوسيعها، وهو واقع السجع في طبيعته في ذلك العصر بالإضافة إلى الدوافع النفسية والعقيدية، وما لها من أثر في تبني رأي أو خلافه فمن المعلوم أن العصر الذي عاش فيه الباقلاني قد شاع فيه التكلف في السجع والتصنع اللفظي، مما جعل الكثيرين يضيقون ذرعاً بهذا الإفراط في تكلف السجع ودفعوا بذلك إلى التحرج « من مَسِّ القرآن باصطلاح "السجع"، لأصله اللغوي في صوت الحمام، و لعيوبه الكثيرة التي لمسوها عند الخطباء المتقعرين، وبعض المؤلفين في العصر العباسي ... »[2].

ولعلّ الباقلاني أحدهم، هذا من جانب ومن جانب آخر فدوافع العقيدة والمذهب لا تنكر في مثل هاته المواقف و قد صرح الباقلاني بأن هذا القول هو مذهب أصحابه،وقد عرف عنه تمسّكه بآراء أصحابه و المنافحة عنها بما له من قوة في الحجّة وتمكن من أساليب الجدل والمناظرة.

---

[1] محمد الحسناوي ، الفاصلة القرآنية ، ص 124 .

[2] أحمد ياسوف ، جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، (ط:1 ؛ دمشق : دار المكتبي ، 1994) ، ص311 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

إذا نظرنا إلى المسألة باعتبار ما أشرت إليه سابقاً نستنتج أن الخـــلاف نظـــري، وســـببه اختلاف الاعتبارات، والمقصود واحد فلا طائل وراء هذا الخلاف لأن « الذي ينفي السجع عن القرآن ينفيه لينـــزّه القرآن عنه، حيث قد أشيع أن السجع من صفات كلام الكهان، و لا يليـــق أن يتصف به القرآن ... وأمّا الذين قالوا بوقوع السجع في القرآن فإنّهم نظروا إلى أنّ القـــرآن يأتي فيه سجع، ولكن بصورة تخالف سجع غيره من النثر، و يتميز بسمات الحسن الذي يتطلبه المعنى، فلا تكلف ولا تعمد، بخلاف غيره من الأسجاع، ولعل النهي عن استعمال السجع إنّمـــا كان يقصد به السجع المعيب الذي اشتهر به الكهان، ولذلك قيد في حديث الرسول r بأنّه سجع الكهان كما ذكر ابن الأثير ... »[1].

ولهذا وجدنا الأمر يسهل أكثر مع مرور الزمن، و مع ضبط المصطلحات وتحديد المعاني المقصودة يقول أحمد ياسوف: « وانزاحت هذه الصور من أذهانهم مع تقدم الزمن، لذلك رأينا »[2].

فسجع القرآن يختلف في صياغته وحسنه عن بقية أسجاع العرب ويفوقها شـــكلاً و مـــضموناً، كيف لا وهو الكلام المُعجز؛ لكن الأولى هو إفراد ما في القرآن من هذا اللون بتسمية خاصـــة ومصطلح خاص، ولا مُشاحة في الاصطلاح، فإذا ضبطت الحدود وتبينـــت المعـــاني وظهـــر المقصود، تحقق بإفراد هذا اللون الخاص بمصطلح خاص مجموعة من الفوائد منها:

– تمييز القرآن وما جاء فيه بأسماء ومصطلحات خاصة به تشريفاً و تعظيماً له.

– تجنب اهتزاز الرؤية القدسية للقرآن الكريم؛ لأنّ القول بمصطلح السجع في القرآن الكريم « يؤدي إلى مشكلات مختلفة أولها : اهتزاز الرؤية النقدية المتكاملة للنص القرآني ، علـــى أنـــه نص متميز، أو من عند الله تعالى ، فمثلاً صارت الفاصلة نهباً لأبحاث الـــسجع والازدواج أو بالأحرى غدت –عن غير قصد– تابعة لغيرها ، على حين استمرت القافية باباً أو علماً مستقلاً، يغتني عصراً بعد عصر ... »[3].

– رفع التوهم عن أسلوب القرآن، ذلك أن المتبادر من لفظ السجع هو العناية بظاهر اللفظ فقط "مهمة جمالية فقط" في حين أن الفاصلة تدل على عناية باللفظ والمعنى معـــاً "مهمـــة جماليـــة

---

[1] المحمدي عبد العزيز الحناوي، دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن ط. محمد الحسناوي : الفاصلة القرآنية(ط:1 ؛ القاهرة: دار الطباعة المحمدية الأزهر ، 1984)، ص 122.

[2] أحمد ياسوف ، جماليات المفردة القرآنية ، ص311 .

[3] محمد الحسناوي ، الفاصلة القرآنية ، ص122.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

ومعنوية" ، إذ «تقوم الفاصلة القرآنية بدور الإحكام ، فتُربَطُ بالمعنى الكلي الذي يسبقها في الآية، ذلك إضافة إلى ترنيمها الموسيقي الواضح ، فهذا الإحكام يتّسم بوظيفتين في الشكل والمضمون »[1].

– فيه أيضاً تأكيد الفرق بين أسلوب القرآن المعجز وأسلوب البشر غير المعجز .

– في تخصيص القرآن بمصطلحاته تحقيق للدقة والوضوح؛ فقد خصّ العرب نهاية الشعر باسم القافية ونهاية النثر باسم السجع، فلا ضير من تخصيص نهاية الآية باسم الفاصلة وفي هذا « رد الأمور إلى نصابها؛ ونظرة إلى ظاهرة قرآنية متميزة مطردة في القرآن كلّه ، وفي ذلك ما فيه من تجنب الإيهام بمشابهة كلام البشر أو الكهان، كما فيه انسجام مع إشارات القرآن ﴿ **كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا** ﴾ ﴿ **آيَاتُ مُفَصَّلَات** ﴾ وفيه إلى ذلك حفز الهمم إلى تجديد النقد الأدبي عند العرب بالعودة إلى منابعه الأولى الصافية، بالانطلاق من المدرسة القرآنية أولاً، ومن النظر إلى النص نظرة متكاملة ثانياً ومن تمييز الفنون الأدبية كما فعل الباقلاني ثالثاً »[2].

وفي هذا إتباع لسنن العرب وعاداتهم في تخصيص الشيء باصطلاح يخصُّه ، فقد خصُّوا الشعر بمصطلحات مبالغة في تعظيمه و الاحتفاء به ، ولهذا فقد نسب السيوطي إلى الجاحظ قوله : « سمّى الله تعالى كتابه اسماً مخالفاً لمّا سمّى العرب كلامهم على الجملة و التفصيل: سمّى جملته قرآناً كما سمّوا ديواناً، وبعضه سورة كقصيدة ، وبعضه آية كالبيت، و آخرها فاصلة كقافية »[3].

و غير خافٍ أنَّ ما جاء به القرآن يتلاءم مع صنيع العرب، خاصّة فيما يتعلّق بأساليب كلامهم و خطابهم، وهذا في الإعجاز أوقع و في التّحدي أظهر.

---

[1] أحمد ياسوف ، جماليات المفردة القرآنية ، ص309 .

[2] محمد الحسناوي ، الفاصلة القرآنية ، ص125 .

3 السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، ص 143.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

المبحث الثالث

أثر عقيدة الأشاعرة في توجيه آراء الباقلاني

انبرى علماء الكلام خاصة المعتزلة و الأشاعرة ، للدفاع عن كتاب رب العالمين ضد هجمات الملحدين والمغرضين من أهل الملل الأخرى، أو من المبتدعة المنتسبين إلى الإسلام.

ولماّ كان المهاجمون للإسلام من أكابر المفكرين، ومن أصحاب الثقافات المختلفة (فارسية وهندية ويونانية....) مدفوعين بأحقادهم الدفِينة، وعقائدهم الفاسدة، كان لزاماً على علماء الكلام مقابلة ذلك بما يناسبه من الجدل والمناظرة إحقاقا للحق وإبطالاً للباطل؛ فتسلحوا بما يجدي في الرد على هؤلاء وينفع في نقض آرائهم وإبطالها، ومنه فقد اعتنوا بأصول الكلام والفلسفة ونظروا في الثقافات المختلفة ، لاستخلاص وسائل تحقق الغاية والقصد من رد حجج الطاعنين في القرآن .

وقد أبلى المتكلمون بلاءً حسناً في خدمة القرآن والدفاع عنه، مدفوعين بعقائدهم من خلال النظر في قضية الإعجاز التي شكلت مصدر الطاقة وأذكت الهمم للسير قُدمًا نظراً وبحثاً ودراسةً متخذين « من دراسة البيان، قاعدة صلبة يرتكزون عليها في دراسة إعجاز القرآن، وسبيلاً يأخذ بيدهم إلى معرفة أحكامه، والوقوف على أهدافه، وطرق الاستدلال بأساليبه وتعبيراته على إثبات هذا الإعجاز، والرد على من أنكره. ومن غير شك فقد كانت قضية الإعجاز، مصدر الطاقة التي دفعت المتكلمين للدراسة والبحث والتعمق في الوصول إلى نتائج. بل إن هذه قضية هي التي فجرت الطاقات وأشعلت الفكر الإسلامي كله، للوقوف أمام أعداء الإسلام »[1].

الأثر النفسي والواقعي للعقائد في توجيه الآراء والأفكار:

لا شك أنّ لكل رأي أو قول أو نص، خلفية ذهنية تحركه وتوجهه، تستمد هذه الخلفية من عقائد ذاتية وأصول فكرية كلية امتد الخلاف حولها ليشمل قضايا جزئية ومسائل فرعية، وهذا أمرٌ يثبته الواقع وتُلجأ إليه الضرورة النفسية التي يجدها كل إنسان تجاه أي قضية؛ فالمتأمل في

[1] أحمد العمري ، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني ، ص 87 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

آراء الناس ومذاهبهم يلاحظ بشكل واضح أنهم يعالجون قضاياهم من خلال تصوراتهم وعقائدهم؛ إذ العقيدة «هي الضابط الأمين الذي يحكم التصرفات ويوجه السلوك ويتوقف على مدى انضباطها و إحكامها كل ما يصدر عن النفس من كلمات أو حركات بل حتى الخلجات التي تُساور القلب والمشاعر التي تعمل في جنبات النفس، والهواجس التي تمر في الخيال هذه كلها تتوقف على هذا الجهاز الحساس، وباختصار فالعقيدة هي دماغ التصرفات»[1]، فالمعتزلة والأشاعرة مثلاً عالجوا قضاياهم من خلال تصوراتهم للذات الإلهية، وصفاتها، وتوصلت كل فرقة في ضوء معتقداتها إلى آراء خاصة ومذاهب مختلفة في كل ما تعاطوه، وهذا أمرٌ طبيعي أن يصدر الإنسان عن عقيدته في آرائه وتوجهاته . ومن الناحية الواقعية نجد أن البحوث والدراسات البلاغية خاصة عند المتكلمين كانت تستند إلى عقائدهم وأفكارهم وخدمةً لها، يقول أحمد العمري: «إن الباحث المتأمل في دراسة الجاحظ لعناصر علم البيان في القرآن الكريم يجد أنّها امتداد لبحوث المعتزلة في هذا الجانب، وأنها كانت نتيجة دراسات واسعة مقارنة، في القرآن، والبيان العربي، والكتب المقدسة، وبلاغة الأمم الأخرى، وكان مدار هذه البحوث: "مسألة التجسيم والتشبيه في القرآن"، وما نشب من خلاف بين المعتزلة وبين أهل السنة والمشبهة »[2].

ولنا أن نمثل بقضية المجاز، والتي خاض فيها الناس كلٌ مدفوع بعقيدته واستناداً إلى الأصول التي يدين بها ويعتنقها مذهباً له، إذ أن هاته القضية من أكثر القضايا التي حظيت باهتمام المتكلمين والباحثين في فصاحة القرآن وإعجازه، لارتباط ذلك بسنن العرب في كلامها من جهة إذ يمثل خير وسيلة للاتساع في اللغة ومرونتها ويُشكل مصدراً مهماً للثروة اللغوية عند العرب، ولارتباطها بقضايا عقدية تتصل بفهم النص المتشابه من جهة أخرى، يقول أحمد العمري: « هذا الباب بالذات كان سبباً في حدة الخلاف بينه –يقصد الجاحظ– وبين أهل السنة من اللغويين الذين يرفضون المجاز، ويرفضون تفسير القرآن بالرأي، فقد خاض معهم خوضاً شديداً استناداً إلى أصول الاعتزال التي كان يعتنقها ويؤمن بها»[3]، وهذا ما يفسر الجدل الذي دار حول المجاز فقد أنكر بعضهم وجوده في اللغة والقرآن بدوافع عقدية وبحجة تنزيه القرآن عنه لأنه أخو الكذب، والقرآن منزه عن الكذب، وهو ذريعة إلى نفي الصفات الإلهية وتأويلها،

---

[1] عبد الله عزام ، العقيدة وأثرها في الجيل،(الجزائر:مكتبة الزهراء) ص 9 .

[2] أحمد العمري ، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني ، ص96 .

[3] نفسه، ص 97 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

كما أن إطلاق المجاز في القرآن يفضي إلى وصف الله بالمتجوّز، وهذا لم يرد الإذن به، ثم إن المتكلم لا يعدل إلى المجاز إلا إذا ضاقت به الحقيقة أو عجز عن التعبير بها، وهذا لا يليق بالقادر عز وجل، الذي لا يعجزه شيء ولا ينفد كلامه.

بالإضافة إلى ما ذهب إليه بعضهم كابن تيمية من أن هذا الاصطلاح حادثٌ بعد القرون الفاضلة فهو من البدع التي يجب أن ترد و تنكر.

وقد ردّ على هذه الشبهات جماعة من العلماء بدوافع عقدية أيضاً ومن أبرزهم ابن قتيبة حيث يقول: « وأمّا الطاعنون على القرآن بالمجاز، فإنهم زعموا أنه كذب. لأن الجدار لا يريد (إشارة إلى قوله تعالى: [**فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ**] [الكهف-آية 76]) والقرية لا تُسأل (إشارة منه إلى قوله تعالى: [**وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ**] [يوسف-آية 82]) وهذا من أشنع جهالاتهم وأدلها على سوء نظرهم وقلة أفهامهم، ولو كان إعجاز كذباً وكل فعل ينسب إلى غير الحيوان باطلاً، كان أغلب كلامنا فاسداً، لأنا نقول: نبت البقل، وطالت الشجرة، وأينعت الثمرة، وأقام الجبل، ورخص السعر »[1].

كما ذهب السيوطي إلى أن إسقاط المجاز من القرآن يؤدي إلى إسقاط شطر من حسنه قائلا:« ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن، فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، ولو وجب خلو القرآن من المجاز، وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتكنية القصص وغيرها »[2]فاستعمال المجاز ليس لعجز عن استعمال الحقيقة و إنّما لما فيه من حسن وجمال في التعبير ومسايرة لسنن العرب في كلامهم ، أما عن قولهم المجاز أخو الكذب فليس صحيحا « وإنما يكون المجاز كذباً لو أثبت المعنى على التحقيق لا على المجاز، أي أنه إذا أطلق القمر – مثلاً– على إنسان بهي الطلعة يكون كذباً لو أدّعي أنه القمر الذي في السماء حقاً، ولا ريب أن هذا ليس مراداً في المجاز، وإنما المراد تشبيهه به في البهاء والحسن، فأين الكذب ؟!»[3]، ويقول عبد القاهر الجرجاني: « ومن قدح في المجاز وهمّ أن يصفه بغير الصدق

---

[1] ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ،ص99نتح سيد صقر ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ط3 –1981.

[2] السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح احمد شمس الدين ،(ط:1 ؛ بيروت : دار الكتب العلمية، 1988)، ج1 ،ص186 .

[3] محمد بن إبراهيم الحمد ، توحيد الأسماء والصفات ،(ط:1 الرياض: دار ابن خزيمة ، 2002) ،ص76. 77 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

فقد خبط خبطاً عظيماً وتهدّف لما لا يخفى »[1]، أما عن قول ابن تيمية فقد اعترض عليه شوقي ضيف من الناحية التاريخية مثبتاً مخالفة التوفيق له فيما ذهب إليه في معرض ذكره لاستعمال الجاحظ لكلمتي الحقيقة والمجاز قائلاً: « واستعماله لكلمتي الحقيقة والمجاز في "الحيوان" يدخل في استعمال البلاغيين المتأخرين، فقد استعملها بمعناها الدقيق، ولعل في ذلك ما يدل على أن ابن تيمية أخطأه التوفيق حين زعم أن تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز تقسيم حادث بعد القرون الثلاثة الأولى للهجرة »[2]، ويقول محمد الحمد: « ثم إن القول أن هذا الاصطلاح لم يعرف إلا بعد القرون الثلاثة المفضلة – غير مسلَّم به؟ فقد تكلم بالمجاز غير واحد من علماء اللغة في أوقات القرون المفضلة ؟ ومن هؤلاء أبو زيد القرشي المتوفي سنة 170هـ»[3]، هذا من جهة ومن جهة أخرى فاصطلاحات العلوم وتقسيماتها أغلبها حادث، ولا شيء في ذلك؛ إذ لا مشاحة في الاصطلاح ولا خير في إحداثها ولو أخذنا بهذا الرأي لأدى بنا إلى رد كل تقسيم واصطلاح حادث،وهذا أمر غير ممكن عقلاً ولا واقع كما هو ظاهر.

كل هذا الخلاف والصراع بسبب ارتباط هذه القضية بالخلاف المذهبي بين المعتزلة والأشاعرة والظاهرية حول أصولهم العقيدية في الأسماء والصفات ، وهذا ما أكسب قضية المجاز هاته المكانة والأهمية.

فالمعتزلة الذين ذهبوا إلى أن اللغة اصطلاح وتواضع (وهذا القول أيضاً مبني على أصول عقدية، إذ« القول بالاصطلاح يخدم رأي المعتزلة في التوحيد، من ناحية والعدل أو حرية الإرادة من ناحية أخرى، والقول بالاصطلاح يخدم ناحية ثالثة بالغة الأهمية، هي ناحية الاتساع اللغوي »[4]، والقول بالاصطلاح و المواضعة يفضي إلى تنزيه الله عن الشبيه والمثيل عندهم، فنفوا أن يكون الكلام صفةً قديمة واعتبروها صفة فعل لا يوصف بها الله إلا بوجود من يتوجه إليهم الخطاب فهو متكلم بكلام محدثٍ يحدثه وقت الحاجة، لأنه لو كان متكلماً منذ القدم والأزل لكان كلامه عبثاً، لأنه يتكلم إلى غير مخاطب تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، كما لا يتصور في حقه البدء بالمواضعة لأنها تحتاج إلى«إيماء وإشارة بالجارحة، نحو

---

[1] عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان، صححه وعلق عليه السيد محمد رشيد رضا(القاهرة: دار ابن تيمية) ص279. 280 .

[2] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص56 .

[3] محمد بن إبراهيم الحمد : توحيد الأسماء والصفات ، ص .81 .

[4] أحمد العمري ، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني ، ص157 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

المومأ إليه والمشار نحوه،والقديم لا جارح له فيصح الإيماء والإشارة بها منه، فبطُل عندهم أن تصح المواضعة على اللغة منه »[1].

كما ذهبوا أيضا إلى أن المجاز تواضعت عليه الجماعة ، واستعملوا ذلك في نفي الصفات عن الذات الإلهية، ذلك أن إجراء بعض الآيات على ظاهرها يوهم التجسيم والتشبيه كقوله تعالى: [**وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**] [طه – آية 39]، وقوله: [**وَالسَّمَاوات مَطْوِيَات بِيَمِينِه**] [الزمر –آية64] ونحو ذلك من الآيات فكان المجاز وسيلتهم لتأويلها وصرفها عن ظاهرها الموهم إلى معنى يتفق ومبادئهم في التنزيه فأولوا العين بالعلم ، واليمين بالقدرة ... تلافيا لشبهة التجسيم والتشبيه، وقد « طبق الزمخشري هذا المجاز على كثير من الآيات القرآنية، وخاصة تلك التى قد يفهم منها رأي مخالف لبعض الأصول العقيدية للاعتزال »[2]، ويستطيع « الباحث المحقق لمباحث علم البيان في كشاف الزمخشري أن يدرك لأول وهلة أن الرجل يخضع في معالجته الجمالية للصور البيانية التى يرسمها القرآن إلى حد كبير لأراء المعتزلة »[3].

إذن فقد « لجأ المعتزلة لهذا الباب – المجاز اللغوي – حتى يتسع أمامهم القول ، وحتى يفلتوا من تلك القيود التى ألزمهم بها المجسمة وغيرهم من الطوائف ، وخاصة حين عالجوا التشبيه في القرآن الكريم ، ولقد هاجموا اللغويين والمفسرين البسطاء الذين يلتزمون ظاهر اللفظ وراحوا ينزهون الذات الإلهية عن كل ما ينالها من حسية وجنحوا إلى الصور الذهنية والخيالات المتضمنة ليبرزوا معانيها البعيدة في نفوس الناس وكان عدتهم في ذلك المجاز اللغوي »[4].

أما الأشاعرة فقد اتخذوا موقفا وسطا بين الظاهرية الذين نفوا المجاز في القرآن واللغة ووقفوا ضد كل تأويل للنصوص يتجاوز الظاهر، وبين المعتزلة الذين غلوا وأسرفوا في استخدام المجاز خدمة لعقائدهم (وأصلهم هذا أيضا ينسجم مع تصورهم لأصل نشأة اللغة، فهي إلهام من الله علمها آدم على الحقيقة ولا يملك الإنسان وضعها أو التصرف فيها، بل عليه تقبلها على الوضع الأول لها، لهذا قالوا بتوقيفية اللغة بناءً على موقفهم من كلام الله تعالى الذي

---

[1] ابن جني ، الخصائص ، ج1، ص45 .

[2] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ن ص242 .

[3] أحمد العمري ، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني ، ص156 .

[4] منير سلطان ، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة ، ص237.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

هو صفته القائمة بذاته كبقية الصفات، وما دامت اللغة وحياً والهامًا فلا حاجة إلى المجـــاز إلا لضرورة وفي حدود ضيقة).

هذا مع ملاحظة أن الأشاعرة لا يختلفون مع المعتزلة في أصل التنزيه، لكنهم لم ينفوا عن الذات الإلهية ما وصفت به نفسها، وتجنبوا البحث في كنه الصفات، ولجئوا إلى التأويـــل فـــي حدود ضيقة رداً على إسراف المعتـــزلة في ذلك فأولوا ما يوهم ظاهـــره التشبيه أو التجـــسيم كما أولوا صفـــة المجيء مثلا في قوله تعالى:[**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفاً صَفًا**] [الفجر– آيـــة 24]

وعليه فقد استعمل الأشاعرة والمعتزلة المجاز وسيلة لتأويل النص المشابه في الـــرد علـــى الظاهرية وغيرهم من وصف الله بما لا يليق كالنصارى والمجوس، مدفوعين لعقائـــدهم فـــي ذلك، فموقف كلا الفريقين ليس سوى انعكاس لخلاف جوهري مذهبي في تأويل القرآن وفهمه، هذا الخلاف مبني على أسس عقيدية معينة.

و لذلك قد جعل منير سلطان الهدف من دراسته لقضية الإعجاز بين المعتزلة والأشـــاعرة إظهار أثر أفكارهم في توجيه دراستهم للإعجاز قائلا: « وبعد– فهذه دراسة، لم أقـــصد منهـــا سوى الإشارة إلى مناحي عند كل من المدرستين وليس من عملي هنا أن أناقش الرأيين ولكني قصدت أن أقدم لآراء المعتزلة والأشاعرة في الإعجاز بمقدمة في أصل آراءهم الكلامية، التى منها صدرت أفكارهم في بحوثهم حين عالجوا القضية.

وأينما نلتقي بفكرة جديدة في الإعجاز فمن السهل علينا أن نرجعها إلى أصلها في مبـــادئهم حتى يتصل الأمر »[1]، ذلك أن لهم منهجاً خاصاً في تناول الإعجاز « يتمثل في هـــدم أقاويـــل المغرضين. ثم بناء قضايا العقيدة خالصة من الشوائب. وهم في أثناء ذلـــك يعرضـــون هـــذه القضايا من خلال مفاهيمهم الاعتزالية. أي من خلال مبادئ الاعتزال الخمسة ... »[2].

وقد تحدث محمد زغلول سلام عن اتخاذ المعتزلة البلاغة والبيان وسيلة لنـــشر أفكـــارهم ومبادئهم في صدامهم مع مخالفيهم فاصطبغت بذلك مؤلفاتهم ومصنفاتهم قائلا: « وحمل لـــواء الاعتزال بعد واصل وعمرو كثيرون من علمـــاء اللغة والبيان، ومنهم من اتخـــذ الاعتـــزال مذهبا يدين به وتصطبغ به كتبه وآراؤه »[3]، وقد مر تعليقه على رأي النظام في الصرفة، وأنه

---

[1] منير سلطان ، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة ، ص39 .

[2] السابق ، ص169.170 .

[3] محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص69 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

صادر عن عقيدته في التوحيد والعدل ونفي صفات الله عن ذاته على مذهب المعتزلة ومنه كان مذهبه في دليل النبوة مخالف لجمهور المتكلمين « فإنه قال: إن الله لم يجعل القرآن دليلا على النبوة وعلى هذا الأصل بنى قوله: إن الإعجاز كان بالصرفة »[1].

وهذا الأمر بناء الآراء على العقائد لم يكن خاصا بالمعتزلة وحدهم ، بل إن الأشاعرة كانوا مدفوعين في أرائهم لعقائدهم « فجانب المعنى القائم بالنفس نظرية أشعرية كان لها نصيب كبير في نظرية النظم عند الجرجاني »[2].

كما أن ابن فارس قد « حمل راية الأشاعرة في أن أصل اللغة توقيف، ووراء هذا الرأي معتقدهم أن الله خالق لأفعال عباده وأما المعتزلة فيمثل رأيهم أبو علي الفارسي وابن جني. فيريان أنها اصطلاح. ويرفضان المواضعة »[3]، لأنها تؤدي إلى إيهام المشابهة والتجسيم، ولأن « القديم سبحانه لا يجوز أن يوصف بأن يواضع أحدا على شيء، إذ أن المواضعة لا بد معها من إيهام وإشارة بالجارحة نحو المومأ إليه والمشار نحوه، والقديم لا جارحة له فيصح الإيماء والإشارة منه »[4].

ومن ذلك كله يظهر أنه قد سيطرت على أفكارهم معتقداتهم المتصلة بأصول الدين والعقيدة– بل تعدى الأمر إلى تأليف الكتب البلاغية خدمة للعقائد والتوجهات الفكرية فقد « أفرد الزمخشري كتاب "أساس البلاغة" للتحقيق العملي بأن معظم اللغة مجاز، فالكتاب خادم لقضية الإعجاز من وجهها الاعتزالي »[5].

وإلى درجة أن أصبحت بعض العناوين في الإعجاز تمثل اتجاها عقيديا معينا لم تنل مكانة بين الكتب لولا اتجاهها العقدي يقول محمد زغلول سلام تحت عنوان "بحوث إعجاز القرآن"بعد حديثه عن كتاب "إعجاز القرآن" لمحمد بن يزيد الواسطي وكتاب "النكت" للرماني وكتاب "بيان إعجاز القرآن" للخطابي « وكتابه في الإعجاز مشهور بين كتب الإعجاز، لأنه يمثل

---

[1] الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص234

[2] منير سلطان ، الإعجاز بين المعتزلة والأشاعرة ، ص255 .

[3] السابق ، ص 228 .

[4] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وعلق عليه محمد المولى وعلي البجاوي ومحمد ابراهيم(بيروت: دار الجيل) ج1 ، ص7

[5] منير سلطان ، الإعجاز بين المعتزلة والأشاعرة ، ص229 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

رأي أهل الحديث في الإعجاز في القرن الرابع، كما مثل الرماني رأي المعتزلة، وكما مثل الباقلاني رأي الأشعرية»[1].

(دليل النبوة وكلام الله

عز وجل):

لا بد من الإشارة أولا إلى أن الأشاعرة « فرقة كلامية انشقت عن أصلها المعتزلة»[2] وكرد فعل على إسرافها في بعض آرائها، لذا سيكون موقفها مخالفا في أغلب الأحيان لرأي المعتزلة، ولهذا فسأحاول أن أتكلم عن كل أصل من أصول الأشاعرة، مما له علاقة بموضوعنا بما يقابله من أصول المعتزلة، لأن رأي المدرستين في الإعجاز راجع إلى المبادئ العقدية والأصول الفكرية التى تبنت هاته المدرسة أو تلك، فالطريق « الذي أدى بالمعتزلة إلى القول في الإعجاز، كانت بدايته الكلام في وحدانية الله تعالى ...»[3]، كما أنّ الأشاعرة كانوا مدفوعين في ذلك بعقيدة في دليل النبوة كما سيأتي.

ومن جهة أخرى فقد ترتب على الخلاف الذي دار بين المعتزلة والأشاعرة حول الصفات الإلهية، إثباتا أو نفيا، وهل هي عين الذات، أم هي زائدة عليها، وما تفرع عن هذه القضايا من قول بقدم كلام الله عزّ وجل (القول بأنه غير مخلوق) أو حدوثه (القول بأنه مخلوق)، أثر كبير على دراسة الإعجاز القرآني، إن لم يكن هو المؤثر الوحيد في ذلك لأنّ أتباع كل مذهب كانوا حريصين على التزام أصول مذاهبهم ومبادئ طريقتهم في دراستهم لهذه القضايا، فرأي المدرستين في الإعجاز يرجع إلى المبادئ التى ارتضوها عقيدة ومنهاجا في النظر والتحليل، ابتداءً من قضية براهين النبوة التى يرى الباقلاني أنها مبنية على إثبات الإعجاز قائلا: « الذي يوجب الاهتمام التام بمعرفة إعجاز القرآن، أن نبوة نبينا عليه السلام بنيت على هذه المعجزة»[4]، وانتهاءً بقضية كلام الله عز وجل ، مرورا بمسائل الأسماء والصفات، والمحكم والمتشابه منهما.

كلام الله عز وجل بين المعتزلة والأشاعرة

[1] محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص255.

[2] سفر الحوالي ، منهج الأشاعرة في العقيدة (القاهرة : مكتبة العلم) ، ص15.

[3] منير سلطان ، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة ، ص87 .

[4] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص7.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

امتد الخلاف بين المعتزلة والأشاعرة حول كلام الله عز وجل إلى قضايا لغوية وبلاغية كثيرة، لها صلة وطيدة بقضية الإعجاز القرآني، كقضية الحقيقة والمجاز التي مرّت معنا، وقضية اللفظ والمعنى وغيرها ...

هذه القضية –كلام الله عز وجل– ما هي إلا امتداد لمذاهبهم في الأسماء والصفات – كما مرّ معنا أيضا– فالمعتزلة الذين نفوا الصفات جعلوا كلام الله من صفات الأفعال، التي يفعلها إذا شاء « وتسمى الاختيارية وهي تتعلق بالقدرة والمشيئة – عكس صفات الذات – وهي التي لا تنفك عن الله مثل العلم والقدرة والسمع والبصر »[1].

وقالوا: إن القرآن حادث مخلوق بناءً على تنزيههم لله تعالى عن مشاركة قديم آخر له، فقد « نظر المعتزلة إلى القرآن نظرتهم إلى الكلام الذي يتألف من حروف وأصوات، أي أنهم قاسوه على الكلام بمعناه المتداول فهم يريدون به فعل المتكلم الذي يعبِّر به عن المعاني التي تدور بنفسه لكي يعلمها المخاطب، وإذا كان القرآن يتألف من كلمات وكانت هذه حادثة، فلا بد أن يكون القرآن حادثاً، وليس قديما لأنه ليس صفة من صفات الله، بل هو فعل من أفعاله، والله تعالى يخلق الكلام في اللوح المحفوظ، أو في جبريل أو في الرسل، وقد استدلوا على آرائهم هذه بأدلة شرعية وعقلية.

أما هؤلاء الذين يقولون بأن القرآن كلام الله وأنه صفة قديمة فيصفهم المعتزلة بأنهم أهل جهالة وعمىً، وأنهم بعيدون عن الدين الحقيقي وعن التوحيد بصفة خاصة، إذ ينتهون بالضرورة – في رأي المعتزلة– إلى القول بتعدد الصفات القديمة ... »[2].

فالقرآن عندهم محدث مخلوق مركب من حروف منظومة وأصوات مقطعة يقول أحمد نور سيف: « واتفقوا – المعتزلة– على أن كلامه مخلوق في محل وهو حرف

وصوت، كتبت أمثاله في المصاحف حكايات عنه »[3].

---

[1] محمد بن علي الروق ، الأسئلة النجدية على العقيدة الواسطية، خرج أحاديثه سليمان العجلان، (ط:1 ؛1999 الرياض: دار ابن خزيمة للنشر)، ص14.

[2] منير سلطان، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة ، ص32. 33.

[3] القاضي عبد الوهاب المالكي، شرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني في كتابه الرسالة، دراسة وتحقيق أحمد نور سيف، (ط:1 ؛2004 دبي: دار البحوث للدراسات الإسلامية)ص65.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

لذا فقد التمسوا إعجازه في نظم الأصوات والألفاظ وحسن تناسقها وفي جمال صياغتها اللفظية .

أما الأشاعرة فقد أثبتوا الصفات لله عز وجل، واعتبروا الكلام من صفاته تعالى،وأثبتوا له كلاما نفسيا قديما بناء على قدم صفاته، يدل عليه كلام لفظي حادث يقول سفر الحوالي: « فالكلام الذي يثبتونه لله تعالى هو معنى أزلي أبدي قائم بالنفس ليس بحرف ولا صوت ، ولا يوصف بالخبر ولا الإ :

إنَّ الكَلَامَ لَفِي الفُؤَادِ وَإنّمَا جُعِلَ اللسَانُ عَلَى الفُؤَادِ دَلِيلاً

أما الكتب المنزلة ذات الترتيب والنظم والحروف – ومنها القرآن – فليست هي شيئاً واحداً في ذاته، لكن إذا جاء التعبير عنه بالعبرانية فهو توراة، وإن جاء بالسريانية فهو إنجيل، وإن جاء بالعربية فهو قرآن، فهذه الكتب كلها مخلوقة ووصفها بأنها كلام الله مجاز لأنها تعبير عنه »[1]، « وبعبارة أخرى كان يرى – الأشعري – أن القرآن وكلام الله القائم بذاته قديم، أمّ الكتاب الذي بين أيدينا والذي نزل به الوحي في زمن من الأزمان فحادث »[2].

ولذا فقد التمسوا إعجاز القرآن في هذا الكلام النفسي القديم، الذي يتقدم في وجوده على الألفاظ والعبارات، فصرفوا عنايتهم إلى الاهتمام بالمعاني والتراكيب، ولم يأبهوا بالبديع وحسن تلاؤم الألفاظ والمحسنات البلاغية – كما فعل الباقلاني –.

هذا الخلاف حول هذه القضية بالذات – كلام الله عز وجل – وهي قضية عقدية، كان له أثر بارز على قضايا لغوية وبلاغية كثيرة كأصل نشأة اللغة وقضية الحقيقة والمجاز، وقضية اللفظ والمعنى وعلاقتهما بالإعجاز، وقضية المحكم والمتشابه من النصوص، إذ حاولت كل فرقة أن تعالج هاته القضايا انطلاقا من أصولها الكلامية ومبادئها العقدية « ومن هنا دار الجدل بين الكلام القديم والكلام المحدث المخلوق، بين المعتزلة والأشاعرة، وتطرق بهم الجدل إلى نظرية إعجاز القرآن، وكان جدلهم يدور حول إعجاز المتلو لا إعجاز القائم بالذات الإلهية، ثم راح المعتزلة ينظرون إلى القرآن نصاً دينياً مخلوقاً، فظهر بينهم رأي الصرفة، وظهرت بينهم قضية تفضيل اللفظ عن المعنى. ولكن الأشاعرة قد رفضوا رأي الصرفة وهجروه، وجنحوا، على يد الجرجاني، إلى تفضيل المعنى ... »[3].

---

[1] سفر الحوالي ، منهج الأشاعرة في العقيدة ، ص22.

[2] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، ص179 .

[3] منير سلطان ، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة ، ص225 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

أصل مذاهبهم في كلام الله عز وجل

قام رأي المعتزلة في هذه المسألة على التنزيه لله تعالى عن الشبيه والمثيل، ورأوا أن إثبات الصفات لله تعالى يتنافى مع وحدانيته، فنفوا أن يكون لله صفات قديمة زائدة على الذات، لأن إثباتها يوهم إثبات قديم آخر مع الله، ومنه نفوا أن يكون الكلام صفة ذاتية قديمة قدم ذاته، وإنّما هو صفة من صفات الفعل؛ وصفة الفعل لا يمكن أن يوصف الله بها فيما لم يزل لأن الكلام يتعلق بوجود المخاطب الذي يتوجه إليه الكلام والخطاب والله ينزه عن أن يكلم عدماً – الإنسان قبل أن يخلق –

فالله عز وجل عندهم متكلم لا بكلام قديم، بل بكلام محدث مخلوق يحدثه وقت الحاجة إلى الكلام، إذ لو كان متكلما منذ الأزل ، لكان كلامه عبثا، لأنه يتكلم دون وجود مخاطب، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ولهم على ذلك أدلة منها قوله تعالى :﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ** ﴾[إبراهيم–آية 04] فلكي تقوم الحجة على الناس، ويصح خطابه تعالى لهم بما يفهمون. يجب أن يسبق ذلك مواضعة للغة بين البشر، فدل هذا على تقدم المواضعة على البعثة والرسالة ...

أمّا الأشاعرة ، فالكلام عندهم صفة قائمة بذاته تعالى كعلمه وقدرته وحياته...(الصفات السبع)، وليس من صفات الأفعال كما هو رأي المعتزلة، وينقسم إلى قسمين:

كلام نفسي قديم: وهو معنى أزلي قائم بالنفس ليس بحرف ولا صوت، وهو كلام الله حقيقة.

كلام لفظي حادث: يدل على الكلام النفسي القديم، نطقاً أو كتابةً أو إشارةً، فكلام الله عندهم مركب من الكلام القديم القائم بذاته تعالى وهو الكلام الحقيقي، ومن الحروف المنظومة والأصوات المقطعة التى هي عبارة عن كلام الله ودلالات عليه وأمارات له، يقول الباقلاني: « فالكلام الحقيقي هو المعنى الموجود في النفس، لكن جعل عليه أمارات تدل عليه، فتارة تكون قولا بلسان على حكم أهل ذلك اللسان وما اصطلحوا عليه وجرى عرفهم به وجعل لغة لهم ... وقد يدل على الكلام القائم بالنفس الخطوط المصطلح عليها بين كل أهل خط، فيقوم الخط في الدلالة مقام النطق باللسان »[1] فالله عندهم متكلم منذ الأزل بكلام قديم قدم الذات، وإثبات الصفات عندهم لا يقتضي تشبيهاً أو تجسيماً فكل « ما وصف به خالق السماوات و الأرض

[1] الباقلاني ، الإنصاف ، ص94 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

من هذه الصفات أنه حق لائق بكماله وجلاله، لا يجوز أن ينفى خوفا من التشبيه بالخلق، وأن ما وصف به الخلق من هذه الصفات حق مناسب لحالهم وفنائهم وعجزهم وافتقارهم »[1].

هذه العقيدة في كلام الله، القائمة على الكلام النفسي كانت هي الموجه لمواقف الباقلاني وآرائه في تحديد مفهوم الإعجاز.

الإعجاز القرآني وقضية اللفظ والمعنى

اشتدّ الجدل بين العلماء حول قضية اللفظ والمعنى، وانقسموا حولها إلى مذاهب متعددة وآراء شتّى، فمنهم من قدم اللفظ على المعنى وجعله هدفا لذاته ، ومنهم من أرجع المزية إلى المعاني وجعلها الغاية، ومنهم من ساوى بينهما وجعلهما معاً المقياس لكل بلاغة أو فصاحة.

ولم تكن هاته القضية لتكسب هذا الاهتمام، لولا اتصالها بقضية الإعجاز التى شغلت الباحثين على اختلاف مشاربهم وأهوائهم من أصوليين وفقهاء، وبلاغيين ونقاد، وأدباء ومتكلمين ... محاولين تحديد مكمن الإعجاز في علاقته بقضية اللفظ والمعنى، ومنه انقسم الباحثون إلى:

- أنصار اللفظ: ورأيهم يقوم على القول بأن الإعجاز راجع إلى جمال اللفظ وحسن صياغته، وأن عجز العرب إنما هو في عدم قدرتهم على مجارات القرآن في استخدامه الألفاظ التى ركب منها كلامهم...
- أنصار المعنى: وهذا الرأي يقوم على أن مكمن الإعجاز هو في المعاني وفي ترتيب الألفاظ على طرق مخصوصة ، والقرآن إنّما أعجز العرب بروعة معانيه وعباراته.

ولم يكن المتكلمون في معزل عن هذا الانقسام ، بل كانوا من أبرز المشاركين فيه انطلاقا من خلفياتهم العقدية، فكل فرقة فسرت الإعجاز انطلاقا من أفكارها وأصولها المذهبية، ومن عقيدتها في كلام الله عز وجل وصفاته.

فالمعتزلة التى نفت الصفات جريا على أصلهم في تنزيه الله عن الشبيه اعتبروا الكلام من صفات الفعل المحدثة المخلوقة، وانطلاقا من هذا التصور لكلام الله قالوا إن الإعجاز كامن في الكلام المؤلف من هذه الأصوات، واهتموا بالألفاظ وتلاؤمها وبالسجع والبديع، ووجهوا عنايتهم لها، فبحثوا في الأساليب وحسن صياغتها، والألفاظ وسهولتها وخفتها يقول الجاحظ: « ومتى كان اللفظ كريما في نفسه متخيرا من جنسه، وكان سليما من الفضول بريئا من التعقيد حبب

---

[1] الشنقيطي، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، (البليدة: مؤسسة إتحاد المغرب العربي للتأليف والترجمة،1988)، ص12 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

إلى النفوس ، واتصل بالأذهان ، والتحم بالعقول، وهشت إليه الأسماع، وارتاحت له القلـوب، وخف على ألسن الرواة، وشاع في الأفاق ذكره ، وعظم في الناس خطره »[1].

ومنه رأينا الرماني في رسالته " النكت في إعجاز القرآن" يولي اهتماما كبيرا بهذا الجانـب إلى حد إرجاعه الإعجاز إلى وجوه بلاغية تعود إلى اللفظ.

وهذا لا يعني أن المعتزلة أنكروا قيمة المعاني إنكارا كليا ، أو أغفلـوا جماليـة اجتمـاع الألفاظ المنتقاة مع المعاني المختارة، يقول العتابي المعتزلي: « الألفـاظ أجـساد، والمعـاني أرواح؛ وإنما تراها بعيون القلوب، فإذا قدّمت منها مؤخرا أو أخرت منهـا مقـدما. أفـسدت الصورة وغيّرت المعنى؛ كما لو حوّل رأس إلى موضع يد، أو يد إلى موضع رجل، لتحوّلـت الخلقة وتغيّرت الحلية »[2].

أما الأشاعرة فعقيدتهم في كلام الله عز وجل قائمة على الكلام النفسي، وهي الموجه لهـم في موقفهم من قضية اللفظ والمعنى وعلاقتها بالإعجاز، فوجهوا نظرهم وعنايتهم إلى المعاني بحكم سبقها وأصالتها، لذلك فالمزية والحسن عندهم إنما ترجع إلى نظم المعاني لا في الألفاظ، فليس الهدف والقصد « بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل »[3].

وبذلك وجهوا عنايتهم وصرفوها إلى المعاني، وألحوا في دراسة الإعجـاز علـى معانيـه وتراكيبه، ومدى التفاوت بينهما، أما الألفاظ فهي تابعة لها وخادمة، يقول البـاقلاني: « فلـيس الإعجاز في نفس الحروف وإنما هو في نظمها وإحكام رصفها، وكونها على وزن ما أتى بـه النبي، وليس نظمها أكثر من وجودها متقدمة ومتأخرة ومترتبة في الوجود، وليس لهـا نظـم سواها، وهو كتتابع الحركات إلى السماء، ووجود بعضها قبل بعض، ووجود بعضها بعد بعض »[4] فالنظم دافع في المعاني وترتيب الكلام النفسي.

ولذلك لم يهتموا بقيمة البديع ومحسنات الألفاظ ، يقول الجرجاني مبينا أن فصاحة الكلام عائدة إلى المعنى و إلى النظم « فقد اتضح إذن اتضاحا لا يدع للشك مجالا أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافهـا

---

[1] الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج2 ، ص7-8.

[2] أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص161.

[3] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 41 .

[4] الباقلاني ، التمهيد ، ص178.177 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلم تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر »[1].

وبناءً على ذلك فقد ردّ على من اعتبر التلاؤم اللفظي والصوتي مقياسا ودليلا على الإعجاز قائلا: « وإن تعسف متعسف في تلاؤم الحروف فبلغ به أن يكون الأصل في الإعجاز وأخرج سائر ما ذكروه في أقسام البلاغة من أن يكون له مدخل أو تأثير فيما له كان القرآن معجزا، كان الوجه أن يقال له: إنه يلزمك على قياس قولك، أن تجوز أن يكون ها هنا نظم للألفاظ وترتيب، لا على نسق المعاني، ولا على وجه يقصد به الفائدة ثم يكون مع ذلك معجزا . وكفى به فسادا .

فإن قال قائل: إني لا أجعل تلاؤم الحروف معجزاً حتى يكون اللفظ مع ذلك دالا، وذاك أنه إنما يصعب مراعاة التعادل بين الحروف إذا احتيج مع ذلك إلى مراعاة المعاني... قيل له فأنت الآن إن عقلت ما تقول، قد خرجت من مسألتك، وتركت أن يستحق اللفظ المزية من حيث هو لفظ، وجئت تطلب لصعوبة النظم في مابين المعاني طريقاً، وتضع له علة غير ما يعرفه الناس. وتدعي أن ترتيب المعاني سهل، وأن تفاضل الناس في ذلك إلى حد، وأن الفضيلة تزداد وتقوى إذا توخى في حروف الألفاظ التعادل والتلاؤم وهذا منك وهم... »[2].

كما ردّ الباقلاني على الرماني المعتزلي وأنكر اعتباره وجوه البديع وفنونه ومحسناته اللفظية دليلا على الإعجاز، مقللا من أهميتها قائلا: « لأن هذه الوجوه إذا وقع التنبيه عليها، أمكن التوصل إليها بالتدريب والتعود و التصنع لها، وذلك كالشعر الذي إذا عرف الإنسان طريقه صح منه العمل له، وأمكنه نظمه. والوجوه التى تقول إن إعجاز القرآن يمكن أن يعلم منهما فليس مما يقدر البشر على التصنع له، والتوصل إليه بحال »[3].

وهذا لا يعني أن الأشاعرة أنكروا قيمة الألفاظ، أو جعلوها بمنأى عن الحسن والفضيلة يقول الجرجاني: « وأعلم أنا لا نأبى أن تكون مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان داخلا فيما يوجب الفضيلة، وأن تكون مما يؤكد أمر الإعجاز، وإنما الذي ننكره ونُفيِّل رأي من

---

[1] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص38 .

[2] نفسه ، ص48.47 .

[3] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص81.80 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

يذهب إليه أن يجعله معجزاً به وحده ويجعله الأصل والعمدة فيخرج إلى ما ذكرنا من الشناعات »[1].

ورغم هذا الخلاف الشديد، إلا أنه يبقى هيناً، جزئيا بالنظر إلى الهدف الأعظم، الذي جندت له طاقات كل الطوائف، لتثبيت عقائد المسلمين وحراستها، ومحاربة الملحدين والمشككين في معجزة الرسالة الخالدة.

مكانة الباقلاني بين الأشاعرة :

للباقلاني ومكانته بين الأشاعرة أثر قوي في نشر المذهب وذيوعه، حيث « انتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشعري »[2]، حتى غدا بذلك « سيف أهل السنة في زمانه ، وإمام متكلمي أهل السنة في زمانه، وإمام متكلمي أهل الحق في وقته، ولسان الأمة، المتكلم على مذهب المثبتة وأهل الحديث، وطريقة أبي الحسن الأشعري،و الباقلاني كان تلميذاً أميناً، لأبي الحسن الأشعري، مؤيداً منهجه واعتقاده وناصراً طريقته»[3].

يقول أحمد نور سيف مترجما المكانة التي تبوّأها الباقلاني بين علماء المذهب: « كان القاضي أبو بكر سنّيا في اعتقاده، من أعلام الأشاعرة بل كان الرجل الثاني بعد أبي الحسن الأشعري، و كان العامل القوي في تطوير المذهب الأشعري، و انتشاره بين المسلمين ثبّت دعائم المذهب، و شارك في تأصيله، إذ إنّه بعد وفاة الأشعري بيسير، استعاد المعتزلة بعض قوّتهم في عهد بني بويه، لكن الإمام ناصر السنّة أبا بكر الباقلاني قام في وجههم، و قمعهم بحججه، و دانت للسنة على الطريقة الأشعرية بلاد المسلمين» [4].

بل إنّه في كثير من الأحيان يتعرّض لقضايا دقيقة يخالف فيها أبا الحسن الأشعري،لذا فقد عدّ من أقرانه، ولذلك فقد « اعتمد القاضي عبد الوهاب عند شرحه لباب العقيدة في كتاب الرسالة لابن أبي زيد على شيخه أبي بكر الباقلاني في النقل من كتبه في العقيدة »[5]، باعتبار أنّه «أفضل تلاميذ المدرسة الأشعرية، الذي عمل على نصرة المذهب، وصار إماما لها بعد أن تناول المذهب الأشعري بالتهذيب، ووضع لمسائل العلم– المقدمات العقلية التي تتوقف عليها

---

[1] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص401 .

[2] القاضي عبد الوهاب، شرح عقيدة ابن أبي زيد ، ص103 .

[3] أحمد العمري ، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز، ص200.2001 .

[4] القاضي عبد الوهاب، شرح عقيدة ابن أبي زيد، ص103 .

[5] نفسه، ص105.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

الأدلة، و ذلك مثل إثبات الجوهر الفرد و الخلاء، و إنّ العرض لا يقوم بالعرض، إنّ العرض لا يبقى زمانين، و جعل الباقلاني هذه القواعد تبعا للعقائد الدينية في وجوب اعتقادها.»[1] بل إنّ المذهب الأشعري لم يكتب له الذيوع و الانتشار إلّا بعد ظهور كتبه، يقول ابن تيمية: «فإنّه انتشر – مذهب الأشاعرة – في أثناء المائة الرابعة لمّا ظهرت كتب أبي بكر الباقلاني و نحوه .[2]»

ويقول سفر الحوالي:« فالثابت تاريخيا أنّ مذهب الأشاعرة لم ينتشر إلّا القرن الخامس إثر انتشار كتب الباقلاني »[3]، وما ذلك إلا لأنّه « بلور مسائل المدرسة الأشعرية و صاغ آراءها في وضوح و دقة أمام آراء المدرسة الاعتزالية و بيّن أيضا وجوه الخلاف بين المدرستين في مسائل جوهرية، في علم الكلام عامة، و في إعجاز القرآن بخاصة ممّا يتّصل اتصالاً وثيقاً بأصول المبادئ عندهما »[4]، حملة كتبه بذلك علم كبير، و تحليلا منطقيا دقيقا نالت به منزلة رفيعة، فكتابه التمهيد مثلا يعدّ « من أهمّ الكتب الكلامية. التي تعلّق بها أهل السنة تعلّقا شديدا، لأنّه أجمع كتاب يبصّرهم بمسائل الخلاف بينهم و بين مخالفيهم في الرأي و العقيدة، و يرشدهم إلى أقوى الأدلة الجدلية، وأحكام البراهين العقلية، التي تعضد مذهبهم، وتظهر مناعته ورجاحته عن المذاهب الأخرى، إسلامية كانت أو غير إسلامية »[5].

فرجل هذه منزلته، وهذه مكانته بين أساطين علماء الكلام لابد أن يكون لعقيدته و فكره أثر في توجّهاته و آرائه المختلفة، وهذا ما سأحاول تبيينه من خلال كتابه إعجاز القرآن.

ملامح وآثار العقيدة في كتاب إعجاز القرآن:

ذكرنا فيما سبق أنّ لكلّ رأي أو قول أو نصّ ...خلفية فكرية توجهه و تحركه، و الباقلاني ليس بدعا من النّاس فهو مثلهم خاضع لمبدأ التأثر و التأثير، خاصة و قد اجتمعت له أمور كثيرة، كان لها الأثر البالغ في صبغ آرائه و أفكاره و توجهاته بصبغة عقدية كلامية مبنية على الأصول الأشعرية نذكر منها:

---

[1] أحمد العمري ، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز ، ص 199..

[2] ابن تيمية ، الاستقامة، تحقيق وتخريج سعيد نصر، (ط:1 ؛2000 الرياض: مكتبة الرشد)، ص 53.

[3] سفر الحوالي، منهج الأشاعرة في العقيدة،(القاهرة: مكتبة العلم)، ص 12.

[4] منير سلطان ، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة ص ، 103 .

[5] أحمد العمري ، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز ، ص 206..

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

- البيئة التي عاش فيها (القرن الرابع الهجري و ما يحمله من صراع بين الفرق و الطوائف حول قضايا منها قضية الإعجاز).
- تكوينه الشخصي (تعلّم على كبار الأشاعرة كما ذكرنا في ترجمته).
- تخصّصه (تخصّص في علم العقائد و علم الكلام و تبوّأ فيهما المكانة العالية).
- مكانته بين علماء المذهب الأشعري.
- المهام التي اضطلع بالقيام بها (الدفاع عن الدّين و العقيدة و القرآن – الوفادة و السفارة العلمية – المناظرات و المجادلات للمخالفين ...)، فقد كرّس جهده خاصة في كتابه "إعجاز القرآن" لأمرين:

- الأول: الدفاع عن القرآن الكريم، أمام كيد الكائدين و مزاعم الملحدين من أهل الملل الأخرى الطاعنين في القرآن الكريم.
- الثاني: الرّدّ على أهل الأهواء من الفرق الإسلامية خاصة المعتزلة ، الذين علّلوا الإعجاز بالصرفة أو بما فيه من وجوه البلاغة و ألوان البديع، مدفوع بغيرته الدينية و عقيدته المذهبية.

- تولّيه رئاسة الأشاعرة في الأصول، و رئاسة المالكية و الشافعية في الفروع (مع العلم أنّ أكثر المالكية و الشافعية أشاعرة).

إلى غيرها من الأمور التي شكّلت عناصر هامة في توجيه آرائه و صبغها باللون الذي نلمحه في ثنايا كتبه، و بذلك لم « يكن مفرّ من أن يتسرّب إلى تذوّق الباقلاني، الجدل المنطقي، و هو المتكلّم الأشعري، و أن يسيطر عليه الوعي الديني »[1].

و عليه يمكننا القول إنّ الباقلاني قد اندفع في مواقفه من قضية الإعجاز، متأثراً بموقف أصحابه الأشاعرة فهو أحد أعلامهم المنافحين عن المذهب، بما عُرف عنه من سعة علم وقوة في الجدل، وطبيعي من رجل هذا علمه ومكانته ومنزلته، ومنه فقد عرض آراء أصحابه في مسائل تتعلق بالإعجاز، مبنية على أصولهم ومبادئهم في تصور القضية، خاصة عقيدتهم في كلام الله عز وجل وخرج بهاته الآراء من التنظير إلى التطبيق العملي على القرآن الكريم والشعر العربي؛ مسهماً بذلك في ذيوعها ونشرها، ولعمله هذا أهمية كبيرة « لأنه يصدر عن أحد الأعلام المبكرين، الذين دافعوا عن المذهب. وأثّروا فيه بشخصيتهم، وخرجوا من

[1] منير سلطان ، مناهج في تحليل النظم القرآني ، ص 81.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

التنظـير الجدلي إلى التطبيق العملي، على القرآن الكريم، فـضمن لآراء الأشـاعرة الـذيوع والانتشار، إن قبولاً أو رفضاً. وليس هذا بالقليل »[1].

ويمكننا من خلال تصفحنا للكتاب أن نلتمس آثار العقيدة الأشعرية والتـي تؤكـد تمـسكه بأصول مذهبه والدفاع عنها وذلك من خلال ما يلي:

1- تصريحه بأنّ من أسباب تأليفه الكتاب هو الدفاع عن الدين وإثبات حجية القرآن وإعجازه، ورد ما يعرض من الطعن في وجه المعجزة القرآنية قائلاً: « ومن أهم ما يجب على أهل الدين كشفه، وأولى ما يلزم بحثه، ما كان لأصل دينهم قواماً، ولقاعدة توحيدهم عماداً ونظاماً، وعلى صدق نبيهم صلى الله عليه وسلم برهاناً ،ولمعجزته ثبتاً وحجة»[2]، وهذا طبعـاً علـى أصـول الأشعرية.

2- تصريحه بأن سبب اهتمامه بمعرفة إعجاز القرآن هو أن نبوة نبيّنا عليه السلام قـد بنيـت عليه ،وهو رأى الأشاعرة في ذلك خلافاً للمعتزلة كما مرّ معنا.

3- تردد ذكر رؤوس المذهب كأبي الحسن الأشعري، الذي ذكره تصـريحاً فيما لا يقل عـن أربعـة مواضع « ومن المتوقع أن يتردد رأي أبي الحسن الأشعري (ت 324 هـ)، ورأيـه الأرجح، فهو رأس المذهب، فعرض الباقلاني لقوله بنفي السجع من القرآن، وفي قدر المعجـز منه، وأن كل صورة قد عُلم كونها معجزة بعجز العرب عنها، وأن كون القرآن معجـزاً يُعلـم بالاستدلال »[3]، وذكره ضمناً مرات عديدة، كما تردد ذكر علماء المذهب بقوله "أصحابنا" أكثر من أربع مرات، كما تكرر كثيراً ذكر "أصولنا"-"مشايخنا"-"قولنا"... مما يدل على شدة تمسكه بآراء المذهب، يقول منير سلطان: « ونراه يعود إلى بقية الآراء الأشعرية ويـذكرها مـسبوقة بقوله "أصحابنا"أو "عندنا" أو "على أصولنا" أو "مشايخنا" »[4].

4- تعريضه بالمعتزلة تمشياً مع غيرته على مذهبه ، فيقبل ما يتماشى معه وينقض ما يخالفه ، فنجده ينتقص كتاب الجاحظ في الإعجاز ويصفه بالقصور، و يُعرض بذكر الرمـاني ويهـاجم قوله في الإعجاز، كما ردّ على القول بالصرفة وردّ على النظام وعباد بـن سـلمان وهـشام القرضي وأبي هاشم وغيرهم ممن وصفهم بـ"المخالفين لأصولنا".

---

[1] منير سلطان ، مناهج في تحليل النظم القرآني ، ص 54.

[2] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص 3-4.

[3] منير سلطان ، مناهج في تحليل النظم القرآني ، ص 54.

[4] السابق ، ص 54.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

يقول منير سلطان: « والتفت إلى كثيرٍ من آراء المعتزلة ليفندها ... وكذا رأي أبي هاشم الجبائي المعتزلي (ت 321)... ورفض قولهم في الصرفة كما رفض رأيهم في أن "بلوغ بعض نظم القرآن الرتبة التي لا مزيد عليها، غير ممتنع" وهناك الكثير من الآراء التي قوّض بها الباقلاني آراء المخالفين من وجهة نظر الأشاعرة»[1].

5- تكراره لأصل المخالفة بين نضم القرآن وكلام البشر حتى غدى فآسفة ظاهرة في كتابه وهذا بناء على أصل الأشاعرة في التفريق بين الكلام النفسي والكلام الحادث

6 ردّه للعمل بحديث الآحاد في العقائد موافقة للأشاعرة، وقد صرّح بذلك في معرض رده على حجة مخالفيه بأن القرآن لو كان معجزا لما اشتبه على ابن مسعود الفصل بين المعوذتين وبين غيرهما من القرآن وكذا اشتباه دعاء القنوت على بعضهم هل هو من القرآن أم لا؟ قائلا: « على أن الذي يروونه خبر واحد لابسكن إليه في مثل هذا ولا يعمل عليه »[2].

إلى غير ذلك من الإشارات الظاهرة والخفية مما يدل على تمسّكه بأصول المذهب الأشعري وخدمته لها.

وفي ختام هذا المبحث يمكن أن نقول إن الدوافع المذهبية والتوجهات العقائدية كانت وراء الخلاف بين المعتزلة والأشاعرة حول قضية الإعجاز و غيرها من القضايا اللغوية والبلاغية ، هاتان الفرقتان اللتان شكلتا معظم أهل الكلام ومنه جاءت معظم الأبحاث في مجال الإعجاز تأكيدا لأفكار أحد هذين المذهبين و دفاعا عنه و تفنيدا لحجج الخصوم و المخالفين.

و الباقلاني رأس من رؤوس الأشاعرة كان يهدف إلى دراسة قضية الإعجاز بطريقة فيها مباينة لما كان سائدا في عصره خاصة آراء المعتزلة، مستعيناً بمبادئ المذهب الأشعري، ومنطلقاً من مبادئه في بحثه لهاته المسألة، خاصةً عقيدة الأشاعرة في كلام الله عز وجل القائمة على الكلام النفسي، وقد رأينا شدة تقيده بالمذهب الأشعري، وتمسكه بآراء وأقوال أبي الحسن الأشعري ؛ فهو أحد أعلام الأشاعرة الذين نافحوا عن المذهب، بما عرف عنه من جودة استنباط، وقوة منطق وجدل، وطبيعي من رجل هذه نزعته، وهذه ثقافته أن يكون كتابه صورة لتفكيره وعقيدته.

---

[1] السابق ، ص 57.56.55 ، بتصرف يسير

[2] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص203 .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

على أن هذا الخلاف رغم كل ما فيه، إلا أن له آثاراً إيجابية عل الدراسات اللغوية عموماً، وعلى البلاغة العربية خصوصاً، حيث بذلت جهود كبيرة وجبارة، لدراسة الألفاظ والمعـــاني، وبحث مكمن الإعجاز، فلولا الدوافع العقدية ما كان لهاته القضية لأن تبلغ هذه الدرجـــة مـــن العناية والاهتمام، حيث شكلت هاته العقائد دافعاً ومعيناً لا ينفد ، تستمد منه البلاغـــة العربيـــة قواعدها وأصولها.

كما نشير في هذا المقام أيضاً إلى أن هذه التوجهات العقدية ما هي إلا فهم لنصوص القرآن الكريم، ونتيجة للنظر فيها، هذا الأخير الذي شكّل المعين الأعظم الذي استمدّت منـــه الثقافـــة العربية والإسلامية عناصر قوتها ورقيّها، واستمدّت منه أصول تفكيرها وعقائـــدها، فتأســـست عليه الحضارة الإسلامية وتوجّهت به ثقافتها ودراساتها اللغوية والبلاغيـــة و... فغـــدا بـــذلك المعجزة الخالدة لهذه الأمة.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

الخاتمة

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فعند هذا القدر انتهى صلب البحث، ووصلنا إلى خاتمته، وهي تتضمن أهم ما تمّ التوصل إليه من نتائج باختصار، وأبدأ بذكرها مرتبة على ضوء ترتيبها في البحث:

1- من أبرز الفئات التي أثرت تأثيراً كبيراً في تأسيس علم البلاغة وصياغته، وكان لها الفضل الذي لا ينكر في ذلك فئة المتكلمين، التي اضطلعت منذ فترة مبكرة للدفاع عن القرآن وبلاغته وأسباب إعجازه، والرد على خصومه والطاعنين فيه وكانت طبيعة دورهم في الدفاع عن الإسلام ومجادلة الخصوم تدفعهم إلى العناية بفن القول وأمور البيان، ومنه كانت البلاغة أداة لا بد منها، وسلاحاً لا غنى عنه في هذه المعركة، فعكفوا على العناية بمسائلها منذ فترة مبكرة جداً وقد برعوا فيها نظرياً وتطبيقياً.

2- من أبرز المتكلمين الأشاعرة الذين كان لهم جهد مبارك في إثراء الدرس البلاغي وعلى رأسهم الباقلاني خاصةً ما خلفه في كتابه إعجاز القرآن الذي يعد ثمرة ذوق رفيع وثقافة واسعة وإطلاع عميق مما ترك أثراً كبيراً في البلاغة والنقد، لما ضمنه من مباحث بلاغية هامة.

3- تميزت ثقافة الباقلاني بطابع فقهي كلامي، ساانده رافد أدبي نقدي ويرجع ذلك إلى تكوينه والبيئة التي عاش فيها.

4- رسم الباقلاني في كتابه منهجاً جديداً في دراسته للإعجاز إذ عوّل على دراسة الأثر الأدبي، أو النص القرآني على أنه وحدة متكاملة متجاوزاً التحليلات الجزئية، متبعا في ذلك المنهج الاستقرائي الوصفي في تصنيفه للأشكال والأساليب العربية من جهة، ومستعملا المنهج المقارن في موازنته بين النظم البشري والنظم القرآني من جهة أخرى، مؤكداً على النظم البديع والتأليف العجيب والبلاغة المتناهية إلى حد الإعجاز.

5- تمكن الباقلاني من خلال المنهج السابق من الوصول إلى نتائج طريفة، أضاف بها إلى جهود السابقين إضافات حفظت له مكانة راقية بين البلاغيين، ومن هذه الطرائف:

- إدراكه وتأكيده على سمة الوحدة الفنية والموضوعية في النظم القرآني.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

- إدراكه التأثير النفسي للقرآن الكريم.
- تلميحه إلى ما عُرف بالرؤيا الشعرية.
- إشارته إلى الإعجاز التصويري.

ولولا أنه كان مستغرقاً في الرد على الملحدين لكان له مع موضوعات البلاغة شأن آخر.

6- اعتمد في تحليله نظم القرآن على المنهج الكلامي وعلى الموازنة بين نظم القرآن ونظم البشر محتكماً إلى التذوق الأدبي.

7- الخلاف في قضية تقسيم مباحث علوم البلاغة، خلاف شكلي لفظي، وغرض التقسيم تعليمي، لم يؤد الثمرة المرجوة منه، بل على العكس أدى إلى جفاف الدراسات البلاغية جمودها.

8- مذهب الباقلاني في تقسيم مباحث علوم البلاغة هو مذهب المتقدمين إذ يطلق لفظ البديع على فنون البلاغة كلها ليشمل جميع الصور الفنية والأشكال البلاغية التي أطلق عليها المتأخرون مصطلح بلاغة.

9- مثّل القرن الرابع الهجري عصر ازدهار أدبي في البلاغة والنقد، وأصبح لفنون البلاغة طبيعة خاصة بسب مؤثرات بعضها عقيدي، وبعضها لغوي أدبي، وبعضها منطقي: أبرزها تأثير الدراسات القرآنية، وقضية الإعجاز، وقضايا النقد، والعقائد، والفلسفة، حيث تناولت فئات متعددة موضوعات البلاغة من الجانب الذي يهمها ومن الناحية التي تخدمها، وبالقدر الذي يحقق قصدها وغرضها.

10-ذكر الباقلاني ثلاثين لونا بلاغيا سماها بديعاً، وهي تشمل كل ما له علاقة بالبلاغة ولم يكن نظره فيها لغرض بلاغي وإنما هو غرض كلامي عقيدي لإثبات رأيه في الإعجاز.

11-كما كان له اهتمام خاص ونظرة فاحصة متأنية لموضوع السجع في القرآن الكريم، وكان موقفه منه تنزيه القرآن الكريم من هذا اللون من البديع وبدافع عقيدي.

12-الخلاف في قضية السجع يرجع إلى عدم تحقيق مناط النزاع وتحرير موضوع الخلاف، إذ الكل يسعى إلى إثبات إعجاز القرآن، وأن هذا اللون الواقع في القرآن معجز سواء سميناه سجعاً على رأي الأولين، أو فاصلة على رأي الآخرين، كما أنّ طبيعة السجع في ذلك العصر أمدّت أسباب الخلاف حوله وأذكتها، بالإضافة إلى بعض

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

الخلفيات العقيدية. لكن القصد هو إثبات الإعجاز وتنزيه القرآن عن كل ما يوهم نقصه أو مشابهته لكلام البشر، على أن الأولى هو إفراد هذا اللون بمصطلح خاص بالقرآن تشريفاً له، ورفعاً للتوهم، وتحقيقاً للدقة والوضوح في معالجة مثل هذه القضايا بالإضافة إلى تأكيد الفرق بين نظم القرآن الكريم ونظم غيره من الكلام وذلك فيه ما فيه من تجنب الإيهام بمشابهة كلام البشر أو الكهان كما فيه انسجام مع إشارات القرآن كقوله تعالى: ﴿ **آيات مفصلات** ﴾[-آية] وقوله تعالى: ﴿ **كتاب فصلناه** ﴾[-آية]

13-أن الآراء والأفكار تصدر عن عقائد الإنسان وتصوراته الفكرية وهذا يثبته الواقع وتُلجأ إليه الضرورة النفسية، ومنه فقد عالج المعتزلة والأشاعرة وغيرهم قضاياهم من خلال تصوراتهم للذات الإلهية وصفاتها .

14-ترجع أصول المعتزلة والأشاعرة التي لها علاقة بالإعجاز في أغلبها إلى أصلين:

1- بناء دليل النبوة على إثبات الإعجاز.

2- عقيدتهم وقولهم في كلام الله عز وجل.

وكذلك كانت أراء الباقلاني على ضوء رأيه في الأصلين السابقين.

15-نالت قضية العلاقة بين اللفظ والمعنى أهمية كبرى في بحوث البلاغيين لعلاقتها بالإعجاز؛ فذهب أنصار اللفظ إلى أنّ مكمن الإعجاز راجع إلى اللفظ وحسن صياغته، وأن عجز العرب راجع إلى عدم قدرتهم على مجارات القرآن في استخدامه الألفاظ التي ركب منها كلامهم، وذهب أنصار المعنى إلى أن مكمن الإعجاز هو في المعاني وفي ترتيب الألفاظ على طرق مخصوصة .

16- للباقلاني مكانة كبيرة بين الأشاعرة حيث انتهت إليه رئاسة المذهب، وكان له الفضل الأكبر في نشر المذهب وذيوعه، لذا فقد كان لعقيدته وفكره أثر في توجهاته وأرائه المختلفة، لما اجتمع له من أمور (تتعلق بالبيئة و بالتكوين الشخصي والمكانة والمهام التي اضطلع بالقيام بها...).

17- الباقلاني رأس من رؤوس الأشاعرة، كان يهدف إلى دراسة قضية الإعجاز بطريقة فيها مباينة لما كان سائداً في عصره خاصة آراء المعتزلة في ذلك، مستعيناً بمبادئ المذهب الأشعري ومنطلقاً من مبادئه في بحثه لهذه المسألة وهذا ما يظهر من خلال كتابه إعجاز القرآن.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

18- هذا الخلاف بين المتكلمين رغم ما فيه فإن له أثاراً إيجابية على الدراسات اللغوية عموماً والبلاغية خصوصاً، حيث بذلت جهود جبارة لدراسة الألفاظ والمعاني وبحث مكمن الإعجـــاز ولولا الدوافع العقيدية- التي ما هي إلا صورة من صور فهم النص ونتيجة للنظر فيه- ما كان لهاته القضية أن تبلغ هذه الدرجة من العناية والاهتمام.

19- القرآن الكريم شكل معيناً لا ينفد استمدت منه الثقافة العربية الإســـلامية عناصـــر قوتهـــا ورقيها، واستمدت منه أصول تفكيرها وعقائدها، وتأسست عليه الحضارة الإسلامية وتوجهـــت في ضوئه دراساتها اللغوية والبلاغية ... وغدا بذلك المعجزة الخالدة لهذه الأمة .

هذا ما توصلت إليه من نتائج خلال هذا البحث

أسأل الله تعالى أن يثيبني على ما توصلت إليه من صواب، وأن يغفر لي ما أخطأت فيـــه، وألاّ يحرمني أجر الاجتهاد، إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

وصلى الله وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

الفهرس

فهرس المحتويات
فهرس الآيات
فهرس الأبيات الشعرية
قائمة المصادر والمراجع

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

فهرس المحتويات

المقدمة	أ_ز
التمهيد :	
المتكلمون والبلاغة	08
المبحث الأول: إسهام المتكلمين في مباحث علوم البلاغة.....	09
أهم إسهامات المتكلمين في الدرس البلاغي:.....	10
وضع القواعد والأصول:.....	10
جهود عمرو بن عبيد المعتزلي (ت 144هـ) البلاغية	11
جهود بشر بن المعتمر (ت210 هـ) في صحيفته.....	11
جهود الجاحظ (ت255هـ) في تأسيسه علوم البلاغة.....	12
جهود الباقلاني (ت 403هـ) في كتابه إعجاز القرآن.....	13
جهود البصري المعتزلي (ت436 هـ)	14
جهود عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) في تأسيسه علمي المعاني و البيان:..	14
جهود الزمخشري (ت583هـ)وتطبيقاته في تصوير بلاغة القرآن :.....	15
التراث البلاغي في كتب الإعجاز:.....	16
كتاب النكت في إعجاز القرآن للرمـــاني (ت382هـ)	17
كتاب إعجاز القرآن للبـــاقلاني(ت403هـ):.....	18
المبحث الثاني: أسباب اهتمام المتكلمين بعلوم البلاغة.....	21
أهمية علوم البلاغة وضرورتها لفهم القرآن الكريم وحفظه من الخطأ	21
ارتباط علوم البلاغة بقضية الإعجاز القرآني	23
اتخاذ علوم البلاغة وسيلة لنشر العقائد و الدفاع عنها	
اتصال علوم البلاغة بأساليب الخطابة و الجدل والمناظرة.....	25
الدفاع عن العرب والعربية ضدً النزعة الشعوبية.....	29

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

تمدن العرب واستقرارهم.....	30
أثر الترجمة.....	32
المبحث الثالث: وجوه إعجاز القرآن الكريم	32
تعريف الإعجاز.....	34
المؤلفات في إعجاز القرآن الكريم.....	35
وجوه إعجاز القرآن الكريم (إعجاز البلاغة والنظم)	35
الفصل الأول:	37
الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن.....	
المبحث الأول: ترجمة الإمام الباقلاني.....	42
نسبه، مولده ونشأته، شيوخه،	43
مناظراته	43
نشاطه العلمي و تلامذته.....	44
ملامح عصره الفكرية	48
تصانيفه ومؤلفاته.....	49
مناقبـــه و آراء العلماء فيه، وفاته.....	50
المبحث الثاني: التعريف بكتاب إعجاز القرآن.....	53
توثيق نسبة الكتاب، أسباب تأليفه ودوافعه.....	58
منهجه وخطّته في الكتاب.....	58
فصول الكتاب وأبوابه.....	60
المباحث البلاغية فيه.....	61
رأي الباقلاني في الإعجاز.....	68
قيمة الكتاب و أثره.....	69
إدراكه سمة الوحدة الفنية و الموضوعية في النظم القرآني:.....	76
02- إدراكه التأثير النّفسي للقرآن الكريم:.....	77
03- شمول مدلول لفظ البديع و سعته عند الباقلاني:	79
04- بلاغة الحقيقة عند الباقلاني	80

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

05- إشارته إلى الرؤية الشعرية	81
06- دور اللفظ ومكانته في التعبير.....	82
07- إشارته إلى الإعجاز التصويري.....	82
08- آراء العلمـــــــاء فـــي الكتـــاب:.....	83
المبحث الثالث: أسس التحليل عند الباقلاني ومنهجه في إثبات الإعجاز.....	84
الالتزام بالمنهج الكلامي.....	92
الموازنة بين النظم القرآني والنظم البشري.....	92
الاحتكام إلى التذوّق الفنّي	94
نموذج من تحليل الباقلاني للقرآن الكريم:.....	94
الفصل الثاني:	96
الباقلاني والبديع	
المبحث الأول: علاقـــة مباحـــث علوم البلاغـــة بعضهـــا ببعـــض.....	100
1- مباحث علـــوم البلاغـــة :	101
علم المعانـــي : (تعريفـــه – موضوعاته)	101
علم البيـــــان (تعريفه،موضوعا ته).....	102
علم البديـــــع (تعريفه،موضوعا ته).....	104
علاقة مباحث علم البيان بمباحث علم المعاني:.....	105
مذهب التداخل.....	106
مذهب الفصل	106
علاقة مباحث علم البديع بمباحث علمي المعاني والبيان:.....	107
مذهب التداخل.....	108
مذهب الفصل	108
السكاكي وتقسيمه الثلاثي لعلوم البلاغة	110
نقد رأي الفصل بين مباحث علوم البلاغـــــة	110
المبحث الثاني: طبيعة علوم البلاغة في عصر الباقلاني.....	112
- تأثير القرآن الكريم والدراسات القرآنية	117

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

– تأثير قضية الإعجاز القرآني	118
– تأثير قضايا النقد من خلال اختلاطها بمسائل البلاغة	121
– تأثير القضايا الكلامية والعقيدية	122
– تأثير المنطق والفلسفة	124
المبحث الثالث: مباحث البديع عند الباقلاني.....	126
الاستعارة:	129
الكلمات الجامعة الحكيمة والألفاظ الفصيحة والألفاظ الإلهية:.....	130
الكناية	132
التشبيه	133
الغلو.....	133
المماثلة.....	134
المطابقة	135
التجنيس	136
المقابلة	137
الموازنة.....	137
المساواة	138
الإشارة	138
المبالغة والغلو	139
الإيغال	139
التوشيح.....	140
صحة التقسيم	140
صحة التفسير.....	141
التكميل و التتميم.....	142
الترصيع	142
التكافؤ:.....	142
التعطف	143

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

السلب والإيجاب	143
الكناية و التعريض	143
العكس و التبديل.....	143
الإلتفات	143
التذييل.....	144
الاستطراد.....	145
التكرار.....	145
تأكيد المدح بما يشبه الذم.....	146
ملاحظات على فصل البديع في الكلام	146
الفصل الثالث:	149
موقف الباقلاني من السجع في القرآن وأثر الأشاعرة في توجيه آرائه.....	
المبحث الأول: أسلوب السجع.....	155
تعريفه.....	156
أنواعـــــه.....	157
المطـــرف.....	157
المرصـــع.....	157
المتـــوازي.....	158
المماثلـــة.....	158
التشطـــير	158
التصريـــع	159
سجع قصير.....	159
سجع طويل.....	160
شروط السجع:	160
بـــين الفاصلة والسجع والقافية.....	161
الفقرة والقرينة.....	162
آثـــــار السجـــع علـــى اللغـــة والأدب.....	164

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

المبحث الثاني: مناقشة رأي الباقلاني في السجع	164
موقفه وموقف الموافقين	167
الآراء المؤيدة لمذهب الباقلاني في نفي السجع عن القرآن الكريم:.....	167
موقف المعارضين تحديد موضع النـــزاع، ترجيح واستنتاج.....	171
المبحث الثالث: أثر عقيدة الأشاعرة في توجيه آراء الباقلاني.....	172
الأثر النفسي والواقعي للعقائد.	184
أصول عقائد المعتزلة والأشاعرة التى لها علاقة بالإعجاز.(كلام الله عز وجل بين المعتزلة والأشاعرة وأصل مذاهبهم في ذلك)	185
الإعجاز القرآني وقضية اللفظ والمعنى.....	192
مكانة الباقلاني بين الأشاعرة.....	196
تلمس آثار العقيدة في كتابه إعجاز القرآن.....	200
الخاتمة	202
الفهرس.....	207
فهرس "الآيات، الأبيات الشعرية، المصادر والمراجع، المحتويات".....	213 /214 237

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

فهرس الآيات

نص الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ	**البقرة**	26	26
أَنبِئُونِي بِأَسْمَآءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ	.....	32ـــ31	46
فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّار	.....	175	135
وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ	.....	179	132/80
وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَام	.....	204	ب
اللهُ وَلِيُّ الذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ...	.....	257	141
وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ	.....	286	47
وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً...	**النساء**	72	71
يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ...	**المائدة**	04	81
فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ	.....	39	140
أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ	.....	50	163
وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ	.....	50	163
ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ	**الأعراف**	55	172
رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ	.....	122	167
ءَايَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ	.....	133	129148
كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ	**هود**	01	39
وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ	.....	10ـــ09	160
فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيا	**يوسف**	80	150/80
وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ	.....	82	186
وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ	**الرعد**	31	139
وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ	**إبراهيم**	04	195

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِن شَيءٍ يَتَفَيَّؤُ ظِلاَلُهُ	**النحل**	49-48	146
وَمَا بِكُمْ مِن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ		53	138/80
ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ		53	132
انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ	**الإسراء**	21	141
أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِ		24	131
قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا		50	46
فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ	**الكهف**	77	186
قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ		109	38
وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبا	**مريم**	4	131
فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ	.....	97	ب
وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي	**طه**	39	188
لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ		61	141
هَارُونَ وَمُوسَى		70	167
أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ	**الحج**	55	131
يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ		61	144
نُورٌ عَلَى نُورٍ	**النور**	35	131
إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا	**الفرقان**	12	135
وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ	**الشعراء**	192.194	ب
وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ	**النمل**	44	137
وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ		91	132/80
إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا...	**القصص**	08ـ04	145
خَاطِئِينَ			
فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ	**الروم**	43	137
إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ	**لقمان**	34	142

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

وَءَايَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ	**يس**	37	131
وءاتَيْنَاهُمَا الكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ . وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ	**الصافات**	117.118	158
اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ ...	**الزمر**	23	71
وَالسَّمَواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ		27	188
حَم .تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . غَافِرِ	**غافر**	3ـ1	96/80
كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ		05	96
وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ		05	96
الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ		07	97
هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِـــهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَـــاءِ		13	97
فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ		16ـ14	97
لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ		16	150/80
الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ		17	98
وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ		20ـ18	98
كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَاناً عَرَبِياً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ	**فصلت**	03	172/93
إِنَّ جَعَلْنَاهُ قُرْءَاناً عَرَبِياً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ	**الزخرف**	03	93
وَإِنَّهُ فِيَ أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ		04	131
بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ		58	ب
يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن	**ق**	30	134
وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى	**النجم**	02ـ01	160
اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِن يَرَوْا ءَايَةً	**الْقَمَر**	02ـ01	164
فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ . وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ . وَظِلٍ	**الواقعة**	30ـ28	160
تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ	**الملك**	08	135

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ	**القلم**	42	46/25
خُذُوهُ فَغُلُّوهُ . ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ	**الحاقة**	31ـــ30	160
مَالَكُمْ لاَ تَرْجُونَ للهِ وَقَاراً . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً	**نوح**	14ـــ13	157
وَثِيَابَكَ فَطَهِرْ	**المدثر**	04	135
وَالْمُرْسَلَتِ عُرْفاً . فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً	**المرسلات**	02ـــ01	160
إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ	**الانفطار**	14ـــ13	158
وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ. والْيَوْمِ الْمَوْعُودِ. وَشَاهِدٍ وَ	**البروج**	03ـــ01	138
فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ. وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ وَ نَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ. وَ زَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ	**الغاشية**	13 16ـــ15	158 158
وَجَآءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً	**الفجر**	22	189/25
فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا	**الانشراح**	06ـــ05	146
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ...	**الفيل**	02ـــ01	160
قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ	**الكافرون**	01	146

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

فهرس الأبيات الشعرية

الأبيات		الصفحة
وَأَفْعَالُنَا للرَّاغبينَ كَرَامَةٌ	وَأَمْوَالُنَا للطَّالبينَ نُهَابُ	158
كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا	وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ	134
تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللهِ مُنْتَقِمُ	لِلهِ مُرْتَقِبٌ فِي اللهِ مُرْتَغِبُ.	159
حَلِيمٌ إِذَا مَا الحِلْمُ زَيَّنَ أَهْلَهُ	مَعَ الحِلْمِ فِي عَيْنِ العَدُوِّ مَهِيبُ	147
فَأَحْجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَعاً	وَأَقْدَمَ لَمَّالَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبَا	159
صَرَمْتُ وَلَمْ أُصْرِمْكُمْ وَ كَصَارِمٍ	أَخٍ قَدْ طَوَى كَشْحاً وَآبَ لِيَذْهَبَا	145
فَخَيْبَةُ مَنْ يَخِيبُ عَلَى غَنِيٍّ	وَبَاهِلَةَ بن أَعْصُرَ وَالرَّبَابِ	139
وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ	بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ	146
تَقُدُّ السَّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ	وَيُوقِدْنَ بِالصِّفَاحِ نَارَ الْحُبَاحِبِ	134
كَأَنَّ عُيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا	وَأَرْحُلُنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثْقَبِ	133
فَظَلَّ لَنَا يَوْمٌ لَذِيذٌ بِنِعْمَةٍ	فَقُلْ فِي مَقِيلٍ نَحْسُهُ مُتَغَيَّبِ	139
إِذَا مَا عَقَدْنَا لَهُ ذِمَّةً	شَدَدْنَا العِنَاجَ وَعَقْدَ الكَرَبْ	145
فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقَتْنِي رِمَاحُهُمْ	نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَّتِ	135
وَلِي فَرَسٌ لِلْحِلْمِ بِالْحِلْمِ مُلْجَمٌ	وَلِي فَرَسٌ لِلْجَهْلِ بِالْجَهْلِ مُسْرَجُ	142
لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مَنْ كَرَمٍ	قَوْمٌ بِأَوَّلِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا	140
وَإِنْ يَأْكُلُوا لَحْمِي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ	وَإِنْ يَهْدِمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدا	141
وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفَظْتُ غُيُوبَهُمْ	وَإِنْ هُمْ هَوَوْا غَيِّي هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدا	141
وَإِنْ زَجَرُوا طَيْراً بِنَحْسٍ تَمُرُّ بِيزَجَرْتُ لَهُمْ طَيْراً تَمُرُّ بِهِمْ سَعْدا		141
بِمَنْ لَوْ رَآهُ غَائِباً لَفَدَيْتُهُ	وَمَنْ لَوْ رَآنِي غَائِباً لَفَدَانِي	141
أَبْقَى الْحَوَادِثَ وَالْأَيَّامَ مِنْ نَمِرٍ	إِسْنَادُ سَيْفٍ قَدِيمٍ أَثَرُهُ بَادِي	134
تَنَصَّلَ رَبُّهَا مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ	إِلَيْكَ سِوَى النَّصِيحَةِ وَالوِدَادِ	147

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

فَتًى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الأَعَادِيَا	137
تَجَلَّى بِهِ رُشْدِي وَأَثْرَتْ بِهِ يَدِي وَفَاضَ بِهِ ثَمَدِي وَأَوْرَى بِهِ زَنَدِي	157
ظَلَلْتُ تَحْفِرُ عَنْهُ إِنْ ضَرَبْتَ بِهِ بُعْدَ الدِّرَاعَيْنِ وَالْقِدَّيْنِ وَالْهَادِي	134
بِكُلِّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشْــفَ مَا بِنَا عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ	145
جَوَّابُ قَاصِـــيَةٍ جَــزَّازُ نَاصِيَةٍ عَقَّادُ أَلْوِيَةٍ لِلْخَيْلِ جَـــــرَّارُ	142
حَامِي الْحَقِيقَةِ مَحْمُودُ الْخَلِيقَةِ مَهْــ دِيُ الطَّرِيقَةِ نَفَّاعٌ وَضَــرَّارُ	142
وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارُ	136
دِيَارُ نَوَارٍ مَا دِيَارُ نَوَارِ كَسَوْنَكِ شَجْواً هُنَّ مِنْهُ عَوَارُ	142
فَلاَ الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ وَالْجِدُّ مُقْبِلٌ وَلاَ الْبُخْلُ يُبْقِي الْمَالَ وَالْجِدُّ مُدْبِرُ	136
وَلَوْ أَنَّ مُشْتَاقاً تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وُسْعِهِ لَمَشَى إِلَيْكَ الْمِنْبَرُ	134
يَا مِنَّــةً إِمْتَنَّــهَا السُّكْــرُ مَــا يَنْقَضِــي مِنِّي لَهَا الشُّكْــرُ	142
وَمَا بِي انْتِصَارُ إِنْ عَدَا الدَّهْرُ ظَالِماً عَلَيَّ، بَلَى إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِكَ النَّصْرُ	145
عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ	141
فَلاَ تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا وَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا	139
بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَسَنَاؤُنَا وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا	140
أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا حَفْصٍ رَسُولاً فِدًى لَكَ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ إِزَارِي	135
فَسِرِّي كَإِعْلاَنِي وَتِلْكَ سَجِيَّتِي وَظُلْمَةُ لَيْلِي مِثْلُ ضَوْءِ نَهَارِيَا	136
لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مِعْشَارَ جُودِهَا عَلَى الْبَرِّ صَارَ الْبَرُّ أَنْدَى مِنَ الْبَحْرِ	140
فَقَالَ فَرِيقُ الْقَوْمِ: لاَ وَفَرِيقُهُمْ نَعَمْ، وَفَرِيقٌ قَالَ: وَيْحَكَ مَا نَدْرِي	141
لَهُ هِمَمٌ لاَ مُنْتَهَــى لِكِبَارِهَــا وَهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ مِنَ الدَّهْــرِ	140
وَإِذَا حَدِيثٌ سَاءَنِي لَمْ أُكْتَئِبْ وَإِذَا حَدِيثٌ سَرَّنِي لَمْ أَشْرَزِ	137
إِنْ هُمْ طَاوَعُوكِ فَطَاوِعِيهِمْ وَإِنْ عَاصُوكِ فَاعْصِي مَنْ عَصَاكِ	139
إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئاً فَدَعْهُ وَجَاوِزْهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ	141
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ فَضُرَّ؛ فَإِنَّمَا يُرْجَى الْفَتَى كَيْمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعَا	136
اِصْبِرْ عَلَى حَرِّ اللِّقَا وَمَضَضِ النِّــزَالِ وَشِدَّةِ الْمِصَاعِ	138

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

رِجَالٌ إِذَا لَمْ يَقْبَلُوا الْحَقَّ مِنْهُمْ	وَيُعْطَوْهُ عَادُوا بِالسُّيُوفِ الْقَوَاطِعِ	142
وَأَنْظُرْ إِلى صَارِمِ الِإسْلاَمِ مُنْغَ	وَأَنْظُرْ إِلى عدَّةِ الإِسْلاَمِ فِي الصَّـــدَفْ	57
أَنْظُرْ إِلى جَبَلٍ تَمْشِي الرِّجَالُ بِهِ	وَأَنْظُرْ إِلى الْقَبْرِ مَا يَحْوِي مِنَ الصَّـــلَفْ	57
أَهُزُّ بِهِ فِي نَدْوَةِ الْحَيِّ عِطْفَهُ	كَمَا هَزَّ عِطْفِي بِالْهِجَانِ الأَوَارِكِ	137
مَهَا الوَحْشِ إِلاَّ أَنَّ هَاتَا أَوانِسُ	قَنَا الخَطِّ إِلاَّ أَنَّ تِلْكَ ذَوَابِلُ	159
فَمَا يَرْتَقِي التَّكْيِيفُ فِيهَا إِلى مَدَى	يَحـــدُّ بِهِ إِلَّا وَمِـــنْ قَبْـــلِهِ قَبْـــلُ	139
بِعَزْمَةِ مَأْمُورٍ مُطِيعٍ وَآمِرِ	مُطَاعٍ فَلاَ يُلْفِي لِحَزْمِهِمْ مَثَلُ	136
وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ فِي القَوْلِ مِدْحَةً	وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلاَّ الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ	140
تَوَهَمْتُهَا فِي كَأْسِـــهَا فَكَأَنَّمَـــــا	تَوَهَّمْتُ شَيْئاً لَيْـــسَ يُدْرِكُهُ الْعَقْلُ	139
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُقْصِرْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَنَا	أَصَبْتَ حَلِيماً أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلُ	138
وَأَحْمَرُ كَالدِّيبَاجِ أَمَّا سَمَاؤُهُ	فَرِيّاً وَأَمَّا أَرْضُهُ فَمُحُولُ	143
		140
وَنُنْكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُم	وَلاَ يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ	143
وَمَا ضَرَّنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا	عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ	136
أَلَيْسَ قَلِيلاً نَظْرَةٌ إِنْ نَظَرْتُهَا	إِلَيْكِ وَكُلاً لَيْسَ مِنْكِ قَلِيلُ	144
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلاَّ تَعُلُّلُ سَاعَةٍ	قَلِيلاً فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا	141
وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا كَانَ فِينَا	وَنُتْبَعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ مَالاَ	139
إِنَّ الكَلاَمَ لَفِي الفُؤَادِ وَإِنَّمَا	جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الفُؤَادِ دَلِيلاً	194
كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيَابِسا	لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَّابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي	133
وَذِي إِخْوَةٌ قَطَّعْتُ أَرْحَامَ بَيْنِهِمْ	كَمَا تَرَكُونِي وَاحِداً لاَ أَخَا لِيَا	138
بِأَطْرَافِ الْمُثَقَّفَةِ العَوَالِي	تَفَرَّدَتَا بِأَوْسَاطِ المَعَالِي	159
سَلِيمُ الشَّطَا عَبْلُ الشَّوَى شَنَجُ النَّسَا	لَهُ حجبَاتٌ مُشْرِفَاتٌ عَلَى الْفَالِ	139
وَبَاسِطُ خَيْرٍ فِيكُمْ بِيَمِينِهِ	وَقَابِضُ شَرٍّ عَنْكُمْ بِشِمَالِيا	136
وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي	بِسَهْمَيْكِ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ	135
فَنَحْنُ فِي جَدْلٍ وَالرُّومِ فِي وَجَلٍ	وَالبَرُّ فِي شُغُلٍ وَالبَحْرُ فِي خَجَلِ	158
فَدَعَوْا نِزَالِ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ	وَعَلاَمَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ	145

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

إذَا مَا الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ تَرَضَّتْ	تَعَرَّضَ أَثْنَاءُ الْوِشَاحِ الْمُفَصَّلِ	94
أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي	وَأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ	150
وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا	بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ	131/80
أَفَاطِمُ مَهْلاً بَعْضَ التَّدَلُّلِ	وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي	150
سَقَى الرَّمْلَ جَوْنٌ مَسْتَهِلٌ غَمَامُهُ	وَمَا ذَاكَ إِلاَّ حُبُّ مَنْ حَلَّ بِالرَّمْلِ	141
فَلَوْ شَاءَ قَوْمِي كَانَ حِلْمِي فِيهِمُ	وَكَانَ عَلَى جُهَّالِ أَعْدَائِهِمْ جَهْلِي	138
أَلَمْ نَجْزَعْ عَلَى الرُّبْعِ الْمُحِيلِ	وَأَطْلاَلٍ وَآثَارٍ مُحُولِ	142
وَأَحْمَرُ كَالدِّيبَاجِ أَمَّا سَمَاؤُهُ	فَرِيّاً، وَأَمَّا أَرْضُهُ فَمُحُولُ	133
أَتَنْسَى إِذْ تُوَدِّعُنَا سُلَيْمَى	بِفَرْعِ بِشَامَةِ سُقِيَ الْبَشَامُ	144
مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحٍ	سُقِيتِ الْغَيْثَ أَيَّتُهَا الْخِيَامُ	144
قِفْ بِالدِّيَارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا الْقِدَمُ	نَعَمْ، وَغَيَّرَهَا الأَرْوَاحُ وَالدِّيَمُ	144
تَرَكَ الأَحِبَّةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ	وَرَمَى بِرَأْسِ طِمِرَّةٍ وَلِجَامِ	146
فَلَيْسَ الَّذِي حَلَّلْتَهُ بِمُحَلَّلٍ	وَلَيْسَ الَّذِي حَرَّمْتَهُ بِحَرَامِ	140
إِنْ كُنْتِ كَاذِبَةَ الَّتِي حَدَّثْتِنِي	فَنَجَوْتِ مَنْجَا الحَرْثِ بْنَ هِشَامِ	146
وَهُمْ تَرَكُوكَ أَسْلَحَ مِنْ حُبَارَى	رَأَتْ صَقْراً وَأَشْرَدَ مِنْ نَعَامِ	139
فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا بِلُبَانِهِ	وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ	134
لَقَدْ كُنْتُ فِيهَا يَا فَرَزْدَقُ تَابِعاً	وَرِيشُ الدُّنَابِي تَابِعٌ لِلْقَوَادِمِ	146
لَوْ يَعْلَمُ الرُّكْنُ مَنْ قَدْ جَاءَ يَلْثِمُهُ	لَخَرَّ يَلْثِمُ مِنْهُ مَوْطِئَ الْقَدَمِ	134
وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزِّجَاجِ فَإِنَّهُ	يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ	135
بَعِيدَةٌ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلٍ	أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمِ	133
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ	وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ	139
إِذَا أَيْقَظَتْكَ حُرُوبُ الْعِدَا	فَنَبِّهْ لَهَا عُمَراً ثُمَّ نَمِ	143
وَإِذَا الدُرُّ زَانَ حُسْنَ وُجُوهٍ	كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكَ زِينُهُ	143
يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةٍ	وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانَا	136
لَيْتَ حَظِّي كَلَحْظَةِ الْعَيْنِ مِنْهَا	وَكَثِيرٌ مِنْهَا الْقَلِيلُ الْمُهَنَّا	144
هَلاَّ سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْـ	ـدَةَ يَوْمَ وَلَّوْا أَيْنَ أَيْنَا	146

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

مِخَشٍّ مِجَشٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً	كَتَيْسِ ظِبَاءِ الْحَلْبِ فِي الْعَدَوَانِ	142
وَكَانَتْ فُزَارَةُ تُصْلَى بِنَا	فَأَوْلَى فُزَارَةَ أَوْلَى لَهَا	146
لِي حِيلَةٌ فِيمَنْ يَنُـــمُـــ	ـــــمِ وَلَيْسَ فِي الكَذَّابِ حِيلَهْ	145
مَنْ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقُـــــو	لُ فَحِـــــيلَتِي فِيهِ قَلِيـــــلَهْ	145
فَتًى كَمُلَتْ أَخْلاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ	جَوَادٌ فَلا يُبْقِي مِنَ المَالَ بَاقِيا	146

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الباقلاني: **إعجازا لقرآن**. تحقيق السيد أحمد صقر. ط5؛ القاهرة: دار المعارف.

مصدر الدراسة

- الباقلاني : **إعجاز القرآن**. تحقيق أبو بكر عبد الرازق؛ القاهرة:مكتبة مصر

مصدر مساعد في الدراسة

- ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**. تحقيق كامل عويضة. ط1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1998 .
- الأعشى الكبير، ميمون بن قيس. **ديوانه**.شرح وتقديم مهدي ناصر الدين.بيروت:دار الكتب العلمية،1989.
- إسماعيل، محمد بكر، **دراسات في علوم القرآن**. ط 2؛ القاهرة: دار المنار للطباعة، 1999.
- امرى القيس.**ديوانه**.تحقيق حنا الفاخوري بمؤازرة وفاء الباني.بيروت:دار الجيل
- الباقلاني، أبي بكر محمد بن الطيب. **التمهيد.الإنصاف**. تحقيق محمد زاهد الكوثري. ط3 ؛القاهرة : مكتبة الخانجي، 1993.
- البحتري.**ديوانه**.بيروت:دار بيروت،1983.
- بشار،بن برد.**ديوانه**.تقديم وشرح صلاح الدين الهواري. بيروت: مكتبة الهلال،1997.
- بشر، كمال.**علم اللغة الاجتماعي**. ط3 ؛القاهرة: دار غريب للنشر،1997.
- بكري إسماعيل ، دراسات في علوم القرآن، (القاهرة : دار المنار ، ط:2 ؛ 1999) .
- بغدادي، بلقاسم. **المعجزة القرآنية**. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي الخطيب. **تاريخ بغداد**. المدينة المنورة: المكتبة السلفية.
- تأبط شرا.**ديوانه واخباره**.جمع وتحقيق وشرح علي ذو الفقار شاكر.بيروت:دار الغرب الأسلامي،1999.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

- ابن تيمية، تقي الدين أحمد عبد الحليم. **الاستقامة**. تحقيق وتخريج سعيد محمد نصر. ط1 ؛ الرياض: مكتبة الرشد للنشر،2000 .
- الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر. **البيان والتبيين**. تحقيق وشرح عبد السلام هارون.ط2 ؛ بيروت: دار الجيل.
- الجاحظ **الحيوان**. تحقيق وشرح عبد السلام هارون. بيروت:دار إحياء التراث .
- الجرجاني،عبد القاهر. **أسرار البلاغة في علم البيان**. صححه وعلق على حواشيه السيد محمد رشيد رضا . القاهرة : دار ابن تيمية .
- الجرجاني،عبد القاهر **دلائل الإعجاز في علم المعاني**. تصحيح وتعليق السيد محمد رضا. بيروت، دارالمعرفة ،1982
- جرير.**ديوانه**.شرح يوسف عيد.ط1؛بيروت:دار الجيل،1992
- ابن جعفر، أبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي. **كتاب نقد النثر**، تقديم طه حسين. بيروت: دار الكتب العلمية، 1995.
- ابن جعفر، أبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي **نقد الشعر**. تحقيق كمال مصطفى. ط3؛ القاهرة: مكتبة الخانجي.
- ابن جني، أبي الفتح عثمان. **الخصائص**. تحقيق محمد علي النجار. ط2؛ مصر: المكتبة العلمية.
- ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت : (دار الكتاب العربي) .
- الحاوي ،إيليا سليم. **شرح ديوان الأخطل**. ط2؛بيروت:دار الثقافة،1979
- الحسناوي، محمد. **الفاصلة في القرآن الكريم**. ط2؛ عمان: دار عمار للنشر، 2000.
- حليس، الطاهر. **اتجاهات النقد العربي وقضاياه في القرن الرابع الهجري ومدى تأثرها بالقرآن**. باتنة: منشورات جامعة باتنة.
- الحناوي، المحمدي عبد العزيز. **دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن**. ط1؛ القاهرة: دار الطباعة المحمدية، 1984.
- الحمد، محمد إبراهيم. **توحيد الأسماء والصفات**. ط1؛ الرياض: دار ابن خزيمة، 2002.
- الحوالي، سفر بن عبد الرحمان. **منهج الأشاعرة في العقيدة**. القاهرة: مكتبة العلم.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

- الخالدي، صلاح عبد الفتّاح. **ير الفنّي عند سيد قطب**. الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1988.
- الخشت، محمد عثمان. **فن كتابة البحوث العلمية و إعداد الرسائل الجامعية**. الجزائر: دار رحَاب للنشر و التوزيع.
- الخطيب، عبد الكريم. **الإعجاز في دراسات السابقين**. ط1؛: دار الفكر العربي، 1974.
- الخفَاجي، ابن سنان. **سر الفصاحة** .
- خفاجي، محمد عبد المنعم. **الفكر النقدي والأدبي في القرن الرابع الهجري**. رابطة الأدب الحديث.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. **مقدمة بن خلدون**. تحقيق درويش الجويدي. ط2؛ بيروت :المكتبة العصرية، 1996.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، حققه إحسان عباس بيروت: دار صادر .
- الخنساء.**ديوانها**.ط9؛بيروت:دار الأندلس،1983
- دراز، محمد عبد الله. النبأ العظيم، تخريج وتعليق عبد الله الدخاخين . ط 1؛ الإسكندرية : دار المرابطين للنشر ، 1997 .
- ابن كثير عماد الدين أبي الفدا اسماعيل بن عمر. **البداية والنهاية**. خرج أحاديثه محمد بيومي وآخرون. المنصورة: مكتبة الإيمان.
- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**،إشراف محمود الأرناؤوط. ط1؛ بيروت: دارصادر.
- الدمنهوري، أحمد: **حلية اللب المصون على الجوهر المكنون**. دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر
- الذهبي، شمس الدين. **سير أعلام النبلاء**. خرجه شعيب الأرناؤوط ومحمد العرقسوسي. ط 1؛ بيروت: مؤسسة الرسالة، 1983.
- الرازي، محمد فخر الدين. **مفاتيح الغيب**. ط 1؛ بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، 2005 .
- الرافعي، مصطفى صادق. **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**.الجزائر: دار رحاب.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

- رضا، محمد رشيد. **تفسير القرآن الحكيم – تفسير المنار** – ط 2؛ دار الفكر للطباعة والنشر .
- الرماني، محمد بن عيسى. **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**(الرماني والخطابي والجرجاني) ، حققها وعلق عليها محمد خلق الله، ومحمد زعلول سلام. ط 4؛ القاهرة: دار المعارف ،1991 .
- الروق، محمد بن علي. **الأسئلة النجدية على العقيدة الواسطية**. خرج أحاديثه سليمان العجلان . ط1 ؛ الرياض : دار ابن خزيمة ، 1999 .
- الزرقاني، محمد عبد العظيم. **مناهل العرفان**. تحقيق أحمد بن علي. ط 1؛ القاهرة: دار الحديث، 2001 .
- الزركشي، بدر الدين. **البرهان في علوم القرآن**. تحقيق أبو الفضل إبراهيم. ط 2؛ بيروت: دار المعرفة.
- الزمخشري، أبي القاسم جار الله محمد بن عمرو. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. دمشق: دار الفكر .
- زهير،بن أبي سلمى.**ديوانه** .بيروت:داربيروت للطباعة،1986.
- الزوزني،أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين.**شرح المعلقات السبع**.الأبيار دار الأفاق.
- السكاكي ، أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي. **مفتاح العلوم**. ضبط نعيم زرزور .ط2؛ بيروت: دار الكتب العلمية ،1987 .
- السكاكي **مفتاح العلوم** . تحقيق عبد الحميد هنداوي. ط1؛ دار الكتب العلمية .
- سلام، محمد زغلول. **أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري** .ط3؛ القاهرة: دار المعارف.
- السلامي، عمر. **الإعجاز الفني في القرآن**. ط1؛ تونس: مصنع الكتاب ،1980.
- سلطان، منير. **إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة**. ط3؛ الاسكندرية: منشاة المعارف، 1986.
- سلطان، منير **مناهج في تحليل النظم القرآني**. الإسكندرية: منشاة المعارف.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

- السيد، شفيع. **البحث البلاغي عند العرب**. ط2؛ دار الفكر العربي .
- السيوطي ، جلال الدين. **الإتقان في علوم القرآن**. دمشق: دار الفكر للطباعة .
- السيوطي **شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان**.دمشق :دار الفكر للطباعة.
- **السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها**. شرح وتعليق محمد أحمد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم بيروت: دار الجيل.
- الشنقيطي، محمد الأمين. **منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات**. البليدة: مؤسسة اتحاد المغرب العربي للتأليف والترجمة، 1988 .
- بن صالح، بشير. **المنطق ومناهج البحث العلمي**. قسنطينة؛ مكتبة إقرأ.
- الصعيدي، عبد المتعال. **البلاغة العالية** . ط1؛ القاهرة: مكتبة الآداب .
- ضيف، شوقي. **البحث الأدبي- طبيعته ومناهجه- أصوله- مصادره**. ط 5؛ القاهرة: دار المعارف، 1972 .
- ضيف، شوقي **البلاغة تطور وتاريخ**. ط 6؛ القاهرة: دار المعارف .
- ضيف، شوقي **تاريخ الأدب العربي- العصر العباسي الثاني**. ط 2؛ القاهرة: دار المعارف .
- ضيف، شوقي **الفن ومذاهبه في النثر**. ط 6؛ القاهرة: دار المعارف .
- طبانة، بدوي. **البيان العربي- دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى**. ط 5؛ بيروت: دار الثقافة، 1986 .
- طرفة،بن العبد.**ديوانه**.بيروت:المكتبة الثقافية.
- الطويل، علي حسن. **الدلالات اللفظية وأثرها في استنباط الأحكام من القرآن الكريم**. ط 1؛ بيروت: شركة البشائر الإسلامية، 2006 .
- عامر، فتحي أحمد. **بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ- دراسة فنية تاريخية مقارنة**. الإسكندرية: منشأة المعارف .
- عباس، إحسان. **تاريخ النقد الأدبي عند العرب- نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري**. ط 1؛ عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2001 .
- عبد الرحمن، عائشة. **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق**. القاهرة: دار المعارف، 1971.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

- عبد الرزاق،علي.**علم البيان وتاريخه**. ط 1؛ القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2004 .
- عتيق، عبد العزيز. **علم البيان**. القاهرة: دار الأفاق العربية، 2004.

في تاريخ البلاغة العربية. بيروت: دار النهضة العربية للنشر.

- عزّام، عبد الله. **العقيدة وأثرها في بناء الجيل**. الجزائر: مكتبة الزهراء.
- ابن عساكر، الدمشقي.**تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**. ط3؛ بيروت دار الكتاب العربي، 1984.
- العسكري، أبي هلال. **الصناعتين– الكتابة والشعر**. تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصرية، 2004.
- عكاوي، إنعام فوال. **المعجم المفصل في علوم البلاغة– البديع والبيان والمعاني**. مراجعة أحمد شمس الدين. ط 2 ؛ بيروت: دار الكتب، 1996.
- العلوي، يحي بن حمزة. **الطراز**
- أبو علي، محمد بركات حمدي. **فصول في البلاغة**. ط 1؛ عمان: دار الفكر للنشر، 1983 .
- أبو علي، محمد بركات حمدي **كيف نقرأ تراثنا البلاغي**. ط 1؛ عمان: دار وائل للطباعة، 1999.
- العمري، أحمد جمال. **المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز– نشأتها وتطورها حتى نهاية القرن السابع الهجري**. القاهرة: مكتبة الخانجي للطباعة،1990.
- عنترة،بن شداد.**ديوان عنترة ومعلقته**.تحقيق وشرح خليل شرف الدين.بيروت:دار ومكتبة الهلال،1997.
- أبي نواس.**ديوانه**.بيروت:دار بيروت للطباعة والنشر،1986.
- عياض، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي. **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك**، تحقيق أحمد بكير محمود. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.
- عياض بن موسى بن عياض اليحصبي **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، حققه وخرج أحاديثه حسين بن عبد الحميد. ط1؛ بيروت: شركة دار الأرقم، 1995.
- الغزالي أبو حامد، **إحياء علوم الدين**، تعليق طه سعد. ط1؛ القاهرة: مكتبة الصفاء،2003.
- أبو فراس،الحمدني.**ديوانه**.تقديم وشرح علي بو منحل.بيروت:دار ومكتبة الهلال،1995.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

- الفرزدق.**ديوانه**.بيروت:دار بيروت للطباعة والنشر،1984.
- فريد، عائشة حسن. **البيان في ضوء الأساليب العربية**. ط1؛: دار قباء.
- فيود، بسيوني عبد الفتاح، **علم البديع**. دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة رسائل البـــديع. ط2؛ القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، 2004.
- ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ،نتح سيد صقر ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ط3 –1981.
- القرطاجني، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح** الحبيب بالخوجة.ط1 –1983
- القزويني، **شرح التلخيص في علوم البلاغة**. شرح محمد دويدري. ط2؛ دار الجيل.
- القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة** .شرح وتعليق محمد خفاجي .ط2؛ القـــاهرة : مكتبـــة الكليات الأزهرية .
- قصاب، وليد .**التراث النقدي والبلاغي للمقولة حتى نهاية القرن الـــسادس الهجـــري** . الدوقة: دار الثقافة .1985.
- قطب، سيد. **التصوير الفني** . ط15؛ القاهرة: دار الشروق،2001.
- ابن القيم، شمس الدين أبي بكر بن أيـــوب الزرعـــي. **بـــدائع الفوائـــد**. تحقيـــق محمـــد الاسكندراي وعدنان درويش. بيروت: دار الكتاب العربي ، 2004.

ـــ **الفوائد المشوق إلى علوم القران وعلم البيان** .ط2؛ دار الكتب العلمية ، 1988.

- كامل، عبد العزيز مصطفى. **الحكم والتحاكم في خطاب الوحي**. ط1؛ الرياض: دار طيبة للنشر،1995.
- لاشين، عبد الفتاح. **المعاني في ضوء أساليب القران الكريم**. ط4؛ القـــاهرة: دار الفكـــر العربي ، 2000.
- المالكي، القاضي عبد الوهاب بن سعد البغدادي. **شرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني في كتابة الرسالة**. دراسة وتحقيق احمد محمد نور سيف. ط1؛ دبي: دار البحوث الإســـلامية وإحياء التراث، 2004.
- مبارك، زكي. **النثر الفني في القرن الرابع الهجري**. بيروت: المكتبة العصرية.
- المبارك، مازن. **الموجز في تاريخ البلاغة**. دمشق: دار الفكر،1981.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

- المتنبي، أبو الطيب. **ديوانه**، شرح أبي البقاء العكبري، المسمى بالتبيان في شرح الديوان. ضبطه وصححه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. دمشق: دار الفكر.
- محمد محمد أبو موسى ، خصائص التراكيب ، (ط:4؛ مكتبة وهبة) .
- محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي:دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ،(ط:3؛القاهرة:مكتبة وهبة،2006).
- محمد محمد أبو موسى، مراجعات في أصول الدرس البلاغي،(ط:1؛ القاهرة: مكتبة وهبة،2005).
- مخلوف، عبد الرؤوف. **من قضايا اللغة والنقد والبلاغة**. ط1؛ الكويت: مكتبة الفلاح،1981.
- المراغي، أحمد. **علوم البلاغة**
- ابن المعتز. **ديوانه**. شرح يوسف فرحات. ط1؛ بيروت: دار الجيل، 1995.
- ابن منظور، **لسان العرب**. مراجعة وتصحيح ،فتح الله سليمان وآخرون. القاهرة: دار الحديث، 2006.
- المقري، أحمد بن محمد علي الفيومي .**المصباح المنير**. القاهرة: دار الحديث، 2003.
- النابغة، الذبياني، **ديوانه**. تقديم وشرح علي بوملحم. بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1991.
- بن نبي، مالك. **الظاهرة القرآنية**، ترجمة عبد الصبور شاهين. ط4؛ دمشق: دار الفكر المعاصر، 1987.
- الهاشمي، السيد أحمد. **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**. إشراف صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر ،2003
- ياسوف، أحمد. **جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير**. ط1؛ دمشق: دار المكتبي للطباعة والنشر، 1994.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

In the name of Allah, the most Merciful, the most Gracious

The research summary:

Allahs'wisdom required faithful messengers with miracles to support his faith and beliefs through their letters .And those miracles lie in its statements and rhetoric to improve the tactful challenges and contradictions.

Before prophecy, the Arabs people were illustrative case in terms of eloquence, arts of statements and the magic of rhetoric .Therefore, the language they spoke was more sophisticated one. They were able to argument and contradict the others. They may sometimes fail and thus they probably lost their challenges. However, this illustrative case fitted the miracle of Mohammed's peace be upon him .when Allah sent his messenger he used the same rhetorical devices, the same language items and the same linguistic features to pave the way the establishment of such contradictions and challenges . As soon as the holy Koran came into existence, they were the first one who were influenced by it. They were totally bewitched by its accuracy in composition and its magnificence in pronunciation as a result , some of them believed it was just a poetry the other described it as a magic but the others they said that it was just a mythology of their ancestors . Though, they were totally inspired by the Koran they couldn't give an example of it. Consequently, Mohammed's message was based on the koranic wonders because it was from Allah and thus it was useless to assume that it was invalid.

Since the early ages, group of scientists have devoted themselves and much of their times to make their contribution to investigate these koranic wonders. Once they have gathered and arranged it to

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

explain the strangest words. Each science has its origin and topic that's why people had to be got out of the darkness into the lightness. It is now possible for scientists to develop the scientific study of a language at least to understand the secrets of the holy Koran . As a consequence, the study of language in terms of eloquence and rhetorical devices should go hand in hand with each other .

On the one hand, scientists have gathered poetry and identify new methods of language expression . On the other hand, atheistic minds denied its causes , wanders and the prophecy of Mohammed peace be upon him. So most speakers and defenders of the Koran have showed evidences to prove the reality of the Islamic religion. therefore , the koranic wonders were one of the most important themes and subjects through which speakers and defenders will have proved Mohammed's prophecy and denied any invaluable assumptions .

Since early times, speakers and scientists have devoted themselves to protect Islam and its beliefs from corruption. These religious clashes led to the appearance of various Islamic groups and beliefs. The so called religious ferocity was resulted in the discussion and a debate over the koranic eloquence .It was encouraged by series of factors: First, the importance of eloquence and the necessity to generate understanding and avoid ambiguity. Second, the relation ship which linked the koranic wonders with eloquence. Third, the eloquence itself which was undertaken as a way of spreading beliefs. Fourth, the logical connection between the eloquent style and the

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

oratory style. The fifth factor was the influence of translation and the period of stability.

One of these speakers and defenders is the Imam Elbakilani. His famous book Iejaaz – Elkoraan . It was considered as one of the most important rhetorical sources which benefited the field of eloquence .The author identified most of the characteristic features of eloquence which preceded its publication. It was basically turned around comparison and contradictions. The author also had his a unique opinion, so, he separated rhetoric from the Koran. He denied for example the use of assonance in the Koran. He was also successful in his opinions and situations. For instance, he had unique opinion about the objectivity of the koranic composition. He also believed in the effects of the Koran on the human feelings. Therefore, he drew attention to the photographic wonders. The book also showed the rhetorical feelings of the scientists towards the koranic wonders. Elbakilani was much more influenced by Elashaaira that's why I have dealt with its stylistic methods and bases in my research work .I have organized it into the following plan : the introduction and three chapters .

As far as the introduction is concerned, I have talked about the speakers contribution to the eloquence and the factors which led them to focus on it. In addition, I have mentioned the koranic wonders and eloquence because they were the rhetorical orientation of both –i.e.- Elashaaira and Elmoaatazila .And our author is much more influenced by the latter. I have also focused on Elbakilanis' devotion to eloquence, his opinions and his efforts.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

Concerning the first chapter I have devoted much of it to include Elbakilani's short biography, his book Iejaaz Elkoraan and the way he analysed it.

As for the second chapter , I have coped with Elbakilani's usage of the the figurative language and I also mentioned the link between the eloquence researches with each others chiefly during Elbakilani's time . I have concluded this chapter with a detailed commentary about Elbakilani's figurative language.

As for the third chapter I have begun it with Elbakilani's opinion about assonance in the Koran and I have finished it With Elashaaira's role and impact of it on Elbakilani's methods .In a brief , I have ended my research with a conclusion which signals the overall result of my research .

My reference books are :

- **Iejaaz Elkoraan – Elinsaf (by Imam Elbakilani) .**
- **Elbayan wa tabyiin (Eljahid) .**
- **Elidhah in aloloum Elbalagha (Elkazouini) .**
- **Akhidat ben zeid khadi (Abdelwahab Elmaliki) .**
- **Elbalagha tataour wa taarikh (chouki dhaif) .**
- **Essinaatayn (Abou hillal Elaskari) .**
- **Fahm Elashaaira fi Elakida (safr Elhawali) .**
- **Eijaz Elkoran wa elbalagha Ennabawia (Eraafii) .**
- **Tarikh Elbalagha (Abdelaziz Atik) .**
- **Athar Elkoraan fi tataour Ennakd Eladabi (mohammed zaghloul salam) .**
- **Kadaya Ennakd wa Ellogha wa Elbalagha (Abderraouf makhlouf) .**